السبت 5 تشرين الثاني 2022
العدد 4770 السنة السابعة عشرة
Samedi 5 Novembre 2022 nº 4770 17ème année

24 صفحة
10000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

تي. سي إليوت
امرأة فوق «الأرض اليباب»

محضر التحقيق الرسمي لسويسرا حول حزب الله
حركة سياسية لا منظّمة إرهابية [2]

اطلب القوس مع الأخبار

أميركا - إسرائيل
«أزمة» مضبوطة
[8 ـ 9]

(أفب)

البلاد

ونبقى
الانتداب والاحتلال
سيرة واحدة
[12]

شتات
المجتمع المدني ينطلق في اليرموك
[13]

مقابلة
لوي ألداي
غسان كنفاني يصنع مزيداً من الكتب والأصدقاء لفلسطين!
[14]

قضية اليوم

أنهت السلطات السويسرية تحقيقات بدأتها في حزيران 2020 حول أنشطة حزب الله في سويسرا، بناء على طلب نيابي لحظر الحزب وإدراجه على لوائح المنظمات الإرهابية. التقرير - التحقيق خلص إلى أن حزب الله «قليل النشاط في سويسرا، ولا يتحرك ضمن الجالية اللبنانية لجمع الأموال». و«في ظل الأوضاع الأمنية الحالية، يبقى تقييم الخطر الإرهابي الذي يمكن أن يشكله الحزب على سويسرا متدنياً». وأشار التقرير في توصياته إلى أن حظر الحزب ونشاطه «قد يؤثر من ناحية على النشاط الديبلوماسي السويسري، ويعطي انطباعاً سيئاً عن سويسرا، وينال من صدقيتها سويسرا كدولة محايدة». كما أن فرض الحظر يشجّع الأنشطة السرية ما يجعل عمل الجهات الأمنية أكثر صعوبة، مشيراً إلى أن دولاً قليلة حول العالم (بينها خمس أوروبية هي ليتوانيا وإستونيا وهولندا وجمهورية التشيك وألمانيا) حظرت الحزب وأنشطته. وعليه، خلافاً لما كانت تأمله إسرائيل وخصوم الحزب في الداخل اللبناني والخارج، «لا ينوي المجلس الفيدرالي اتخاذ أي تدابير إضافية» بحق حزب الله. مكتفياً باللجوء إلى «السبل القانونية المتاحة لمتابعة أي نشاط غير مشروع قد يقدم عليه أفراد على ارتباط» بالحزب. التقرير السويسري الذي تنشره «الأخبار» يبين فهم سويسرا عقلانياً للحزب أكثر بكثير من أفرقاء داخليين وخارجيين. ويقدم مادة جذابة بتفاصيلها الكثيرة

الاتحاد الفيدرالي يرفض إدراج المقاومة على لوائح الحظر

سويسرا: حزب الله حركة سياسية وليس منظّمة إرهابية

- تطور خطاب حزب الله من المطالبة بجمهورية إسلامية إلى الحديث عن دولة علمانية
- في المستقبل المنظور سيبقى الحزب قوة سياسية ذات تنظيم قوي وتعتمد على دعم قوي من قاعدتها
- سويسرا لا تلتزم تلقائياً بعقوبات الاتحاد الأوروبي وغير ملزمة بمن يصنفها منظمات إرهابية

غسان سعود

في الدورة الصيفية للبرلمان السويسري، عام 2020، قدّم عضوا المجلس الوطني ماريان بيندر كيلر وغيرهارد فيستر طلباً إلى المجلس الفيدرالي لتقديم تقرير مفصل حول أنشطة حزب الله في سويسرا، مع التركيز على الأسئلة التالية:

1- هل تراقب هيئات الحماية التابعة للدولة أفراداً أو مؤسسات تنتمي إلى حزب الله؟

2- هل يمكن، في إطار إجراءات مكافحة غسيل الأموال، إثبات ما إذا كان الحزب يجمع المال في سويسرا أو يملك حسابات فيها؟

3- هل لدى الحزب اتصال بمنظمات إسلامية أخرى في سويسرا؟

4- كيف تضمن سويسرا أن الأفراد والمنظمات التي حظرت المانيا أنشطتها لن تتابع هذه الأنشطة على الأراضي السويسرية؟

5- هل لا يزال ممكناً التمييز بين الفرع «السياسي» للحزب وفرعه «العسكري» بعدما أدرجته ألمانيا على قائمة الحظر؟

وتضمّن الطلب أن يدرس المجلس الفيدرالي إمكان إدراج «ميليشيات الحزب على قائمة الإرهابيين ومنعها من القيام بأي نشاط على أراضينا». التقرير الطويل الذي تضمن خلاصة التحقيقات التي أجرتها السلطات السويسرية استجابة لهذا الطلب، بدأ من الشرح الابتدائي بشأن «الانقسام التاريخي» بين السنة والشيعة، وتطوّرهما «مناهج متمايزة جزئياً للممارسة الدينية وتنظيم المجتمع»، انعكست لاحقاً في «خصومات بين الدول كما بين السعودية وإيران». وأشار إلى عدم أخذ النظام اللبناني في الاعتبار التغيرات الديموغرافية ما أدى إلى تفاقم في نقص التمثيل السياسي للمكوّن الشيعي وتدهور وضعه الاقتصادي قبيل الحرب»، مما ساهم في «(...) دفع العديد من الشيعة إلى اعتبار أن المنظمات القائمة على الانتماء الديني فقط هي القادرة على حماية مجتمعهم».

وبعد عرض تفصيلي لتنامي الجماعات الدينية والنزوح الشيعي من البقاع والجنوب إلى الضاحية الجنوبية، شرح التقرير عن «ظهور إشارات» إلى حزب الله عام 1983، والإعلان عن «ميثاق التنظيم الأول» عام 1985، متوقفاً عند ثلاثة أبعاد لهذه «الحركة السياسية»:

- بُعد أيديولوجي يتبنى الحزب بموجبه رؤيته لـ «مجتمع إسلامي» يتعارض مع عدد من القيم الغربية المزعومة.

- بُعد «فوق الوطني» يتمثل بروابط الحركة العابرة للحدود اللبنانية نحو المجتمعات الشيعية في كل مكان آخر.

- بُعد وطني يتمثل بمطالبة الحزب بمكانة عادلة له وللمجتمع الشيعي في الفضاء السياسي والاقتصادي والثقافي الوطني اللبناني.

ويشير التقرير إلى أن تاريخ الطائفة الشيعية يمثل عامل حاسم في فهم دعم جزء كبير منها لحزب الله، حيث ينظر إليه أكثر حتى من حركة أمل - الحليف المنافس - بوصفه صاحب الفضل الأكبر في التحسين الاجتماعي والاقتصادي لهذا المجتمع، فضلاً عن ثقله السياسي. لتخلص مقدمة التقرير إلى أن خطاب الحزب تطور على مدى أربعين سنة بشكل ملحوظ، كما تطورت أهدافه السياسية، لكن موقفه من إسرائيل - التي يعتبر وجودها غير شرعي - لم يتغير. مع التأكيد بأن الحزب «أقل ارتباطاً من الأطراف الأخرى، في المنظور اللبناني، بالشراء الشخصي. وقد تطور من المطالبة بإنشاء جمهورية إسلامية على النموذج الإيراني عام 1985 إلى الحديث عن بناء دولة لبنانية علمانية حديثة عام 2009»، مع ثباته «القتال ضد إسرائيل والولايات المتحدة». ويسجل التقرير في مقدمته تشجيع الحزب، رغم الخطاب العلماني، التغيير الثقافي في المناطق التي يسيطر عليها، وحجزه مساعدات اجتماعية جدية لمؤيديه المخلصين.

التقرير تطرّق إلى إنشاء الحزب مؤسسات خيرية «جيدة التنظيم». وإدارته الناجحة للمستشفيات والمؤسسات المالية والمدارس. وتوسيعه نطاق مساعداته الاجتماعية من الحبوب إلى المازوت مروراً بالغذاء، منذ بداية الأزمة الاقتصادية عام 2019، واستحداثه مخازن وصيدليات تبيع منتجات إيرانية وسورية رخيصة، يمكن للأشخاص الفقراء بشكل خاص الحصول من هذه المخازن على مواد غذائية باستخدام بطاقة مسبقة الدفع صادرة عن الحزب تتم تعبئتها بانتظام. أما جمعية الحزب غير الربحية المسماة «القرض الحسن» فتستمر، رغم العقوبات الأميركية عليها منذ عام 2007، في تقديم قروض صغيرة من دون فوائد بالدولار الأميركي، في وقت تمتنع المصارف التجارية اللبنانية عن إعادة الودائع بالدولار. وعلى عكس الأحزاب الأخرى، يدفع الحزب رواتب مقاتليه وموظفيه في المؤسسات الخيرية بالدولار.

سلاح حزب الله

التقرير لفت إلى أن إنهاء الاحتلال الإسرائيلي عام 2000 وحرب 2006 منحا الحزب دعماً سياسياً داخلياً تجاوز المجتمع الشيعي، فيما يعتقد آخرون أنه لا يمكن حل أي من مشاكل لبنان الأساسية قبل نزع سلاحه. وأكد أن الحزب «بات أكثر تسليحاً مما كان عليه في عام 2006»، و«تقدر ترسانته بـ 100000 صاروخ مدفعي وصواريخ بالبستية، بما فيها أنواع ذات مدى يصل إلى تل أبيب». لكنه «ليس ميليشيا مسلحة فقط، بل قبل كل شيء حزب سياسي يتولى مسؤولية في الحكومة، ويعزّز نفوذه بين مناصريه بفضل مؤسساته الخيرية والاجتماعية. وفي المستقبل المنظور، سيبقى قوة سياسية ذات تنظيم قوي، يمكنها الاعتماد على دعم قوي من قاعدتها».

> نظر بعض المسيحيين إلى التدخل العسكري في سوريا بشكل إيجابي بعدما اعتبروا التهديد الجهادي خطراً على مجتمعهم

> يصعب إثبات أن حزب الله يقوم بأنشطة مالية تصب في أنشطة إرهابية

«الشبّاك الشيعي»

وأشار التقرير إلى أن حزب الله ينشط حيث يوجد شيعة لبنانيون في الشتات، من خلال مراكز دينية وجمعيات ثقافية، وهو يمتلك «تأثيراً حقيقياً على الشبّات وشعبية ستبقى مستقرة على المدى المتوسط، رغم الصعوبات التي يمر بها جراء انخراطه العسكري في سوريا الذي انخفض بشكل كبير الآن».

وفي فصل كبير عن «الاشتباك العسكري في سوريا» أشار إلى «انخراط حزب الله خصوصاً ضد تنظيم داعش»، بوصفه «مواجهة لتهديد وجودي تمثله الجماعات التكفيرية له وللسكان الشيعة ولبنان والأقليات الدينية في سوريا». ولفّ إلى أن انتصاره في معركة القصير «سمح للقوات الحكومية السورية بالسيطرة على هذا المحور الاستراتيجي بين المدن الكبرى، متيحاً للحكومة السورية فرصة استعادة السيطرة». واعتبر أن الحرب السورية «أكسبت حزب الله خبرة عسكرية، لكنها أدت إلى تزايد الشعور بالعداء تجاهه، خصوصاً «بين عموم السكان السنة». ومن جهة أخرى، «نظر بعض المسيحيين إلى التدخل العسكري في سوريا بشكل إيجابي إلى حد ما، حيث اعتبروا التهديد الجهادي خطراً على مجتمعهم». بالانتقال إلى «أعمال العنف والإرهاب المنسوبة إلى حزب الله»، اعتبر التقرير أن الحزب نفذ هجمات تستهدف «بشكل أساسي الجيش الإسرائيلي، لكنها طاولت أيضاً منشآت عسكرية فرنسية وأميركية وغربية وسفارات وموظفين ديبلوماسيين»، و«اختطف مدنيين غربيين حتى أوائل التسعينيات».

كما أدانت المحكمة الخاصة بلبنان «ثلاثة أعضاء مزعومين في الحزب» لتورطهم في اغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري عام 2005». وهو أنشأ في منتصف الثمانينيات قسماً لعمليات خارج لبنان، يعرف اليوم باسم وحدة الأمن الخارجي (OSE) التي تقف وراء عدد من الهجمات أو محاولات الهجمات والأنشطة التحضيرية لهجمات، بما في ذلك مؤامرة مزعومة في عدة قارات. وأوضح أن «هذه الوحدة تعرف أيضاً بالوحدة 910، ويطلق عليها القضاء الأميركي اسم تنظيم الجهاد الإسلامي». وتتمثل مهمتها الرئيسية في «تنفيذ عمليات استخباراتية وأنشطة إرهابية خارج مسرح الاشتباك المعتاد لحزب الله في لبنان».

هيكلية الحزب

وعن هيكلية الحزب قال التقرير أنه «منظمة متكاملة» ذات مجلس «أعلى» يوجه أمينه العام ويدير كل أجهزة التنظيم، وتعتمد منظمة الأمن الخارجي على «المجلس الجهادي الذي يدير الشؤون العسكرية والأمنية والاستخباراتية». معدّداً هجمات لوحظ «تورط عناصر الحزب» فيها، مثل: الهجمات الـ14 التي ارتكبت في فرنسا بين عامي 1985 و1986، الرد على اغتيال الأمين العام للحزب عباس الموسوي بهجوم على السفارة الإسرائيلية في الأرجنتين، موضحاً أن هذه العملية كانت «رسالة ردع تشير إلى أنه لا يمكن للمرء قتل مسؤول تنفيذي كبير في الحزب من دون المخاطرة برد»، ومشيراً إلى أن حزب الله نفى ضلوعه في هذا الهجوم. أما الهجوم على مقر جمعية يهودية في بوينس إيرس عام 1994، فيشير التقرير إلى أن التحقيق القضائي فيه «تشوبه اتهامات بتدخلات عدة». وأخيراً «عبوة يورغاس في بلغاريا» التي قالت سلطاتها القضائية إن الشخصين المدانين بارتكاب هذا الهجوم ينتميان إلى «الجناح العسكري لحزب الله»، فصنف الاتحاد الأوروبي الجناح العسكري للحزب منظمة إرهابية». وبالتالي فإن «هذا الوصف لا يتعلق بفرعه السياسي». وأشار إلى أن «الهجمات التي ينفذها حزب الله هي دائماً جزء من صراع أو أزمة». ومع ذلك، فإن «حزب الله نفسه لم يطالب بها أبداً».

وينتقل التقرير من عرض المعطيات أو التصور عن طريقة عمل الحزب إلى التحليل، فيشير إلى أنه «يبدو وضع حزب الله متناقضاً: مستوى عال من الاستعداد لكن لا يمكن أبداً اعتبار أن هناك عملية إرهابية وشيكة من جانبه». وهو، بحسب التقرير، «مهتم بالحفاظ على قوة يمكن استخدامها كملاذ أخير خلال نزاع أو أزمة كبرى».

«يمكن في هذا السياق القول إن حدثاً مثيراً في الشرقين الأدنى والأوسط يمكن أن يؤدي إلى زيادة مستوى التهديد الذي يستهدف مصالح البلدان المعنية في عدة قارات». كما أنه قادر على «ضبط شدة هجماته بحسب الأحداث التي تحفزها والتبعات المحتملة والكلفة العسكرية والسياسية»، ليخلص إلى «أن صيانة البنية التحتية لمنظمة الأمن الخارجي ومسألة أن يكون وجود مثل هذه البنية التحتية معروفاً، يسهم ولو بشكل هامشي، في القوة الرادعة لحزب الله».

الحزب في سويسرا

قدّر التقرير عدد الأفراد الموجودين في سويسرا ممن يمكنهم دعم الحزب في أنشطته المجتمعية المختلفة بالعشرات، لافتاً إلى أن ليس كل المتعاطفين بالضرورة متدينين أو مسيسين. وأشار إلى أنه يوجد في سويسرا نحو عشرين مركزاً وجمعية شيعية، بعضها صغير جداً وغير مسجل. ورغم النفوذ اللبناني فيها، فإن المترددين عليها ليسوا لبنانيين فقط. وبموازاة مهامها الدينية، تركز هذه المراكز مباشرة أو غير مباشرة على الأحداث السياسية عبر نشر الدعاية المعادية لإسرائيل، من دون أن يُعرف عنها إقامة أية علاقات مع مراكز إسلامية غير شيعية. أما على صعيد تحويل الأموال وغسيل الأموال، فلم يتم إثبات استخدام سويسرا لتحويلات من شأنها تمويل حزب الله. ولا يمكن ملاحظة أي جمع للأموال داخل الشتات الشيعي اللبناني في سويسرا: «إذا وجدت مثل هذه المجموعات في بلدنا، فهي هامشية وضعيفة التنظيم. تبرعات واشتراكات المراكز والجمعيات الشيعية السويسرية تستخدم في تشغيلها ولا يقصد منها تمويل الحركة في لبنان».

ورغم أن سويسرا شهدت أنشطة لـ OSE في نهاية العقد الأول من القرن الحالي حين تم الاشتباه في مشاركة العديد من الأفراد في الأنشطة التشغيلية بالمظنة، كانوا سيشكلون خلية دعم في منطقة زيوريخ، فإن وجود مثل هذه الخلية لا يعني أنه سيتم ارتكاب هجوم. ومع ذلك، فإن هذا النشاط يعني أنه إذا حدد حزب الله هدفاً لعمل إرهابي في سويسرا، ستكون لديه معلومات استخباراتية متاحة له لتقييم جدواه.

الضغوط الأميركية

ولفت التقرير إلى أن مجلس الأمن الدولي لا يعتبر الحزب تهديداً للسلم والأمن الدوليين، ولم يصنفه منظمة إرهابية أو يميز بين مكونيه السياسي والعسكري. كما لم تصنف الأمم المتحدة حتى الآن أي فرد أو أكثر من المنتمين إلى الحزب على أنهم «إرهابيون». فيما يميّز الاتحاد الأوروبي بين «جناح عسكري» و«جناح سياسي» لحزب الله. وفي عام 2013، بعد سنوات من التردد، أدرج الجناح «العسكري» فقط، وتحديداً بعض المنظمات الفرعية للحزب، كمنظمة إرهابية، بسبب ما حصل في بلغاريا وبسبب «دوره النشط في الحرب الأهلية السورية كمجموعة مسلحة». ولا يوجد في السياق نفسه سوى ثلاثة أعضاء من الحزب مدرجين حالياً على قائمة عقوبات «الإرهاب» الخاصة بالاتحاد الأوروبي. علماً أن سويسرا لم تنضم إلى نظام عقوبات الاتحاد الأوروبي هذا، ولا تلتزم تلقائياً بعقوبات الاتحاد الأوروبي، إنما تقيّم كل حالة على حدة، وهي غير ملزمة بمن يصنفه أو لا يصنفه الاتحاد الأوروبي كمنظمات إرهابية. ويشير التقرير إلى أنه منذ عام 2020 ازداد الضغط السياسي على الاتحاد الأوروبي، لا سيما من الولايات المتحدة، لإدراج حزب الله كمنظمة إرهابية. ومع ذلك، لا توجد داخل الاتحاد الأوروبي حالياً مفاوضات نشطة ولا إرادة سياسية لتغيير موقف الاتحاد، والذي لن يكون ممكناً إلا بإجماع الدول الأعضاء. وإذا كان الاتحاد يعطي الأولوية للاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي في لبنان فإنه ملزم بمواصلة الحوار مع جميع الجهات الفاعلة والأحزاب السياسية في البلاد (بما في ذلك الحزب).

الأمن السويسري

وعن الإجراءات المتاحة للسلطات الأمنية السويسرية بشأن حزب الله، لفت التقرير إلى أن قمع الإرهاب يركز على الأفراد الذين لدى السلطات مؤشرات ملموسة على تورطهم في أنشطة غير مشروعة، أو يمثلون تهديداً للأمن الداخلي أو الخارجي. في وقت تجمع الـ SRC المعلومات من كل من المصادر العامة وغير العامة، مثل: الإنترنت، الشبكات الاجتماعية، مراقبة الأماكن العامة، تجنيد المخبرين، نظام البحث الشرطي المحوسب، نظام شنغن للمعلومات. كما يمكن لـ SRC اعتقال الأشخاص لإثبات هويتهم واستجوابهم. ويمكن مراقبة المراسلات عن طريق البريد والاتصالات السلكية واللاسلكية وفقاً للقانون الاتحادي، واستخدام أجهزة التتبع لتحديد مواقع وحركات الأشخاص أو الأشياء، استخدام أجهزة المراقبة للاستماع إلى الخطاب غير العام أو تسجيله أو لمراقبة أو تسجيل الأحداث التي تحدث في الأماكن غير العامة أو في الأماكن التي لا يمكن الوصول إليها بحرية، التسلل إلى أنظمة وشبكات الكمبيوتر، تفتيش المباني والمركبات والحاويات للحصول على الأشياء والمعلومات الموجودة هناك أو المعلومات التي تم نقلها من هذه الأماكن.

يشرح التقرير السويسري للنائبين تدابير الطرد أو حظر الدخول وإجراءات الترحيل من أجل الحفاظ على الأمن الداخلي أو الخارجي لسويسرا. إذ أصدر الاتحاد الفيدرالي منذ عام 2016 نحو 600 حظر دخول على أشخاص مرتبطين بالإرهاب، وأبعد 26 شخصاً من المقيمين بتهمة التهديدات الإرهابية ضد الأمن الداخلي. لكن لم يكن لحزب الله وجود في أي من هذا كله. وإذا حدث أن تلقى MROS اتصالات مشبوهة من وسطاء ماليين لاكتشافهم أن أعضاء حزب الله متورطون بشكل مباشر أو غير مباشر في العلاقات التجارية التي يديرونها، فإن الصلة المباشرة أو غير المباشرة بين الناس وحزب الله لا تشكل في حد ذاتها اشتباهاً مبرراً في غسل الأموال أو الجريمة المنظمة أو تمويل الإرهاب. مع العلم أنه «من غير الممكن تقديم أجوبة نهائية بشأن ما إذا كان حزب الله يجمع الأموال ولديه حسابات في سويسرا، لأن التقارير الأمنية المتوافرة تركز على أنشطة مشبوهة تتعلق بالأشخاص غير النشطين في سويسرا، لكن لديهم حسابات في سويسرا فقط. ولا تحتوي هذه التقارير على مؤشرات ملموسة للنشاط الإجرامي أو تمويل جرائم العنف، بالتالي فإنه حتى اليوم «لم تفتح النيابة العامة للاتحاد (MPC) أي تحقيق جنائي يتعلق بحزب الله، لعدم وجود اشتباه كافٍ ضد شخص أو مجموعة في ما يتعلق بارتكاب جريمة».

الحزب لا يشكل تهديداً

وشدّد التقرير على أنه يمكن للمجلس الفدرالي منع أي فرد أو منظمة أو مجموعة من القيام بنشاط يشكل تهديداً ملموساً للأمن الداخلي أو الخارجي. لكن لهذا شرط أساسيّ هو «وجود مؤشرات ملموسة على التهديدات لأمن البلد». فيما «التخمينات البسيطة ليست كافية، إذ يمكن أن يخضع قرار المجلس الاتحادي للطعن أمام المحكمة الإدارية الفدرالية». وأشار إلى أن المجلس الاتحادي أنهى الاستعدادات لحظر تنظيمي القاعدة والدولة الإسلامية، لكن ليس على جدول أعماله أي منظمات أخرى بسبب المتطلبات القانونية الكثيرة.

وشدّد التقرير على أهمية الحياد السياسي لسويسرا، إذ يمكن لها أن تضطلع دوماً بدورها كوسيط ذي مصداقية في النزاعات، وأن تتجنب بالتالي أن تصبح هدفاً للتأثير السياسي من جانب أطراف النزاع في ما يتعلق بحظر المنظمات.

وحول التوصيف القانوني لحزب الله كمنظمة إرهابية، أشار إلى أن «المنظمة تعتبر إرهابية عندما يكون هدفها ارتكاب جرائم عنيفة تهدف إلى تخويف السكان أو إجبار دولة أو منظمة دولية على القيام بشيء ما أو عدم القيام به. وبحسب القوانين السويسرية وعمل الاستخبارات، فإن هناك ثماني مجموعات أو منظمات تنطبق عليها هذه المواصفات ليس من ضمنها حزب الله، هي: الجماعة الإسلامية المتطرفة «شهداء المغرب»، منظمة البان كوسوفو السرية المتطرفة ANA، «بريجيت روس» الإيطالية، ETA الباسكية، «شبكة القاعدة الدولية»، «الدفاع الشعبي الكردستاني»، الجناح العسكري لحزب العمال الكردستاني، صقور الحرية الكردستانية (TAK).

> عملية السفارة في الارجنتين كانت «رسالة ردع» والتحقيق القضائي في تفجير بوينس آيرس «تشوبه تدخلات»

> إذا كان الاتحاد الأوروبي مهتماً بالاستقرار في لبنان فإنه ملزم بالحوار مع كل الأحزاب السياسية

حماية دور سويسرا

وتطرق التقرير إلى النتائج السياسية والاستراتيجية لأي تغيير في ممارسة سويسرا، مشيراً إلى النظر إليها كلاعب محايد يحظى بتقدير كبير في سياسة السلام ولديها وصول جيد إلى اللاعبين الرئيسيين من كل الجماعات السياسية والدينية. وهي مثلت منذ عام 1979 المصالح الإيرانية في مصر، ومنذ 1980 مصالح الولايات المتحدة في إيران، ومنذ 2018 المصالح الإيرانية في كندا. ولذلك فهي تتمتع بثقة كبيرة، سواء بين ممثلي الحكومات أو في المجتمع المدني. وهي معروفة بالتزامها إجراء حوار شامل - على عكس الجهات الفاعلة الدولية الأخرى - والذي يجمع جميع الأحزاب السياسية حول طاولة واحدة. «ولما كان حزب الله جزءاً من الحكومة اللبنانية منذ عام 2005، فإن الاندماج النشط لحزب الله في عمليات الحوار له أهمية قصوى بالنسبة لانخراط سويسرا في لبنان. ولن يشكل حظر حزب الله تغييراً جوهرياً في الممارسة القانونية السويسرية فحسب، بل سيضع حدّاً للجهود الملموسة التي تبذلها بلادنا، حيث إن سمعة وإمكانيات سويسرا كوسيط نزيه في لبنان والمنطقة ستتضرر إلى حد كبير».

وأشار إلى أنه «من حيث المبدأ، لا يمكن حظر المنظمات الإرهابية في سويسرا إلا على أساس تحديد مماثل من قبل مجلس الأمن الذي لا يصنف الحزب منظمة إرهابية. وحتى في حال كان الحظر ممكناً من الناحية القانونية، ستكون لذلك تداعيات على دور سويسرا كجهة فاعلة في سياسة السلام، في لبنان وخارجه، وفي منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. وستتعرض أدوات «المساعي الحميدة» التي توفرها سويسرا في المنطقة (على سبيل المثال تفويض القوة الحامية للولايات المتحدة في إيران) لضغوط شديدة. مع التأكيد بأن «حظر الحزب سيؤدي أيضاً إلى فقدان مصداقية سويسرا كجهة فاعلة محايدة. وسيزيد الضغط على سويسرا لإدراج الجماعات الأخرى النشطة في المنطقة (مثل حزب العمال الكردستاني) في قائمة المنظمات المحظورة». ولفت إلى أنه «بشكل عام، أصبح واضحاً خلال العقدين الماضيين أن إدراج المنظمات الإرهابية من قبل دول معينة ليس له تأثير ضئيل على الجماعات نفسها فحسب، بل يتسبب في صعوبات على مستوى المساعدات الإنسانية وتعزيز السلام، فضلاً عن الاقتصاد. وهو أمر مهم بالنسبة لسويسرا التي تتطلع إلى استمرار عملها في مناطق نفوذ هذه المجموعات، تحت سقف القانون الإنساني الدولي الذي تلتزم فيه سويسرا». مع التأكيد بأن «حظر أنشطة حزب الله سيشجعه على التكيف مع محو الروابط الظاهرة مع مراكز وجمعيات الشتات الشيعي اللبناني، وتعزيز الروابط غير المرئية والسرية على نحو يصعب عمل الاستخبارات السويسرية. وهو ما ستكون له آثار ملموسة سلبية على الأجهزة الأمنية في سويسرا».

الخلاصة

ويخلص التقرير إلى نقاط التي يجب مراعاتها فيما يخص حزب الله:

1. عشرات الأفراد فقط يدعمون الحزب في أنشطته المجتمعية المختلفة دون أن يكونوا بالضرورة متطرفين.

2. لا يمكن رسمياً ملاحظة أي جمع تبرعات أو أنشطة تمويلية أخرى لصالح الحزب.

3. قضائياً ، لم يتم حتى الآن فتح تحقيق جنائي على صلة بحزب الله من قبل لجنة السياسة النقدية.

4. أمنياً، يُعتبر التهديد الإرهابي لحزب الله في سويسرا منخفضًا في السياق السياسي والأمني الحالي. ولن تكون الأراضي السويسرية بالتأكيد الخيار الأول له لضرب المصالح الأجنبية. مع العلم أن السياق الجيوسياسي الحالي، يؤكد أن الهجوم الإرهابي في قلب أوروبا سيؤدي إلى مخاطر سياسية وعسكرية غير مناسبة وفق حساباته. في ظل حفاظ سويسرا على علاقة بناءة مع إيران، حليفة الحزب، ومع الحزب نفسه، في سياق الحوار الشامل في لبنان.

وتحت عنوان «النتائج السلبية لحظر الحزب أو حظر نشاطه»، يشدد التقرير على أن تصنيف حزب الله كمنظمة إرهابية أو حظر أنشطته ستكون له عواقب سلبية من وجهة نظر الدبلوماسية السويسرية. ولن يؤدي الحظر إلى وضع حد للمساهمات القيمة لتعزيز السلام في المنطقة فحسب، بل سيقوض أيضاً صدقية سويسرا كلاعب محايد. ولن يجلب التشديد التشريعي قيمة مضافة في القدرات الأمنية للتعامل مع حزب الله، بل على العكس سيجعل العمل (الوقائي بشكل خاص) أكثر صعوبة. وعليه، لن يكون لتعديل الإطار القانوني الحالي تأثير إيجابي على مستوى التهديد بل يمكن أن يكون سلبياً بوصفه انحيازاً في الصراع في الشرق الأوسط. وعليه خلص المجلس الفدرالي إلى أنه «لكل هذه الأسباب، لا يخطط المجلس الفدرالي لاتخاذ إجراءات إضافية ضد حزب الله كمنظمة، ويكتفي في المقابل بالاستخدام المستمر والمتسق لجميع الوسائل القانونية الأخرى التي تهدف إلى اكتشاف ومنع ومعاقبة أي نشاط غير قانوني يقوم به الأشخاص المرتبطون به».

مهرجان الاربعون - حزب الله صورة السيد حسن نصر الله خلال مهرجان الاربعون في الذكرى الاربعين لتاسيس حزب الله (هيثم الموسوي)

قضية اليوم

توترات تنذر بانفجار على الساحة المسيحية
هل بدأت سياسة الانتقام الجسدي من العونيين؟

التوتر الكبير الذي يسود «الشارع المسيحي» منذ وقت غير قصير، بدا ينفجر على شكل توترات بين مناصرين للتيار الوطني الحر والقوات اللبنانية وأنصار النواب التغييريين المعارضين لرئيس الجمهورية ميشال عون قبل انتهاء ولايته وبعدها، والمخاوف التي عبر عنها مسؤولون كبار في الدولة ومرجعيات دينية وحزبية من حصول احتكاكات تؤدي إلى توترات أمنية، بدأت تترجم على الأرض مواجهات كان البارز فيها ما شهدته قناة «المر تي في» أول من أمس. خلال عرض حلقة من برنامج «صار الوقت» الذي يقدمه الإعلامي مارسيل غانم، وهي الحلقة التي توقفت بعد مواجهات واشتباكات بالأيدي قبل أن تتطور إلى عمليات إطلاق نار، ما دفع بالجيش اللبناني وأجهزة أمنية إلى التدخل، لحماية بعض مناصري التيار الذين نقل عدد منهم إلى المستشفيات

(هيثم الموسوي)

رلى إبراهيم

مجموعة من الفيديوات انتشرت على وسائل التواصل الاجتماعي أول من أمس تستعرض مشاهد للتضارب وإطلاق الرصاص داخل استوديو برنامج «صار الوقت» الذي تقدمه قناة MTV وخارجه. إلا أن اللافت أن متناقلي هذه المشاهد، فسروها بما يتناسب وخلفياتهم السياسية. فدان الفريق المناصر لخط المحطة السياسي تعرّض شباب التيار الوطني الحرّ للمحطة وربط أداء شبابه بالتوتر و«الحقد» المحتقن بعد نهاية العهد. في حين وجدت أحزاب 14 آذار و«تغييريوها» في ما حصل فرصة لإعلان التضامن مع محطتهم في وجه خصومهم العونيين معتبرين ما حصل تعدّياً على «حرية الإعلام». هكذا، تنافست أحزاب القوات وحلفاؤها على الانتساب إلى صحافي يدعى محمد نمر يدعوه فيها إلى البرنامج ويقول له: «محضرين كل الوسائل الخاصة وميشال المر مجهز كل شي لطرد موالي عون - باسيل وفي أمن مسلحين ناطرين بالخارج للقيام بالواجب».

لكن العنصر الحاسم في الخلاف السياسي الذي نشب على خلفية الاحتقان المتبادل بين الجمهور المؤيد للنائب وضاح الصادق والجمهور المؤيد للنائب شربل مارون، وانضم إليه عناصر أمن محطة المر (غالبيتهم عناصر في «القوات اللبنانية») أو مؤيدون لها)، وعمدوا إلى ضرب الشباب العوني مما أدى إلى دخول 5 شبان إلى المستشفى. الخلاف بدأ عندما قدم ناشط من التيار يدعى الياس الزغبي مداخلة للرد على وضاح الصادق، فحصل توتر بين الجمهور لا سيما بعد قول الزغبي للصادق أنه من الطبيعي ألا يدري ما حصل في 13 تشرين، لأنه يومها كنت تائهاً بين نشيدين وطنيين. تلا ذلك تلاسن مما بين شاب عوني وشاب من جمهور الصادق من منطقة الضنية، ثم دخل عنصر أمن المحطة وهو قواتي ليقول للعوني: «سدّ بيعك» ويبدأ بضربه. قبل أن يلحق به عناصر الأمن في الخارج ويبدأوا بضرب العونيين.

حاول غانم تدارك الوضع بتكليف أحد مرافقيه استدعاء الزغبي من بين الجمهور لتهدئة رفاقه العونيين، لكن «أمن» المر استبق وصول الزغبي إلى غانم وعاجله بالضرب وبالركل حتى بدأ غانم بالصراخ عليهم لردعهم: «رح تقتلوه». وبالفعل، يعاني الزغبي من إصابة في شبكة العين ورضوض في الجمجمة. في هذه الأثناء، اتصلت ناشطة من التيار بمن هم في الخارج للمساندة، لكنهم اصطدموا بعناصر الأمن ولم يتمكنوا من الدخول، بل أخرج العناصر العونيون إلى الخارج وباتوا مطوقين من الناحيتين.

وأن جمهور النائب وضاح الصادق عمد إلى استفزازهم خلال الدقائق الأولى من البرنامج عبر شتم العهد والرئيس ميشال عون. وقد استخدم الفريقان وسائل تدعم روايتيهما، فتناقل الفريق الأول تغريدة لشاب عوني عبارة عن «سيلفي» من داخل الاستوديو مذيلة بعبارة «نحنا والنايب شربل مارون ناويينلك يا مارسيل»، مقابل نشر الفريق الثاني لرسالة على الواتساب منسوبة إلى الإعلامي مارسيل غانم وموجهة إلى صحافي يدعى محمد نمر يدعوه فيها إلى البرنامج ويقول له: «محضرين كل الوسائل الخاصة وميشال المر مجهز كل شي لطرد موالي عون - باسيل وفي أمن مسلحين ناطرين بالخارج للقيام بالواجب».

لكن العنصر الحاسم في الخلاف السياسي الذي نشب على خلفية الاحتقان المتبادل بين الجمهور المؤيد للنائب وضاح الصادق والجمهور المؤيد للنائب شربل مارون، وانضم إليه عناصر أمن محطة المر (غالبيتهم عناصر في «القوات اللبنانية») أو مؤيدون لها)، وعمدوا إلى ضرب الشباب العوني مما أدى إلى دخول 5 شبان إلى المستشفى. الخلاف بدأ عندما قدم ناشط من التيار يدعى الياس الزغبي مداخلة للرد على وضاح الصادق، فحصل توتر بين الجمهور لا سيما بعد قول الزغبي للصادق أنه من الطبيعي ألا يدري ما حصل في 13 تشرين، لأنه يومها كنت تائهاً بين نشيدين وطنيين. تلا ذلك تلاسن مما بين شاب عوني وشاب من جمهور الصادق من منطقة الضنية، ثم دخل عنصر أمن المحطة وهو قواتي ليقول للعوني: «سدّ بيعك» ويبدأ بضربه. قبل أن يلحق به عناصر الأمن في الخارج ويبدأوا بضرب العونيين.

حاول غانم تدارك الوضع بتكليف أحد مرافقيه استدعاء الزغبي من بين الجمهور لتهدئة رفاقه العونيين، لكن «أمن» المر استبق وصول الزغبي إلى غانم وعاجله بالضرب وبالركل حتى بدأ غانم بالصراخ عليهم لردعهم: «رح تقتلوه». وبالفعل، يعاني الزغبي من إصابة في شبكة العين ورضوض في الجمجمة. في هذه الأثناء، اتصلت ناشطة من التيار بمن هم في الخارج للمساندة، لكنهم اصطدموا بعناصر الأمن ولم يتمكنوا من الدخول، بل أخرج العناصر العونيون إلى الخارج وباتوا مطوقين من الناحيتين.

وهنا تختلف الروايتان، يقول موظفو الـ «أم تي في» إن إطلاق النار بدأ من «الحرس القديم» وهم مجموعة عونية من القدامى الذين كانوا متجمعين على بعد أمتار من مدخل المحطة، عندها أتى عناصر أمن المحطة بأسلحتهم، وبادروا إلى إطلاق النار في الهواء عندما تقدّم «الحرس القديم» باتجاههم محاولين الدخول إلى الاستوديو. فيما تقول الرواية العونية إن الشبان لم يكن بحوزتهم سلاح والدليل أن لا فيديو يظهر ذلك بين كل المقاطع التي انتشرت وأنهم استدرجوا إلى كمين حيث جرى ضربهم بالبنادق والعصي ما استدعى نقل بعضهم إلى المستشفيات. وتشير إلى أن مارسيل غانم «اخترع» خبر انتشار عناصر من التيار أمام المدخل، فيما هؤلاء الشباب تم منعهم من الدخول إلى الاستوديو في بداية الحلقة.

بين الروايتين الثابت أن ميشال المر استخدم السلاح في وجه شباب غير مسلحين، وانهال رجال أمنه بالضرب على العونيين كما لو أن ثمة ثأرا. وتقول مصادر في «أم تي في» إن المشكلة تفاقمت مع وصول فريق من مغاوير الجيش بحيث بدأوا بضرب كل من يمرون بقربه بدءاً بالحرس القديم ثم بعناصر أمن المحطة. بالتزامن مع ذلك، كان العقيد معوض المسؤول عن الأمن في المتن الشمالي والذي وصل بلباسه المدني، يتكلم مع نائب رئيس مجلس إدارة المحطة حبيب غبريل. ولما شاهد غبريل «السكيوريتي» يتعرضون للضرب من قبل الجيش طلب منهم التوقف مشيراً إلى أن هؤلاء ليسوا إسرائيليين، فانهالوا عليه بالضرب أيضاً وعلى العقيد معوض من دون أن يتعرفوا إليه. وإلى داخل الاستوديو وصلت فرقة من فرع المعلومات في قوى الأمن الداخلي بناء لطلب وزير الداخلية بسام المولوي لإخراج وضاح الصادق ومحمد نمر اللذين اختبأ في الصالون المجاور للمحطة. لكن «المعلومات» لم تتمكن من إخراجهما بعد رفض الجيش ذلك باعتبار أنه الجهة المؤكلة بفرض الأمن وحماية الضيوف، فانسحب عناصر المعلومات، فيما حضر عناصر أمن الدولة أيضاً لضمان حماية النائب شربل مارون الذي كان يبحث عن زوجته وابنه. وقد استمر الاشتباك إلى ما بعد منتصف الليل.

جنبلاط يمارس التهدئة

باشر رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط خلال الأيام الماضية، سياسة استباقية لمنع أي توتّر بين محازبيه وأنصار التيار الوطني الحرّ بالتزامن مع خروج الرئيس ميشال عون من قصر بعبدا وما رافقه من تحركات لأنصار التيار في الشارع. وقبل يوم الأحد الماضي أبلغ جنبلاط مسؤولي المناطق والمسؤولين الحزبيين والنواب بضرورة التهدئة، ومنع أي احتكاك في الجبل بين الاشتراكيين والعونيين خلال انتقالهم من القرى إلى بعبدا لوداع عون، وعدم القيام بحملات إعلامية أو استفزازات للجمهور العوني. وانعكس الأمر في التصريحات الهادئة لنواب الاشتراكي في جلسة الخميس. ويبدي جنبلاط قلقاً على الوضع الأمني في ظل الفراغ والتجاذب القائم في الساحة المسيحية بين التيار الوطني الحر والقوات اللبنانية وعدم وضوح حلول في الأفق، ومن مساعي أطراف إلى توتر أكبر في البلد لتحريك المياه الراكدة، ما يدفعه إلى العمل على تحييد الجبل عن تداعيات التوترات المحتملة.

تغريدات ورسائل واتس اب تعكس نوايا مبيتة قبل اندلاع المواجهة في الاستديو

تقرير

الضغوط الأميركية متواصلة: عقوبات على شبكة نفطية بتهمة دعم حزب الله

استأنفت الإدارة الأميركية الضغوط المباشرة على قطاع الأعمال الذي يقوده لبنانيون في أكثر من منطقة في العالم، بحجة أنّها مشاريع تخدم حزب الله، لكن الضغوط التي تنتهي على شكل عقوبات جديدة إنما تستهدف المزيد من الضغوط على البيئة الاجتماعية التي يتمتع حزب الله بنفوذ كبير فيها، وذلك ضمن خطة تفترض أنه يمكن من خلال هذه العقوبات محاصرة الحزب والضغط عليه للتنازل في ملفّي الصراع مع إسرائيل وملف الانتخابات الرئاسية. والجديد هو اتهام «مكتب مراقبة الأصول الأجنبية» (OFAC)، التابع لوزارة الخزانة الأميركية، عدداً من الأفراد والكيانات بالضلوع في ما وصفها «شبكة تهريب نفط إيرانية»، لتحقيق إيرادات لحزب الله و«فيلق القدس» التابع للحرس الثوري الإيراني. وتشمل عدداً من الأفراد والشركات والسفن التي شاركت في «مزج» النفط لإخفاء أصوله الإيرانية، في الإمارات العربية المتّحدة، قبل تصديره إلى جميع أنحاء العالم لدعم حزب الله و«الحرس»، بحسب تقرير نشره الموقع الإلكتروني للوزارة.

الاتّهام ليس الأوّل من نوعه. ففي أيّار الماضي، أعلن «OFAC» عن «شبكة دولية لتهريب النفط وغسل الأموال بقيادة مسؤولين من فيلق القدس»، سهّلت «بيع ما قيمته مئات الملايين من الدولارات من النفط الإيراني لمصلحة حزب الله وفيلق القدس». آنذاك، زعم وكيل وزارة الخزانة لشؤون الإرهاب والاستخبارات المالية، بريان إي نيلسون، أنّ «الولايات المتحدة لا تزال ملتزمة بشكل كامل بمحاسبة النظام الإيراني على دعمه لوكلاء الإرهاب، الذين يعملون على زعزعة الاستقرار في الشرق الأوسط»، فضلاً عن العقوبات الغربية الأخيرة على مسؤولين إيرانيين كبار وكيانات في الإمارات العربية المتّحدة، في دولة، والتي اعتبرتها طهران ممارسات تهدف إلى «انتزاع تنازلات منها على طاولة المفاوضات حول الاتفاق النووي الإيراني».

هذه المرة، نقل موقع وزارة الخزانة عن نيلسون، قوله، الخميس، إنّ «الأفراد الذين يديرون هذه الشبكة غير القانونية يعتمدون على شبكة

واشنطن تتهم حزب الله والحرس الثوري بتسييل النفط لتمويل أنشطتهما

من الشركات الوهمية والتكتيكات الاحتيالية، التي تشمل تزوير الوثائق للتغطية على أصول النفط الإيراني وبيعه في السوق الدولية، والتهرب من العقوبات». ويتّهم المكتب الأميركي المواطن الإيراني، ومدير الشركة الإيرانية «GILDA TAR KARVAN INTERNATIONAL COMPANY»، إدمان نافريه، بالإشراف على شبكة من عشرات الشركات التي دعمت «مزج النفط الإيراني وتصديره بشكل غير قانوني»، وذلك «بناءً على أوامر من مسؤولين إيرانيين رفيعي المستوى، على صلة بمكتب المرشد الأعلى لإيران، لتحويل أرباح عمليات تهريب النفط التي تقوم بها الشركة إلى الشركات والحسابات المصرفية المرتبطة بحزب الله والحرس الثوري».

ومن بين الأشخاص الآخرين الذين اعتبر التقرير أنّهم على صلة بالشبكة، الفرنسية تاتيانا والإيرانيان إدمان نافريه وروزبيه زاهدي، واللبناني محمد الزين، بتوظيف «العشرات من الشركات التي يسيطرون عليها، للقيام بأنشطة الشبكة غير المشروعة». ويتّهم المكتب الأميركي المواطن الإيراني، ومدير الشركة الإيرانية «GILDA TAR KARVAN INTERNATIONAL COMPANY»، إدمان نافريه، بالإشراف على شبكة من عشرات الشركات التي دعمت «مزج النفط الإيراني وتصديره بشكل غير قانوني»، وذلك «بناءً على أوامر من مسؤولين إيرانيين رفيعي المستوى، على صلة بمكتب المرشد الأعلى لإيران، لتحويل أرباح عمليات تهريب النفط التي تقوم بها الشركة إلى الشركات والحسابات المصرفية المرتبطة بحزب الله والحرس الثوري».

ومن بين الأشخاص الآخرين الذين اعتبر التقرير أنّهم على صلة بالشبكة، الفرنسية تاتيانا ريابيكوفا، التي كانت «موظفة لدى أرتيموف وساعدت في تنسيق معاملاته المالية»، والسويسري غريغوريو فازون، «المدير التنفيذي لشركة Ava Petroleum Services والعضو الوحيد فيها».

التقرير الأميركي يولي اهتماماً خاصاً بأرتيموف، باعتبار أنّه «استغلّ بشكل خاص شركاته الكثيرة لشراء وبيع ناقلات النفط»، واستخدامها في ما بعد لنقل النفط الإيراني المخلوط بالنيابة عن الشركة. وهو أيضاً من خطّط مبيعات النفط للمشترين الآسيويين، اعتباراً من أواخر عام 2021، مع محمد إبراهيم بزي، المتّهم من «OFAC»، في أيار 2018، بأنّه من الممّولين الرئيسيين لحزب الله. وبحسب البيان، فقد أدّت شبكة الشركات التي يديرها دوراً محورياً في أعمال الشبكة، ومن ضمنها شركة Ava Petroleum التي يديرها، وPetro Naviero التي يديرها ويمتلك 50 في المئة منها، والتي كانت تسيطر، عبر العديد من الشركات التابعة، على عدة سفن كانت تستخدم في شحن النفط. ومن بين شركاته الأخرى، Centrum Maritime ،Energotrade Plus DMCC ،Intrepid Navigators ،Rising Tide Shipping، وغيرها.

الشركات الرئيسية

في المحصلة، تشمل الاتهامات 11 شركة أساسية، وهي:

-شركتان مقرهما دبي، الإمارات العربية المتحدة، وهما: AL HAKEEL AL ASWAD OIL TRADING LLC وENERGOTRADE PLUS DMCC.

-شركة إيرانية، وهي: GILDA TAR KARVAN INTERNATIONAL COMPANY

-شركة مقرها جنيف، سويسرا، وهي: AVA PETROLEUM SERVICES S.A

-شركتان مقرهما سنغافورة وهما: CENTRUM MARITIME PTE. LTD وPETRO NAVIERO PTE. LTD

- شركتان مقرهما تركيا، وهما: EXPANSE SHIP MANAGEMENT LIMITED، وMONUMENT SHIP MANAGEMENT LIMITED

أمّا باقي الشركات، فمقرّها جزر مارشال، وهي:

AZUL VISTA SHIPPING-CORPORATION

BLUE BERRI SHIPPING INC-

INTREPID NAVIGATORS S.A-

HARBOUR SHIP-MANAGEMENT LIMITED

PONTUS NAVIGATION CORP-

RISING TIDE SHIPPING»-

«CORP TECHNOLOGY BRIGHT»-

«INTERNATIONAL LIMITED

«TRITON NAVIGATION CORP»-

VISTA CLARA SHIPPING»-

«CORPORATION

علم وخبر

إسرائيل تضغط على المغرب

في سياق الضغوط الأميركية – الإسرائيلية على دول عربية لإعلان الخصومة مع إيران وحزب الله، استجابت الرباط أخيراً لشن حملة ضد إيران والحزب على خلفية حربها مع جبهة البوليساريو. وتولى السفير المغربي في الأمم المتحدة عمر هلال إرسال رسالة إلى مجلس الأمن الدولي يطلب فيها التدخل للضغط على إيران والحزب لوقف ما اسماه «عملية تقويض الأمن في دول المغرب العربي». وتحدث السفير المغربي عن أن «لإيران وحزب الله تواجداً في منطقة في جنوب الجزائر لتدريب مقاتلي البوليساريو وتسليحهم بطائرات مسيرة من صناعة إيرانية». ومع أن المغرب لم يقدم أي دليل على هذه الاتهامات التي بدأ توجيهها قبل مدة، إلا أن الحكومة اللبنانية تدرس الأمر على نحو جدي لاحتواء الموقف المغربي بعدما قال هلال إن «المغرب سيرد بقوة وسيتعاطى مع تبعات الأمر». مع الإشارة إلى أن لبنان لم يتبلغ رسمياً أي معطيات حسية تثبت الادعاءات المغربية كما هي الحال بالنسبة لدول أخرى من بينها الجزائر التي تصف ادعاءات المغرب بأنها استجابة لضغوط من قبل جهات معادية لإيران وحزب الله.

هوكشتين: الاتفاق باقٍ مع نتنياهو

تبلّغ مسؤولون لبنانيون كان لهم دور بارز في ملف ترسيم الحدود البحرية جنوباً مع فلسطين المحتلة رسالة من الوسيط الأميركي عاموس هوكشتين بأن الاتفاق لن يتأثر بفوز أحزاب اليمين بقيادة زعيم حزب الليكود بنيامين نتنياهو في الانتخابات الإسرائيلية، وأكد الوسيط الأميركي أن الضمانة الرئيسية للاتفاق في إسرائيل تأتي من جانب الجيش وجهاز الأمن القومي وكل الأجهزة الأمنية المعنية بالصراع مع حزب الله.

لجنة لبنانية – جزائرية مشتركة

تواصل وزير الطاقة الجزائري مع نظيره اللبناني الوزير وليد فياض، مؤكداً على توجيهات الرئيس الجزائري بحل ملف «سوناطراك» العالق قضائياً وتأمين الفيول لصالح مؤسسة كهرباء لبنان، وقد اتفق على تأليف لجنة مشتركة لمتابعة الملف تبدأ عملها الأربعاء المقبل.

عروض الحاكم على المصارف

عرض حاكم مصرف لبنان رياض سلامة على المصارف أن يحرّر لها كمية من الحسابات العالقة بالدولار الأميركي (والتي لا يمكن استعمالها إلا في الداخل وتُعرف باسم «لولار») مقابل دفع ثمنها بمبالغ نقدية بالليرة محسوبة على أساس كل دولار يساوي 8 آلاف ليرة. متابعون في السوق استغربوا عدم حصول إقبال واسع على هذا العرض، إذ إن قيمة الأموال التي حرّرها مصرف لبنان للمصارف لم تتجاوز 800 مليون دولار أو ما قيمته 6400 مليار ليرة. وبذلك، لم يتحقق الهدف من هذا العرض والذي كان يتمثّل في امتصاص مصرف لبنان كمية من الكتلة النقدية التي ضخّها في السوق. فالـ6400 مليار ليرة لا تساوي أكثر من 9% من مجموع الكتلة النقدية، ولا تساوي أكثر من 40% من الكتلة النقدية الإضافية التي ضخّها في السوق اعتباراً من أول تشرين الأول 2022 لغاية 15 تشرين الثاني 2022 والبالغة 16109 مليارات ليرة.

إحياء لجان بحثاً عن تمويل خارجي

تصرّ إدارة معهد باسل فليحان على إحياء لجنة وزارية كانت مهمتها بحسب قرار إنشائها في مجلس الوزراء «مراجعة مسودة الاستراتيجية الوطنية لإصلاح الشراء العام وخطة العمل التنفيذية تمهيداً لإقرارها، وتيسير تنفيذ خطة العمل الإصلاحية بما فيه التواصل مع الجهات الدولية لتأمين الموارد اللازمة والمساندة الفنية، متابعة وضع المراسيم والنماذج التطبيقية المتعلقة بقانون الشراء العام» من أجل تسهيل حصولها على تمويل من البنك الدولي عبر جمعية «غربال» وجمعيات أخرى. المعهد كان مكلفاً بإدارة أمانة سرّ اللجنة ما يتيح له التواصل مع الهيئات المانحة والطلب منها تمويلاً محدداً عادة ما يتم بالتعاون مع جمعيات المجتمع المدني مثل «غربال» التي تتلقى تمويلها من جهات غربية.

تأجيل تسريح العرم

بعد سقوط مشروع اقتراح تأخير تسريح المدراء العامين في الأجهزة الأمنية لصعوبة تأمين التوافق السياسي حوله، سرب أن رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط عاد للتداول بمصير رئيس الأركان في الجيش العميد أمين العرم. وعلم أن المخرج الذي يسعى جنبلاط لتأمينه، يقضي بأن يُصدر وزير الدفاع قراراً يقضي بتأجيل تسريح العرم وتمديد خدماته في رئاسة الأركان عملاً بقاعدة تسيير المرفق العام، من دون أن يسري القرار على عضوية العرم في المجلس العسكري. يشار إلى أن العرم يحال على التقاعد الشهر المقبل.

طلب إخلاء سبيل بـ80 ألف ليرة

يقوم موظفون في سرايا طرابلس ببيّع طلبات إخلاء السبيل للأهالي مقابل 80 ألف ليرة، ما أثار غضب بعض أهالي الموقوفين الذين أشاروا إلى أن لا مسوّغ قانونياً لبيّع هذه الطلبات خصوصاً أن الذي يقوم ببيعها هو أحد موظفي الكافيتيريا بالتواطؤ مع موظفي السرايا، لافتين في الوقت عينه إلى أنهم قاموا بدفع المبلغ لأنهم مجبرون على ذلك.

سيرة الحكم في لبنان في سيرة صائب سلام [14]

أسعد أبو خليله*

لا يزال حديثنا هنا عن مذكّرات صائب سلام التي صدرت حديثاً في ثلاثة أجزاء بعنوان: «صائب سلام: أحداث وذكريات». وقلتُ من قبل إن الأجزاء الثلاثة هي يوميّات دوّنها صائب ونشرتها العائلة كما هي من دون تصحيح أو تنقيح أو تحرير، مع أنها تنقل صورة معبّرة عن مكنونات صائب سلام وتفكيره في محطات تاريخيّة هامّة شارك هو في صنع بعضها. وتضمّنت اليوميّات في الجزء الثالث بعض ما جاء في أحاديث صائب مع الصحافي شكري نصرالله في سنوات إقامته في جنيف.

ويساورُ صائب قلقٌ شديد من نيّة حافظ الأسد التخلّص منه ووصلته معلومات بهذا الشأن من مصادر مختلفة، بما فيها رضوان السيّد الذي—حسب يوميّات صائب—كان وثيق الصلة بسكرتير محمد غانم (ما حُكم المقّفّى الذي يطمح في رحلة المعرفة أن يكون وثيقَ الصلة بمسؤول مخابراتي؟، ص. 857، ج2). وتخوّفُ صائب كان في محلّه. وهذه صفحة لم تُراجع في علاقة لبنان بالنظام السوري في عهد حافظ الأسد. كان النظام السوري يتخلّص من معارضيه من السوريّين واللبنانيّين والفلسطينيّين ببساطة شديدة. كيف يمكن لي—ومَن أنا—أن أغفر مثلاً أن النظام السوري قتل الشاعر والمناضل البعثي (الموالي لجناح العراق) موسى شعيب؟ وخوف صائب جاء في سياق تعذيب واغتيال سليم اللوزي في بيروت. وعندها، اضطرّ صائب إلى مغادرة بيروت إلى جنيف. وفاتح وليد جنبلاط سلام بمخاوفه من السوريّين (ص. 872، ج2).

ويرد في الحديث إشارة إلى الرجل الغامض، خليل أبو حمد، وهو كان محامياً معروفاً وكان وزيراً للخارجيّة في عهد سليمان فرنجيّة، وكان وثيق الصلة بالحكومة الأميركيّة في سنوات الحرب. وكان قليل الإطلالات الإعلاميّة من دون أن يبتعد عن السياسة في سنواته خارج الحكم. وخليل أبو حمد هو الذي دبّر التعارف بين بشير

> بات منحازاً ضد الفريق الفلسطيني والسوري والمتحالفين معه. هو مثلاً لا يصدّق أن الكتائب كانت مسؤولة مباشرة عن إشعال معركة زحلة

> يحادث السفير الأميركي عن «الإرهاب الفلسطيني» وفي كلامه لم يكن يختلف عن كلام بيار الجميّل أو حكّام إسرائيل

الجميّل وإدارة ريغان لأنه كان—باعتراف رفاق بشير—وثيق الصلة بوليام كيسي، الذي عيّنه ريغان مديراً للمخابرات المركزيّة. وغاب خليل أبو حمد عن السمع لعقود قبل أن يطلّ في عام 1986 كي يؤيّد الاتفاق الثلاثي الطائفي والذي رعاه النظام السوري مع استبعاد للسنّة عنه (كان الاتفاق تفاهماً بين إيلي حبيقة ونبيه برّي ووليد جنبلاط وعدد من المسيحيّين ممن فهم فؤاد بطرس الذي يريدنا أن ننسى حضوره). وخليل أبو حمد نقل إلى صائب طلباً من سركيس لتأليف وزارة. أمّا كميل شمعون، فنقل إليه مبادرة من نوع آخر: صرّح شمعون عبر مبعوث بعدائه للكتائب وهو طلب التعاون من سلام. وقال سلام إن شمعون فاوض السفير السعودي علي الشاعر للحصول على مبلغ خمسة ملايين ليرة «ليقف في وجه الكتائب». وطلب شمعون مساعدة سلام في هذا الشأن (ص. 879، ج2-الطريف في طلب شمعون أن الكتائب كان تتلقّى هي الأخرى تمويلاً من السعوديّة). هذه هي السياسة اللبنانيّة على حقيقتها: من وليد جنبلاط إلى كميل شمعون، ساسة يعرضون أنفسهم للإيجار أمام السفير السعودي في لبنان.

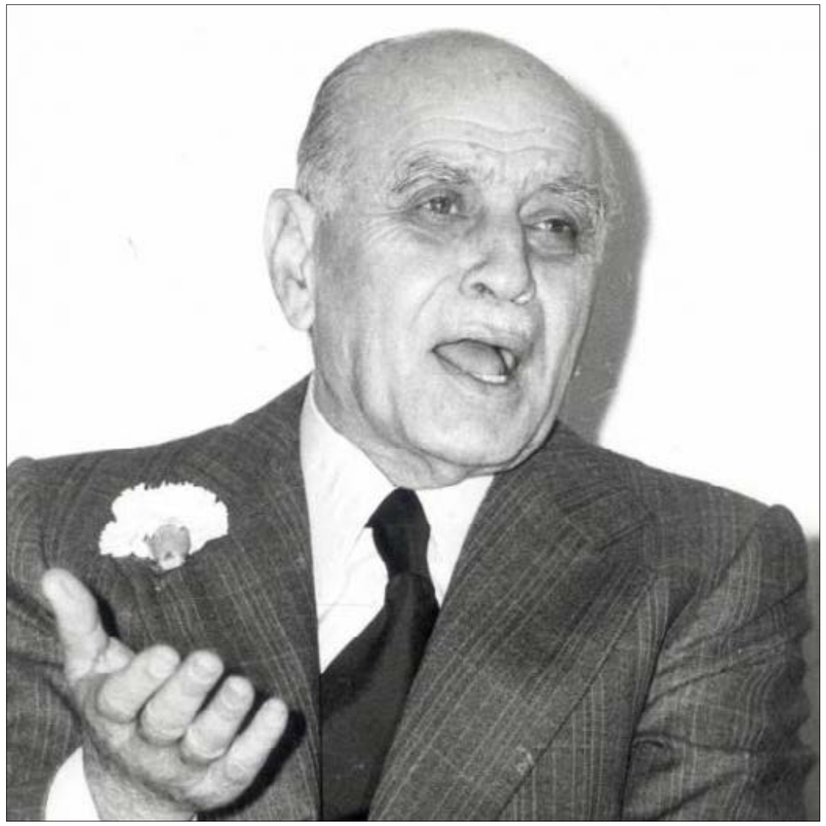

ما أشبه الأمس باليوم. وصائب ممتعض، كالعادة، من شحّ التمويل السعودي له لكنّ السفير علي الشاعر طمأنه بأنه سيمدّه بمساعدة ماليّة وأنه «لن يعود إلا ومعه ثلاثون مليون ليرة لـ«المدرسة المهنيّة» التي وعد بها الأمير فهد، وثلاثون أخرى مساعدة سنويّة للمقاصد» (ص. 979، ج2). لكن صائب تابع «الاتصال مع العراق»، وعاد تمّام من رحلة «وانطباعه أنها رحلة موفّقة للغاية». (ولم تكن العلاقة المستجدّة بين صائب ونظام صدّام حسين تروق للنظام السوري، وكانت هذه أحد أسباب امتعاض حافظ الأسد منه). وزادت حدّة المواجهة والصراع بين «أمل» والمنظّمات الفلسطينيّة (طبعاً، في السردية اللبنانيّة الحاليّة، يُقحم اليساريّون المتقاعدون واليمينيّون في إعلام الخليج بحزب الله كأنه كان موجوداً في تلك الفترة). وصارح صائب سلام ياسر عرفات بأن «المسلم السنّي البيروتي وليس الشيعي الجنوبي وحده أصبح يكرههم أكثر مما يكره الإسرائيلي» (ص. 880، ج2). ويقول صائب في موضع آخر: «المسلم في لبنان (في عام 1981) أصبح يكره الفلسطيني والسوري أكثر مما يكره الإسرائيلي والكتائبي رغم أنه يعادي الآخرين» (ص. 915، ج2). لكن هذا غير صحيح: بقي أهل بيروت في تلك الفترة على عدائهم للإسرائيليين فيما بدر عن شيعة الجنوب تعاطف أكيد مع العدوّ (وكنتُ شاهداً على ذلك في حينه، ولا يمكن إقناعي بتغيير انطباع لمسته لمس اليد واستهجنته وشعرت نحوه بالقرف الشديد). ويتحدّث صائب عن «الممارسات الشاذّة» من قبل المقاومة الفلسطينيّة وأحزاب الحركة الوطنية. وهذا لا يمكن إنكاره والممارسات هذه كانت من قبل لبنانيّين وفلسطينيّين على حد سواء. لكن يشطّ صائب كثيراً عندما يصف «القوى الوطنيّة» بأنها «ليست سوى فريق من ضعاف النفوس، يسيّرها المال منهم ومن بعض الدول العربيّة» (ص. 880، ج2). ولو، يا صائب، هناك المئات والآلاف من الذين انخرطوا في النضال، واستشهد كثيرون منهم من دون مقابل. الشهيد ظافر الخطيب سقط في مواجهة القوى الانعزاليّة ولم يكن يحلم إلا بإقامة نظام اشتراكي ثوري في لبنان. ويظهر في سرديّة صائب كيف أن ياسر عرفات أدرك أن الحركة الوطنيّة خسرت قواعدها الشعبيّة بحلول أواخر السبعينيّات فصار يلوذ بقوّى الإسلام التقليدي طمعاً بمشروعية سياسيّة خسرها (ص. 881، ج2). ويستمرّ صائب في التعريض بخصومه وأعدائه «على الماشي». يذكر الفتى حسن خالد ويضيف: «مسكين المفتي، هو والجماعة الذين يلوذون به، فهم يستحقّون الشفقة، ومن الخير أنه في الآونة الأخيرة راح يجنح إلى الصمت فلا يتورّط» (ص. 881، ج2). الطريف أن صائب يعيب على المفتي قربه من النظام السوري لكن سردية 14 آذار المتبركة (والتي أعادت كتابة سيرة الحرب الأهليّة وفق مخيّلة بيار الجميّل وأبو آرز) تجعل من المفتي مناضلاً شرساً ضد النظام السوري. ويستمرّ ذكر وليد جنبلاط ومحاولاته اللعب على الحبال واتخاذ مواقف في السرّ بعكس المواقف المُعلنة. يقول صائب: «زارني وليد جنبلاط، وكان أبو عمار قد طالبني بأن أبقي الصلة معه لمحاولة استيعابه، فهو صعب وضائع، من جهة هو خائف من السوريّين وواقع تحت ذعرهم منذ مقتل والده، كما أنه لا يمكنه التخلّي عن الحركة الوطنيّة وهو إرث والده، وهو اليوم الزعيم الدرزي الوحيد تقريباً في الساحة، ومن جهة أخرى، فهو يحبّ العيش ولذّاته، كما تعوّد طيلة حياته، وكلّ وإجباته اليوم هي ضدّ طبيعته» (ص. 883، ج2). وينقل صائب عن رجاء الشربجي أن «رفعت الأسد عاد من السعودية من سفرته الأخيرة بمساعدة لسوريا بلغت 641 مليون دولار، عدا هداياه الشخصيّة» لكن حالة من التوتّر سادت بين النظامين و«انفجر» الأمير سلمان أمام رجل الأعمال، فيصل أبو خضرا (مؤلّف مجلّة «المستقبل» في تلك الفترة) قائلاً: «إن كان السوريّون يريدون مخاصمتنا كما يبدو فنحن لها وعلى كامل الاستعداد» (ص. 891، ج2).

ويقول صائب إن السوريّين فكّروا في تكليف مالك سلام (شقيقه) رئيساً للوزراء «ويعتقدون أن ذلك ضدّي، بينما أنا أرحّب بذلك ولا أنكره» (ص. 895، ج2). كيف ترحّب بذلك وأنت لم تنفكّ عن تقريع شقيقك في اليوميّات ووصفته بأداة النظام السوري في لبنان؟ ويقول صائب في تلك الفترة عن النظام السوري ورؤساء الوزارة: «السوريّون على ما يبدو أصبح واضحاً أنهم لا يريدون في لبنان سوى عبيد وعملاء أو ماجورين» (ص. 904، ج2). ثم تقول إنك لا تمانع في وصول مالك شقيقك إلى رئاسة الوزارة؟ وينقل صائب حديثاً بينه وبين كامل الأسعد في إيفيان (التي كان الأسعد يقصد نواديها في تلك الحقبة لبحث شؤون جنوب لبنان والعدوان الإسرائيلي عليه) وفيه يقول صائب: «ذكرتُ له أن الشيخ محمد مهدي شمس الدين قد تسلّم زمام القيادة منظمة «أمل» وأنه هو الذي يصرف عليها (بأموال من الخميني حسب تقدير العارفين) وأنه ينحو نحو التعصّب الشيعي المتطرّف» (ص. 895، ج2). الطريف أن بعض دعاة الدولة المدنيّة تحت مظلّة 14 آذار يستشهدون بمواقف شمس الدين على أنها نموذج للمدنيّة السياسيّة. وينقل صائب عن الأسعد أن رفيق شاهين ومحمود عمّار حاولا الضغط عليه «في سبيل إعلان العداء للفلسطينيّين والاتفاق مع الموارنة ضد السنّة لمحاربتهم» وقد ماشى كاظم الخليل النائبين في توجّههما (فاز رفيق شاهين في انتخابات النيابيّة الفرعيّة في عام 1974 مدعوماً من قبل موسى الصدر ضد مرشّح كامل الأسعد، ومحمود عمّار كان نائباً في كتلة شمعون، التي كان كاظم الخليل نائباً لرئيسها). والأخطر أن الأسعد أخبر صائب أن محمد مهدي شمس الدين كان في نفس موقف النوّاب الثلاثة لكن الأسعد شرح له خطأ هذه السياسة (ص. 896، ج2). وشمس الدين كان من أوّل الذين حملوا فزّاعة التوطين ضد الشعب الفلسطيني في لبنان، كما أنه دعم حكم أمين الجميّل ورفض إصدار فتوى الثورة عليه، كما ذكر نبيه برّي في كتاب نبيل هيثم «أسكن هذا الكتاب».

لا يذكر صائب أفراد عائلته إلا لماماً، لكنه في موقع يذكر شقيقته، عنبرة ورشا ويقول: «وقد اغتنمتُ الزيارتَيْن فقدّمتُ لكلّ من عنبرة ورشا خمسة آلاف ليرة لشعوري بحاجتهما. ولطالما كنتُ أكرّر ذلك في عيد أو مناسبة ما إذ كنتُ أشعر برضى نفسي كبير، كما أشعر بأن أبي وأمّي يرضيان عنّي فيه. وعلى كلّ فليس من لذّة في نظري ولا من نعمة أكبر من لذّة العطاء ونعمة العطاء» (ص. 904، ج2). هل من اللائق، يا صائب، أن تذكر أنك قدّمت مبلغاً من المال إلى شقيقتيْك؟ وقد اصطكّت ركاب قادة الحركة الوطنيّة بحلول عام 1981، وأصبحوا يزورون صائب سلام سرّاً (ص. 909، ج2) بعد أن كانوا يتخصّصون في هجائه، والكلّ يرسل له أنهم مكرهون في مواقفهم. ويذكر مثلاً أن محمد قباني بات يميل نحوه، وقباني عاد وأيّد سليم الحصّ قبل أن يصل إلى رفيق الحريري ويصبح نائباً في كتلته وكتلة ابنه من بعده. معظم قادة الحركة الوطنيّة كانوا من هذه الطينة والحركة انهارت ليس بسبب مؤامرة خارجيّة من إيران أو من غيرها، بل لأن الناس نفروا منها ولأن فساد قادتها جعلهم عرضة للبيع والشراء.

لكن صائب بات منحازاً ضد الفريق الفلسطيني والسوري والمتحالفين معه. هو مثلاً لا يصدّق أن الكتائب كانت مسؤولة مباشرة عن إشعال معركة زحلة. هو على يقين أن النظام السوري أشعلها (ص. 916، ج2). لكن هذا غير صحيح إطلاقاً. نحن نعلم اليوم علم اليقين (ومن مراجع غربيّة وإسرائيليّة) أن بشير الجميّل أشعل معركة زحلة لأنه استعجل في طلب تدخّل عسكري إسرائيلي بعد وصول الليكود إلى الحكم في إسرائيل. وبلغ من انحياز صائب أنه قال مجافياً الحقيقة: «ولا أريد أن أبرّئ الطرف الكتائبي من اشتراكه في هذا القصف الوحشي، ولكنّ الحقيقة والتاريخ أقرّ بأن البادئ كان في أكثر الأحيان، وأكاد أقول دائماً، هو من جانب المنطقة الغربيّة، أي رعاع ما يُسمّى الأحزاب والتنظيمات، وكلّها بلا تحريض سوري» (ص. 942، ج2). هنا يُشوّش الحقد السياسي والشخصي الرؤية على صائب سلام، الذي ينسى أنه كانت هناك تنظيمات يمينيّة تخصّصت في إشعال الجبهات عندما تهدأ، وأعني هنا مثلاً ميليشيا «التنظيم» التي أنشأتها مخابرات الجيش اللبناني في عهد جول بستاني. كما أن الوثائق الأميركيّة تنقل أن كميل شمعون كان يشعل الحرب في عام 1975 لأنه استورد باخرة من الزجاج. ويبلغ اللين في موقف سلام من الانعزاليّين حداً يجعله يتهاون فيه مع تعامل بشير الجميّل مع إسرائيل، إذ يقول: «العقبة ليست عند «المقاومة اللبنانيّة» وتعاملها مع إسرائيل، فهذا يمكن تذليله» (ص. 947، ج2). قال صائب هذا الكلام قبل سنة الاجتياح الإسرائيلي للبنان والذي لعب فيه بشير الجميّل دور الأداة. بشير الجميّل مُشارك في حصار بيروت الغربيّة لكن صائب سلام يتساهل مع جرائمه بإيعاز سعودي، لأننا بتنا نعلم اليوم كم أن الحكومة السعوديّة كانت ترعى بشير الجميّل وأدوات إسرائيل في لبنان.

ويبدو أن وليد جنبلاط ماشاه في موقفه هذا في تلك الحقبة وكان جنبلاط يقترب رويداً رويداً—في السرّ لا في العلن—من بشير الجميّل. وتخصّص سمير فرنجيّة في نقل الرسائل بين بشير الجميّل وقادة «وطنيّين» في بيروت الغربيّة، ثم زاره أبو عمّار وأخبره عن لقاءاته في السعوديّة حيث التقى مع الأمراء فهد وعبدالله وسلطان وسعود وعلي الشاعر. ونقل له مشاعرهم نحوه «مع سلام خاصّ من الملك... وأنهم مصمّمون على دعمنا إسلاميّاً». لكن صائب كان قد ضاق ذرعاً بالوعود السعودية فقال: «فقلتُ لا أسمع إلا تعابير عاطفيّة ونوايا، ولكن ليست هنالك أي ترجمة عمليّة لذلك» (ص. 936، ج2). هل يمكن تصوّر صائب سلام الزعيم البيروتي وهو يعبّر عن امتعاضه من الموقف السعودي في العلن؟ لكن صائب يعود بعد صفحات قليلة ويقول: «قطرة من غيث تنعش الآمال. حمل إليّ اليوم السفير علي الشاعر هبة من المملكة العربيّة السعوديّة، شيكاً بقيمة 30 مليون ليرة، مع تحيّات الملك خالد والأمير فهد ودعوة رسميّة لزيارة المملكة..فشكرتُ له وللمملكة هذه الهبة السخيّة» (ص. 939، ج2). ثم زار سلام السفير الشاعر وبعد الزيارة يقول: «أدليتُ بحديث شامل فيه إشادة بالشاعر والمملكة» (ص. 947، ج2).

ويتحدّث صائب مع السفير الأميركي الجديد، روبرت ديلون، ويقول له إن الأميركيّين في سياساتهم «يدفعون من يسمّونهم العرب المعتدلين والأصدقاء إلى أحضان اليسار والشيوعيّة» (ص. 949، ج2). ويحادث صائب السفير الأميركي عن «الإرهاب الفلسطيني» وفي كلامه لم يكن يختلف عن كلام بيار الجميّل أو حكّام إسرائيل. يقول صائب: «السفير الأميركي تأثر كثيراً بشيء جديد عليه، وهو أن الإرهاب الدولي أخذ يتمركز في لبنان وفي الأوساط الفلسطينيّة بالذات، وأن جميع من يُسمّى إرهابيّاً في العالم أصبح يتدرّب ويتعاون مع الفلسطينيّين وعندهم وينطلق من لبنان..وأن كلّ هذا الإرهاب أخذ يضرب جذوره في لبنان وأن الأسطول السادس يمكنه أن يقهر دولة ما ولكنّه لا ولن يتمكّن من كبت هذا الإرهاب عندما يستشري» (ص 950، ج2). لكن ما الجديد على السفير في هذا الحديث؟ كانت البروباغندا الإسرائيليّة والأميركيّة والكتائبيّة تقول نفس هذا الكلام وليس من جدّة فيه أبداً. ويرمي صائب صفة الإرهاب على مصطفى سعد ويقول: «الإرهاب المسلّح الذي يمارسه مصطفى سعد» (ص. 951، ج2).

ويذكر صائب نوّاف سلام الذي كان يتردّد إليه في تلك الفترة. يقول: «وتغدّى عندي سمير فرنجيّة مع نوّاف سلام وقد أعجبني هذا الشاب (يتحدّث هنا عن فرنجيّة) الذي أراقبه من مدّة بعيدة وأنا أرغب في عشرة الشباب الواعي دائماً قالوا عنه كما قالوا عن نواف إنهما شيوعيّان، وهذا غير صحيح» (ص. 950، ج2). (وكان سمير فرنجيّة وثيق الصلة بالسفير السعودي، كما أخبرني خالد خضر آغا، رجل الأعمال والسياسي النافذ في تلك الفترة والذي أدار عمليّات المخابرات السعوديّة في زمن فيصل وفهد). ويقوم صائب بزيارة وليد جنبلاط وزوجته لتهنئتهما بزواجهما، ويقول عن الزيارة: «فاستقبلنا بمنطلون الجينز، وفوق هذا جاءت هي أيضاً بالجينز وكأنا وحدهما! فالله الله على تغيّر الزمان، فأين اللياقة الدرزيّة وأين تقاليد الإمارة الدرزيّة؟ هي سنيّة من شركس الأردن، وقد ولّد ذلك بعض النفرة عند الدروز، وبقيادة شيخ العقل! وساعاتب شيخ العقل على ذلك، فهو الذي لا يترك فرصة إلا وينادي فيها بأنه لا فرق بين المسلم والمسلم» (ص. 951، ج2).

زاد انزعاج صائب من أحاديث حليفه ريمون إده. يقول عنه: «يعيد القصص القديمة والاستشهادات ذاتها ليثبت نظريّاته السابقة التي يتمسّك بها، ولا ينظر إلا بمنظار أسود» (ص. 957، ج2). لا شكّ أن نظريّات إده عن الحرب كانت مكرّرة ورتيبة وغير علميّة، وتربط كل التطوّرات بشخص وذهنيّة كيسنجر. كما أن ربطه للتطوّرات في العالم بالوضع اللبناني يذكّر بنظريّات فارس سعيد في العلاقات الدوليّة عندما يتهم الحرس الثوري الإيراني بتطيير مسيّرة في جبيل لتحسين الوضع التفاوضي للفريق الإيراني في فيينّا.

(يتبع)

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

مسيرة جديدة للصين، فرص جديدة للعالم

تشيان مينجيان*

في الشهر الماضي، تمّ اختتام المؤتمر الوطني العشرين للحزب الشيوعي الصيني بنجاح. استعرض هذا المؤتمر ولخّص بشكل شامل الأعمال في السنوات الخمس المنصرمة والتغييرات العظيمة خلال عقد من العصر الجديد في الصين، كما انتخب فيه القيادة المركزية الجديدة للحزب الشيوعي الصيني، ووضع ترتيبات استراتيجية بشأن تطوير قضايا الحزب والدولة في المسيرة الجديدة والعصر الجديد. يتحلّى هذا المؤتمر الوطني العشرون للحزب الشيوعي الصيني بأهمية بالغة، وعقد في لحظة حاسمة استهلّت فيها الصين التقدّم في المسيرة الجديدة لبناء دولة اشتراكية حديثة على نحو شامل والزحف نحو هدف الكفاح عند حلول الذكرى المئوية لتأسيس جمهورية الصين الشعبية، وسيكون لهذا المؤتمر تأثير عميق وطويل في العالم.

في السنوات العشر الفائتة، دخلت الاشتراكية ذات الخصائص الصينية إلى العصر الجديد. وحّد الحزب الشيوعي الصيني أبناء الشعب الصيني وقادهم لتخطي العديد من الصعوبات والتحديات، وحقّق إنجازات رائعة وتغييرات عظيمة في مختلف القضايا. خلال هذه السنوات العشر الماضية، استطاعت الصين انتشال حوالي 100 مليون مواطن ريفي من الفقر، فحلّت مشكلة الفقر المطلق بصورة تاريخية؛ وشكّلت نسبة حجم الاقتصادي الإجمالي الصيني 18,5% من الاقتصاد العالمي فتبوّأت المركز الثاني عالمياً بصورة ثابتة، وتربّعت بثبات على المركز الأول في العالم من حيث حجم قطاع التصنيع واحتياطي النقد الأجنبي، ما حقّق طفرة تاريخية في قوتها الاقتصادية. وازداد معدل نصيب الفرد من الدخل القابل للصرف لدى السكان إلى حوالي 5000 دولار، وأتيحت فرص عمل جديدة لصالح أكثر من 13 مليون شخص بالمعدل السنوي، فتحسنت حياة الشعب الصيني في جميع الأوجه. وصارت الصين شريكاً تجارياً رئيسياً لأكثر من 140 بلداً أو منطقة، وتبوّأت المرتبة الأولى في العالم من حيث حجم تجارة السلع، ما شكّل نمطاً لانفتاح على العالم الخارجي أوسع نطاقاً وأفسح مجالاً وأعمق بعداً. لقد كسر النجاح للتحديث الصيني النمط بشكل أساسي تفرد نموذج التحديث الغربي، ووفّر خياراً جديداً للبشرية في تحقيق التحديث ورفد حل المشاكل المشتركة التي تواجه البشرية بمزيد أفضل من الحكمة الصينية والحلول الصينية والقوة الصينية.

في مسيرته الجديدة خلال العصر الجديد، استهلّ الحزب الشيوعي الصيني رسالةً ومهمّةً جديدتين. أشار الأمين العام للحزب الشيوعي الصيني شي جين بينغ في تقرير المؤتمر إلى أنّ: «من الآن فصاعداً، صارت المهمة المحورية للحزب الشيوعي الصيني هي الاتحاد مع أبناء الشعب بمختلف قومياتهم في كل البلاد وقيادتهم لإنجاز بناء دولة اشتراكية حديثة قوية على نحو شامل، وتحقيق هدف الكفاح الواجب إنجازه عند حلول الذكرى المئوية لتأسيس جمهورية الصين الشعبية، ودفع النهضة العظيمة للأمة الصينية على نحو شامل بالتحديث الصيني النمط». ستواصل الصين التمسك بقيادة الحزب الشيوعي الصيني والاشتراكية ذات الخصائص الصينية، وتسعى إلى تحقيق التنمية العالية الجودة، وتطوير الديموقراطية الشعبية الكاملة العملية، وإثراء محتوى العالم الداخلي للشعب، وتحقيق الرخاء المشترك لأبناء الشعب كافة، وتعزيز التعايش المتناغم بين الإنسان والطبيعة، والمضي قدماً في بناء مجتمع مصير مشترك للبشرية، وخلق شكل جديد من الحضارة البشرية.

> ستواصل الصين دعم دول المنطقة في الدفاع عن سيادتها ووحدة أراضيها واستكشاف طرقها التنموية بشكل مستقلّ

في الوقت الحاضر، يواجه المجتمع البشري تحديات غير مسبوقة. في مواجهة التغيرات العالمية والعصرية والتاريخية، تنتهج الصين بثبات سياسة خارجية سلمية مستقلة، وتلتزم بسياسة الدولة الأساسية المتمثلة في الانفتاح على العالم الخارجي، وتظل تشارك بنشاط في إصلاح منظومة الحوكمة العالمية وبنائها، ودفع بناء مجتمع مصير مشترك للبشرية. وقد طرحت الصين مبادرة التنمية العالمية ومبادرة الأمن العالمية، معبّرة عن رغبتها للعمل مع شعوب جميع البلدان في ترقية القيم المشتركة للبشرية جمعاء، والتي تشمل السلام والتنمية والإنصاف والعدالة والديموقراطية والحرية، لدفع بناء عالم يسوده الأمن الشامل والرخاء المشترك والانفتاح والتسامح والنظافة والجمال.

لا يمكن للصين أن تتطور بمعزل عن العالم، والعالم يحتاج إلى الصين من أجل تطوره. لن تتغير أساسيات الاقتصاد الصيني القوية وستحافظ على مسار إيجابي على المدى الطويل. وستفتح الصين بابها أمام بقية العالم بشكل أوسع، حيث ستنتهج الصين بحزم استراتيجية الانفتاح المتّصفة بالمنفعة المتبادلة والفوز المشترك، وتواصل توفير فرص جديدة للعالم من خلال التنمية الصينية الجديدة، ودفع تطور الحوكمة العالمية في اتجاه أكثر عدالة ومعقولية، ودفع بناء اقتصاد عالمي مفتوح، ما يعود بفوائد على شعوب العالم بشكل أفضل.

إن المؤتمر الوطني الـ20 للحزب الشيوعي الصيني سيرشد التنمية الجديدة للصين وسيوفر فرصاً جديدة لمنطقة الشرق الأوسط. على مدار العقد الماضي، أحرز التعاون بين الصين ودول الشرق الأوسط، بما فيها لبنان، في بناء «الحزام والطريق» نتائج مثمرة، وشهد التعاون العملي بينهما في المجالات كافة تطوراً كبيراً، ما قدّم دعماً مهماً للتنمية الاقتصادية والاجتماعية وتحسين معيشة الشعب في كلا الجانبين. وستواصل الصين دعم دول المنطقة في الدفاع عن سيادتها ووحدة أراضيها واستكشاف طرقها التنموية بشكل مستقلّ، وتعزيز البناء المشترك لمبادرة «الحزام والطريق» بجودة عالية، والمساهمة في تعميق الشراكة الاستراتيجية بين الصين والدول العربية وجعلها أكثر صلابة، والعمل معاً لبناء مجتمع صيني عربي ذي مستقبل مشترك للعصر الجديد.

*سفير الصين لدى لبنان

على الغلاف

أميركا - إسرائيل
الودّ أكبر من أن يُفسده بن غفير

مع تثبيت نتائج الانتخابات الإسرائيلية، بدا بنيامين نتنياهو يستعدّ لهندسة حكومته، في عملية يُتوقّع أن تثير له الكثير من المتاعب، بالنظر إلى شهيّة حلفائه، من وجوه «الصهيونية الدينية» الصاعدة، لتسلّم مناصب حسّاسة في الوزارات والمؤسّسات. ولعلّ من بين أبرز ما ستطاله هذه المتاعب، العلاقات مع الولايات المتحدة، التي تجد حرجاً كبيراً في التعامل مع شخصيات من مثل إيتمار بن غفير وبتسلئيل سموتريش. لكن تل أبيب وواشنطن اللتين تجمعهما علاقات عميقة ومتجذّرة ومعاسسة، لن تعدما وسيلة للقفز فوق تلك المصاعب، وهو ما لن ينسحب على الروابط مع يهود أميركا الذي سيواجهون، مع ازدهار الفاشية الإسرائيلية، مزيداً من النبذ والتضييق، إلّا على الصعيد الفلسطيني، فلن يفعل صمود اليمين المتطرّف إلّا إضافة المزيد من الحوافز إلى إدامة حالة الاشتباك وتصعيدها بعدما لم يتبقّ أمام الفلسطينيين من خيار سواها، في ظلّ استمرار تغوّل الاحتلال، وانعدام الأمل بأيّ «تغيير» يمكن أن تأتي به القيادة الفلسطينية الرسمية، وتعمّق الإيمان بفاعلية العمل المقاوم، سواء في الضفة أو الداخل أو قطاع غزة

يحيى دبوق

في ظلّ الهويّة المتوقّعة للائتلاف الحكومي العتيد في إسرائيل، والذي سيضمّ كلّاً من اليمين واليمين المتطرّف والأحزاب الدينية «الحريدية»، تسود ترجيحات بأن تكون لذلك انعكاساته غير الطيّبة على العلاقات مع الولايات المتحدة، والتي لا تقتصر على الصِّلات الرسمية مع وزارات ومؤسّسات تخشى واشنطن أن يتسلّمها المتطرفون، بل تمتدّ إلى الروابط الخاصة بين يهود أميركا ويهود إسرائيل. وكانت مصادر أميركية رفيعة المستوى أعربت عن اعتقادها، استناداً إلى مداولات سابقة داخل إدارة الرئيس جو بايدن، بأن الأخيرة لن تعمل مع رئيس حزب «عوتسماه يهوديت»، إيتمار بن غفير، في حال تولّيه مسؤولية وزارية في حكومة نتنياهو المقبلة، علماً أن بن غفير يُعدّ بمثابة «خليفة» للحاخام مائير كاهانا، زعيم حزب «كاخ» العنصري، الذي اشتُهر في ثمانينيات القرن الماضي بكراهيته الشديدة للعرب والفلسطينيين. ولعلّ هذه الرسالة الأميركية، التي تسبق المفاوضات الائتلافية، ستساعد نتنياهو على التهرّب من مطالبة بن غفير بتسليمه وزارة الأمن الداخلي، لما سيُلحقه ذلك من ضرر بمنظومة العلاقات مع الولايات المتحدة، سواء في المجال السياسي أو الأمني أو في ما يتّصل بالقدس والفلسطينيين، وأيضاً في الأعمال الشرطية والتعاون الأمني الداخلي والإنذارات والمعلومات الاستخبارية المتبادلة. والجدير ذكره، هنا، أن التحفّظ الأميركي لا يقتصر على بن غفير، غير المرحّب به في واشنطن، بل يمتدّ ليشمل زعيم حزب «الصهيونية الدينية»، بتسلئيل سموتريش، «الخليفة» الثاني لكاهانا، والذي يطالب، بدوره، بأن يتولّى وزارة الأمن، الحسّاسة هي الأخرى والهامّة جدّاً في كلّ ما يرتبط بالعلاقات الأمنية والعسكرية مع الولايات المتحدة.

على أن الرفض الأميركي لتوزير شخصيات متطرّفة، إنّما يعبّر عن جانب واحد من أزمة أكبر بين إسرائيل ويهود الولايات المتحدة، ومن المتوقّع لها أيضاً أن تتّجه نحو تعمُّق إضافي، في ظلّ صعود حكومة يمينية إسرائيلية، من بين مَن تضمّهم أحزاب ترفض حتى يهودية اليهود في أميركا. مع ذلك، تظلّ العلاقات بين واشنطن وتل أبيب أعمق وأكثر تجذّراً ومأسسة، من أن يتسبّب أيّ شخص أو جهة، في موقع مسؤولية وازنة أو غير وازنة، بانهيارها، وإنّ كان صعود وجوه مكروهة سيتسبّب بإحراج للإدارة الأميركية، خصوصاً الحالية، لكون مواقف تلك الوجوه، الشديدة التطرّف والعنصرية، تتعارض مع مواقف الإدارة المعلَنة، الأمر الذي سيُلزم الجانبَين بابتداع ما يمنع الإحراج عن الأميركيين، وفي الوقت نفسه لا يضرّ بالعلاقات الثنائية.

إزاء ذلك، يمكن توقّع الآتي:

أوّلاً: لن تُنهي الإدارة الأميركية علاقاتها بالمؤسّسات التي قد يتسلّمها «المتطرّفون»، بل ستعمد إلى اجتراح أساليب التفافية، تمنع

> تظلّ العلاقات بين واشنطن وتل أبيب أعمق وأكثر تجذّراً من أن يتسبّب أيّ شخص بانهيارها

المتطرّفين من الوصول إلى مستويات أعلى، أو تحدّ من تأثيرهم، وهو ما يمكن أن يتسبّب بتوتّرات مع الحكومة الإسرائيلية، لكنها لن تصل إلى حدّ القطيعة.

ثانياً: ستبقى العلاقات مع المؤسّسات العسكرية والأمنية والاستخبارية (الجيش وأركانه وشُعبه واستخباراته وكذلك جهازا الموساد والشاباك) على حالها، كونها علاقات مماسسة، ولا يمكن أن يضرّها أيّ تغيير في رأس الهرم، وهو الحال الذي ساد لدى تولّي بينت وزارة الأمن.

ثالثاً: ستنشغل الأجهزة الأمنية، إضافة إلى وظائفها المنوطة بها، بـ«تعليم» مَن سيتولّون الوزارات والمؤسّسات صاحبة الوصاية على تلك الأجهزة، أن ليس كلّ ما يُقال يمكن فعله، أي بتعبير آخر، لجم اندفاعتهم، وتلقينهم دروساً في القيادة، مع إفهامهم أن الحملات الدعائية وخطابات التطرّف الزائد عن حدّه لـزوم العلاقات العامة والمكانة لدى الجمهور، لا تتساوق بالضرورة مع مسؤوليات وازنة، ومن شأن الاستمرار فيها أن يضرّ بالمصالح الإسرائيلية.

رابعاً: سيكون بن غفير وغيره من المتطرّفين معيّنَين بتليين مواقفهم - النابعة من إيديولوجيّتهم المتطرّفة -، وإنْ حرصوا على الثبات عليها في العلن، خصوصاً لاهتمامهم بأن لا يبلغ بهم التشدّد حدّاً يمنع عنهم مكاسب سياسية لاحقاً، كما هو حال بن غفير الطامح إلى خلافة نتنياهو في رئاسة الحكومة. بعبارة أخرى، سيستلهم زعيم «عظمة يهودية» المعادلة التي أرساها رئيس الحكومة الأسبق، أريئيل شارون، والتي باتت قاعدة لتفسير التغيّرات التي تطرأ على خطاب المسؤولين لدى تولّيهم ما أمكن اللقاء بهم، حتى يحلّ محلّهم مَن ينوب عنهم، أمّا ما ستُضطر إليه فستكون معنيّة باختزاله وإبعاده عن الإعلام ما أمكن، تماماً كما فعلت مع رئيس الحكومة السابق، نفتالي بينت، الذي كان يتزعّم تيّار «الصهيونية الدينية»، برئاسته حزب «البيت اليهودي»، وقبل ذلك عندما تسلّم وزارة الأمن في حكومة نتنياهو السابقة.

ثانياً: ستبقى العلاقات مع المؤسّسات العسكرية والأمنية والاستخبارية (الجيش وأركانه وشُعبه واستخباراته وكذلك جهازا الموساد والشاباك) على حالها، كونها علاقات مماسسة، ولا يمكن أن يضرّها أيّ تغيير في رأس الهرم، وهو الحال الذي ساد لدى تولّي بينت وزارة الأمن.

ثالثاً: ستنشغل الأجهزة الأمنية، إضافة إلى وظائفها المنوطة بها، بـ«تعليم» مَن سيتولّون الوزارات والمؤسّسات صاحبة الوصاية على تلك الأجهزة، أن ليس كلّ ما يُقال يمكن فعله، أي بتعبير آخر، لجم اندفاعتهم، وتلقينهم دروساً في القيادة، مع إفهامهم أن الحملات الدعائية وخطابات التطرّف الزائد عن حدّه لـزوم العلاقات العامة والمكانة لدى الجمهور، لا تتساوق بالضرورة مع مسؤوليات وازنة، ومن شأن الاستمرار فيها أن يضرّ بالمصالح الإسرائيلية.

رابعاً: سيكون بن غفير وغيره من المتطرّفين معيّنَين بتليين مواقفهم - النابعة من إيديولوجيّتهم المتطرّفة -، وإنْ حرصوا على الثبات عليها في العلن، خصوصاً لاهتمامهم بأن لا يبلغ بهم التشدّد حدّاً يمنع عنهم مكاسب سياسية لاحقاً، كما هو حال بن غفير الطامح إلى خلافة نتنياهو في رئاسة الحكومة. بعبارة أخرى، سيستلهم زعيم «عظمة يهودية» المعادلة التي أرساها رئيس الحكومة الأسبق، أريئيل شارون، والتي باتت قاعدة لتفسير التغيّرات التي تطرأ على خطاب المسؤولين لدى تولّيهم

فلسطين بمواجهة الفاشيّة: حوافز إضافية للاشتباك

رام الله ـ أحمد العبد

في الوقت الذي يستعدّ فيه بنيامين نتنياهو لتشكيل حكومة برئاسته بالتحالف مع «الصهيونية الدينية»، يكافح الفلسطينيون لإبقاء جذوة المقاومة مشتعلةً في الميدان، بما أتيح لهم من أدوات ووسائل، في ظلّ التفاف متعاظم حول هذا الخيار، الذي يبدو أنه لن يكون أمام أهالي الأراضي المحتلّة سواه في المرحلة المقبلة، خصوصاً في ظلّ تحوُّل المستوطنين إلى ما يشبه دولة مستقلّة في الضفة الغربية. على أن الظاهر، بحسب جميع المعطيات، أن حالة الاشتباك المتوسّعة أفقياً وعمودياً، لن تبقى مقتصرة على الضفة، بل تبدو مهيّئة للانتقال إلى قطاع غزة والقدس والداخل المحتلّ، لأسباب عديدة أهمّها

> قرّر جيش العدو تزويد تشكيلاته في الضفة بالمزيد من الوسائل القتالية والجيبات المصفّحة الحديثة

إصرار الفلسطينيين على ترسيخ مبدأ وحدة الساحات، وعدم السماح للاحتلال بالتفرّد بأيّ منها، وتبديد ما حقّقته معركتا «سيف القدس» عام 2021، و«وحدة الساحات» عام 2022، على ذلك الصعيد. ولعلّ أولى بوادر التوجّه المذكور، تجلّت مساء الخميس، حيث لم تمضِ ساعات على جريمة اغتيال القيادي في «سرايا القدس - كتيبة جنين» فارق سلامة، في جنين، حتى جاء الردّ في مدينة الخليل بعملية قُتل مستوطنة في مستوطنة «كريات أربع» أدّت إلى إصابتها بجروح بالغة الخطورة، وتسبّبت بإرباك المنظومة الأمنية التي رجّحت بعد تقديرات وتقييمات مطوّلة أنها ناجمة عن رصاصة فلسطينية أتت من بُعد. وفي حين دخل قطاع غزة على خطّ المواجهة لأوّل مرّة منذ 4 شهور، بإطلاق رشقات صاروخية تجاه مستوطنات «الغلاف» - على رغم التقدير بأنها جاءت من خارج الإجماع الفصائلي -، سُجّلت عشرات نقاط الاشتباك وعمليات رشق الحجارة والزجاجات الحارقة، التي أفضت إلى إصابة عدد من المستوطنين، لتنتهي الحصيلة إلى تسجيل 32 عملاً مقاوماً في الضفة خلال 24 ساعة فقط.

وعلى مدى الأشهر الماضية، استطاع العمل المقاوم في الضفة أن يسجّل تراكماً كمّياً ونوعياً، وهو ما تُظهره إحصائيات «مركز معلومات فلسطين»، الذي وثّق 1999 عملية في شهر تشرين الأوّل - أي ضعف ما تمّ رصده خلال شهر أيلول -، تنوّعت ما بين إطلاق نار ودهس وطعن وزرع عبوات ناسفة وإلقاء مقرفعات نارية وزجاجات حارقة، وأسفرت في مجموعها عن مقتل جنديّين ومستوطن، وجرح 81 آخرين. ومن بين تلك العمليات، سُجّلت 144 حادثة إطلاق نار، 65 منها في نابلس و40 في جنين، ما يدلّل على فعل منظّم تصدّرته مجموعة «عرين الأسود»، التي امتلكت زمام المبادرة وأربكت قوات الاحتلال، وكشفت عن فجوات في منظومته الأمنية، وكذلك «كتيبة جنين». على أن العمليات الفردية لا تزال هي «كلمة السرّ» في حالة المقاومة في الضفة، في ظلّ عجز العدو عن وقف سَيحتها، علماً أن من بين أبرزها أخيراً عمليّتا الشهيد عدي التميمي على حاجز شعفاط وعند مدخل مستوطنة «معاليه أدوميم»، واللتان أدّتا إلى مقتل جنديّة وإصابة آخرين بجروح مختلفة، وبعدهما عملية الشهيد محمد الجعبري عند مستوطنة «كريات أربع» حيث قُتل مستوطن وأصيب آخرون، فضلاً عن حوادث دهس في أريحا وعند حاجز بيت دقو. ولعلّ اللافت في هذه العمليات، هو أنها فضحت قصوراً في أداء جنود العدو، وهو ما دفع رئيس أركان جيش الاحتلال، أفيف كوخافي، إلى فضّل ضابط و3 جنود، كانوا تجنّبوا الدخول في اشتباك مع الشهيد التميمي خلال هجوم شعفاط، وتوجيه إنذار إلى ضابطيْن آخريْن أحدهما قائد السرية التي تخدم على الحاجز، الذي قرّر الجيش إخلاء وحدات من «حرس الحدود» منه على ضوء العملية، وتحويله إلى معبر مدني.

وفي ظلّ تصاعد حالة المقاومة في الأراضي المحتلّة، قرّر جيش العدو تزويد تشكيلاته هناك بالمزيد من الوسائل القتالية والجيبات المصفّحة الحديثة، عبر صفقة بمئات ملايين الشواكل، تشمل نحو 2500 سترة واقية ضدّ الرصاص، و50 مركبة جديدة مضادّة للرصاص والحجارة، في مسعى منه لتعزيز الحماية للقوّات المشاركة في عملية «كاسر الأمواج» التي يشنّها في الضفة منذ الربيع الماضي. وبحسب صحيفة «يديعوت أحرونوت»، فإن كمّية الوسائل المذكورة تُعدّ الأكبر التي يعتزم الجيش التزوّد بها خلال العقد الأخير. في هذا الوقت، تتواصل التكهّنات بخصوص ما يمكن أن يُحدثه تولّي زعيم حزب «عظمة يهودية»، إيتمار بن غفير، وزارة الأمن الداخلي، على الأوضاع الميدانية. إذ رأى المحلّل العسكري في صحيفة «هآرتس»، عاموس هرئيل، أن زيارة لبن غفير إلى المسجد الأقصى تحت حماية كثيفة من عناصر الشرطة،

على مدى الأشهر الماضية، استطاع العمل المقاوم في الضفة أن يسجّل تراكماً كمّياً ونوعياً

مثلاً، ستؤدّي إلى مواجهات في القدس القديمة، فيما لن تستطيع حركة «حماس» أن تبقى صامتة على ذلك، محذّراً من أن «الضفة الغربية قابلة جدّاً للاشتعال، إلى درجة أن عود ثقاب آخر سيؤدّي إلى اشتعالها، وفي هذا التوقيت يختار نتنياهو إدخال مُشعلي النيران المركزيين (من الصهيونية الدينية) إلى الحلبة».

إزاء ذلك، لا يبدو أنه سيكون أمام الفلسطينيين، في المرحلة المقبلة، سوى المقاومة، وهو الخيار الذي لم يكن، في واقع الأمر، بمتناول أيديهم سواه في أيّ يوم من الأيام؛ إذ لا يختلف اليمين المتطرّف واليسار والوسط وبقيّة ألوان الطيف السياسي الإسرائيلي، على تعدّد التسميات والتصنيفات، على الأهداف العريضة المتمثّلة في تكريس الاحتلال وتقويته، وحرمان الشعب الفلسطيني حقوقه، فيما الاختلافات تكاد لا تتجاوز القشور. وفي هذا الإطار، يرى مدير «مركز بيوس للاستشارات والدراسات الاستراتيجية»، سليمان بشارات، أن «المشهد الفلسطيني يتكامل في كلّ ساحاته، خاصة مع تدحرج الوضع الميداني الأمني في الضفة الغربية منذ أشهر»، معتبراً، في حديث إلى «الأخبار»، أن «نتائج الانتخابات الإسرائيلية هي انعكاس طبيعي لحالة اليمينية المتطرّفة في إسرائيل، وهذا الأمر يعزّز إمكانية الذهاب إلى تصعيد ميداني، استجابةً لأمرَين مرتبطَين بطبيعة الأحداث التي تجري على الأرض، وطبيعة السياسات الإسرائيلية القادمة»، والتي «ستتحكّم بها الأحزاب اليمينية وقادة المستوطنين».

ويشير بشارات إلى أن «الجانب الرسمي الفلسطيني لا يملك أيّ خيارات، كونه يفتقر إلى حاضنة سياسية إقليمية أو دولية، كما أن القيادة الفلسطينية منشغلة ومنكفئة على ذاتها، وتعاني من عدم استقرار في ظلّ البحث عن بديل وخليفة لأبو مازن، حيث باتت هذه القضية تؤرّق المؤسّسة الرسمية، على حساب البُعد الوطني أو العلاقة السياسية مع الاحتلال». وفي المقابل، يُعرب الباحث عن اعتقاده بأن «الشارع الفلسطيني بدأ يعود، على ضوء الأحداث الأخيرة في الضفة، إلى الحشد الوطني والشعبي والثوري، الذي يذكّرنا بالانتفاضتَين السابقتَين، على رغم الغياب الواضح للفصائل الفلسطينية عن العمل، لكن ذلك قد لا يطول، إذ إن الفعل الشعبي قد يشكّل ضغطاً على الفصائل لتعزيز عملها، ومثال ذلك ما جرى خلال الأيام الماضية من عمليات إطلاق نار ودهس وطعن، تُظهر استلام الشعب لزمام المواجهة مع الاحتلال، وشعوره بالنشوة بعد سنوات من الإحباط، وانبعاث الهوية والروح الوطنية من خلال نماذج جنين ونابلس والخليل وشعفاط». ويحتمل بشارات أن يكون إطلاق القذائف الصاروخية، مساء الخميس، من قطاع غزة نحو مستوطنات «الغلاف»، «مثالاً عملياً حول قدرة الفعل الشعبي على الضغط على الفصائل وسحبها إلى مربّع المواجهة، وهذا قد يعيدنا إلى ما جرى في أحداث في سيف القدس»، مستنتجاً أنه «إذا ما استمرّ الاحتلال الإسرائيلي، في المرحلة المقبلة، في تصعيد عمليات الاغتيال كما جرى في جنين ونابلس، فإن ذلك سيؤدّي إلى ردّات فعل وتحريك الفعل الثوري، كما يمكن أن يُدخل شرائح مجتمعية جديدة بشكل تلقائي إلى دائرة المواجهة، ويدفع نحو تصعيد ميداني بصورة أكبر ممّا يجري حالياً».

سيكون نتنياهو معنيّاً، إلى جانب الأميركيين، بإدامة العلاقات وتطويرها من غير اللجوء إلى بن غفير وغيره (أ ف ب)

استراحة

كلمات متقاطعة 4165

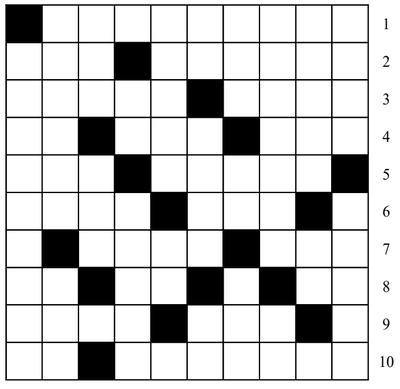

أفقيا

1- ساحة كبرى في يكين – 2- نوع من الجبنة – للنفي – 3- إله الحرب عند الرومان – قميص – 4- نسي – منزل – إرتفع النبات – 5- يزاول الرياضة – ماركة سيارات – 6- يشحذ السكين – نحجز العقار لقاء إيفاء الدين – 7- ماكينة – ركوع المؤمن – 8- في القميص – إحسان – بواسطتي – 9- مرتفع من الأرض – عائلة رسام ونحات إسباني راحل – 10- مدينة صينية – مأوى الدجاج

عمودياً

1- من الحبوب – مطرقة صغيرة – 2- يُناصر ويؤيّد – حرف جرّم – 3- عطيّة ومنحة مالية – فقد عقله – 4- روح – أصل البناء – غَيّر لون شعر رأسه – 5- حرف عطف – رداء الإستحمام – خاصته – 6- فتى أسطوري يوناني عشق صورته المنعكسة في الماء – بئر عميقة – 7- خنزير برّي – عائلة عذّاء فنلندي راحل – 8- يقلب الإناء على رأسه – إحدى شعوب منطقة الشرق الأوسط – 9- نصادفه – من عوامل الطبيعة – 10- معبد الآلهة في روما

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- صخرة طانيوس – 2- و و و – ريف – ال – 3- فر – إزمير – 4- بشطران – كيا – 5- إيران – من – 6- دقر – فلك – 7- عب – أر – خيّال – 8- رايت – قلّ – لب – 9- يشح – اليسار – 10- نانسي عجرم

عمودياً

1- صوفيا – عرين – 2- خورشيد باشا – 3- رو – طرق – يحن – 4- ارارات – 5- طرزان – أي – 6- ايمن – قلع – 7- نفي – الخليج – 8- رك – كي – سر – 9- وا – يم – ألام – 10- سلطان البر

sudoku 4165

1		8			4		6	
					1	8		2
5		9	8				4	
		3	1		2			
				4				9
2	1		7		9			8
9	8					6	2	
4		2				1		
	5			9	7			4

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكلّ مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أو عمودي.

حل الشبكة 4164

4	8	5	9	6	3	7	1	2
9	2	1	8	7	5	6	4	3
7	3	6	1	4	2	9	5	8
5	6	3	7	8	9	1	2	4
2	4	9	6	3	1	8	7	5
1	7	8	2	5	4	3	9	6
8	9	4	3	2	7	5	6	1
3	5	7	4	1	6	2	8	9
6	1	2	5	9	8	4	3	7

مشاهير 4165

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

أديبة سويسرية (1827-1901) من أشهر كاتبات قصص الأطفال في القرن التاسع عشر. تتناول مؤلفاتها ظروف الحياة في سويسرا بشكل نقدي

4+1+10+6+5 = عاصمتها طهران ■ 9+7+11+8 = يبْيَض شعره ■ 3+2 = ضمير منفصل

حل الشبكة الماضية: **نيكولا جيران**

إعداد
نعوم مسعود

آثر محاولة اغتيال خان فيما كان الرجل يحشد عملياتٍ التحشيد الشعبي لصالحه (أ ف ب)

محاولة اغتيال في التوقيت «الصائب»

«هديّة السماء» لعمران خان

حمزة الخنسا

باكستان تتوالى الأزمة السياسية في باكستان فصولاً، فبعد أشهر من الضغط الشعبي الذي مارسه رئيس الوزراء المعزول، عمران خان، على حكومة شهباز شريف، والتحذيرات المتتالية من تصاعُد هذا الضغط المتنقّل بين المحافظات وصولاً إلى العاصمة إسلام آباد، دخلت البلاد كلّها منعطفاً خطيراً جديداً تمثّل في محاولة فاشلة لاغتيال خان في مدينة وزير آباد في إقليم البنجاب. وإذ قاتل لاعب «الكريكت» السابق تلك المحاولة بإصراره على مواصلة تحدّي الحكومة، تجد الأخيرة نفسها - بمكوّناتها المتنافرة - أمام وضع حرج سيساهم حتماً في رفْع شعبيّة خصمها الذي ما برح يُراكم النقاط ضدّها، منّحماً إيّاها بتنفيذ «مؤامرة» ضدّه بالاشتراك مع الولايات المتحدة والجيش، الذي عاد بدوره إلى واجهة المشهد السياسي من بوّابة الأزمة المستفحلة

نجا زعيم حزب «الإنصاف»، عمران خان، الخميس، من محاولة اغتيال في مدينة وزير آباد شرقي باكستان، لكنه سرعان ما تلقّف الحادث وحوّله إلى فرصة ثمينة لكسب المزيد من التعاطف الشعبي معه، في المواجهة المفتوحة بينه وبين حكومة شهباز شريف وحزبه «الرابطة الإسلامية» ومَن معه من أحزاب جمعتّها «مصيبة واحدة». وعلى الفور، نزل أنصار خان إلى شوارع العاصمة إسلام آباد، حتى قبل الموعد المحدّد لوصول «الزحف الشعبي الكبير» نحوها في 4 تشرين الثاني (أمس)، والذي كان قد تأجّل سابقاً لمزيد من التحضيرات، فيما اتّهم «الإنصاف» رئيس الوزراء ووزير الداخلية و«ضابطاً عسكرياً كبيراً» لم يُذكر اسمه، بالمسؤولية عن محاولة قتْل زعيمه. وكانت المواجهة ازدادت سخونةً مع دخول الجيش الباكستاني، للمرّة الأولى علناً، على خطّ الصراع السياسي، بعد صمت طويل على انتقادات لاذعة كان يُوجّهها رئيس الوزراء السابق إلى المؤسّسة العسكرية، ما يشي بأن فصولاً «مشوّقة» لا تزال تنتظر الشارع الباكستاني المثقَل بالأعباء الاقتصادية التي زادت الفيضانات الأخيرة من وطأتها.

واتت محاولة اغتيال خان في وقت كان الرجُل فيه يصعّد عمليات التحشيد الشعبي لصالحه، على شكل تجمّعات ضخمة مبرمَجة مسبقاً أقامها ولا يزال في أنحاء البلاد. كما أنها أتت بالتزامن مع تحرّره من العديد من التهم القضائية، وعلى رأسها تهم بالإرهاب، ما منحه وحزبه هامشاً كبيراً في الحراك المتصاعد ضدّ الحكومة، وفتح عليه، في الوقت نفسه، باب الحديث عن تلقّيه المساعدة من الجيش في الانعتاق من تلك القضايا. إلّا أن ذلك السياق لم يخلُ من مفاجآت، إذ أعلنت لجنة قضائية تابعة للجنة الانتخابات العامّة في البلاد، منتصف تشرين الأوّل الماضي، أن رئيس الحكومة المُقال من منصبه، «غير مؤهّل للمشاركة في أيّ انتخابات» مقبلة، أو تولّي أيّ منصب سياسي لمدّة خمسة أعوام. وفيما كان المزاج العام في باكستان ينحو إلى الاعتقاد بأن الجيش يسيّر، من وراء الكواليس، المسارات المتعدّدة المتعلّقة بالمواجهة بين خان والحكومة، خرج المتحدث باسم الجيش، بابار افتخار، ليهاجم زعيم «الإنصاف»، في موقف نادر منذ التصويت على حجب الثقة عن حكومة الأخير في نيسان الفائت، إذ قال افتخار إن لاعب «الكريكت» الدولي السابق وضع، بشكل غير مباشر، المؤسّسة العسكرية في خطاباته بمصطلحات من قبيل «المحايدين والخونة». وفي مؤتمر صحافي عقده مع قائد وكالة الاستخبارات الرئيسة، الجنرال نديم احمد أنجوم، في السابع والعشرين من الشهر المنقضي، أضاف: «قلْنا له (لعمران) إن الجيش لن يقوم بدور غير دستوري لأنه قرّر ألّا يُقحم نفسه في السياسة».

هكذا، عاد الجيش إلى واجهة الأحداث، وهو الذي يُعتبر أقوى مؤسّسة في باكستان، ويلعب دوراً كبيراً في معظم مناحي الحياة في البلاد، وخصوصاً في السياسات الخارجية والأمنية، إلى حدّ يذهب البعض إلى الاعتقاد بأنه هو من يسيّر العملية السياسية، ويختار رئيس الوزراء من وراء الكواليس. ولعلّ هذا الوزن الثقيل للمؤسّسة العسكرية، يفسّر الصراع الفرعي الآخر بين خان وحكومة شهباز شريف، على تعيين قائد جديد للجيش، الذي تنتهي ولاية قائده الحالي أواخر تشرين الثاني الجاري. ففي حين يحاول خان تأجيل هذا الاستحقاق إلى ما بعد الانتخابات المبكرة التي يدعو إليها، يصرّ شريف على إتمامه بمعزل عن موعد الانتخابات الدستوري في صيف عام 2023، ما يعزّز المخاوف في صفوف الأوّل وأنصاره من أن يكون القائد الجديد مقرّباً من حزب «الرابطة الإسلامية» - جناح نواز شريف، رئيس الحكومة السابق، مع ما يعنيه ذلك من أداء معارٍ له ولحزبه. وإذ يمارس نواز، شقيق شهباز، سيطرة كبيرة على الحزب، وعلى الحكومة، فإن هذا يُعدّ سبباً إضافياً لتمسك خان بمطلبه إجراء انتخابات نيابية مبكرة؛ إذ إن الأخير يخشى، من ضمن ما يخشاه، أن يستطيع نواز العودة إلى باكستان قبل الانتخابات المقبلة، ما سيساعد على إعادة تعزيز شعبيّة «الرابطة»، بعدما شهدت تراجعاً جرّاء الأداء الهشّ لحكومة شهباز شريف، الذي يقود ائتلافاً غير متجانس، يضمّ أحزاباً متصارعة في ما بينها، وستخوض الإستحقاق الانتخابي المقبل متنافسة على المقاعد.

وبالعودة إلى الجيش ودوره، تُشدّد جميع القوى في باكستان، في العلن، على ضرورة عدم تدخّله في السياسة، لكنها في الوقت نفسه تُحاول استرضاءه لنيل دعمه لها على حساب الآخرين. وفي هذا السياق، نقلت «بلومبيرغ»، قبل أيام، عن الجنرال أنجوم قوله إن «عمران خان التقى سرّاً مع القائد العام للجيش قمر جاويد باجوا، لكي يطلب منه المساعدة في إعادته إلى السلطة». أمّا القيادي في حزب «الإنصاف»، أسد عمر، فقد قال، في تصريحات أخيراً، إن «مَن بإمكانه إنهاء الأزمة السياسية الحالية هو الجيش الباكستاني والمحكمة العليا فقط»، في ما يؤشّر إلى أن الجيش يلعب دوراً حاسماً في ترجيح كفّة قوًى دون أخرى، علماً أن النظام الانتخابي يحتّم على الأحزاب التنافس ابتداءً على استقطاب أكثر المرشّحين قوّة في الدوائر الانتخابية المحلّية، وهؤلاء، تاريخياً، يميلون في العادة إلى الحزب الذي يميل إليه العسكر. ومن هنا، ستكون المعركة على تعيين قائد جديد للمؤسّسة العسكرية محطّة ساخنة أخرى في الصراع المفتوح في البلاد. وفيما يقول القائد الحالي، الجنرال قمر جاويد باجوا، إنه لن يسعى إلى ولاية أخرى، تتشدّد حكومة شهباز شريف في إحكام قبضتها على الملفّ، ربطاً بمساعيها لعزل خان عنه قدْر الإمكان.

> ستكون المعركة على تعيين قائد جديد للجيش محطّة ساخنة أخرى في الصراع المفتوح

وبالتالي، من المنطقي أن تستبعد الحكومة أيّ أسماء معروفة بقربها من رئيس الوزراء السابق، وخصوصاً رئيس المخابرات السابق، فايز حميد. يأتي ذلك كلّه، في وقت تُواجه فيه حكومة شهباز شريف، التي تشكّلت في 11 نيسان الماضي، انحداراً اقتصادياً مستمرّاً، حيث واصلت العملة الوطنية (الروبية) انهيارها الحادّ أمام الدولار، وخسرت سوق الأسهم قيمتها، فضلاً عن التضخّم المتصاعد، وعبء الديون الذي جعل احتمال تخلّف البلاد عن السداد في السندات التي تستحقّ الشهر المقبل وارداً جداً، على رغم التطمينات التي يبثّها وزير المالية. وكانت وكالة «موديز» قد خفّضت التصنيف الائتماني لباكستان، وقالت، في بيان شديد اللهجة، إن البلاد «واحدة من أضعف الدول السيادية» التي تتعامل معها الوكالة، مُقدّرةً أن تلتهم مدفوعات الفائدة وحدها، نصف الإيرادات الحكومية هذه السنة المالية، ارتفاعاً من حوالي 40% العام الماضي. أمام هذا الواقع، يبدو أن أمام الحكومة خيارين اثنين: يتمثّل الأوّل في السعي لإنقاذ الاقتصاد مقابل خسارة الانتخابات، على اعتبار أن الوصفة الإنقاذية المطروحة من قِبَل «صندوق النقد الدولي» «غير شعبية»، ما سيضع الفريق الحاكم في مواجهة غضب الملايين الذين ستدفع بهم تلك الوصفة إلى ما دون خطّ الفقر؛ أمّا الخيار الثاني، فيتجسّد في تجاهُل الوضع الاقتصادي والسعي لتحقيق النصر الانتخابي من خلال إنفاق موارد الدولة في خفْض سعر الصرف، والحفاظ على أسعار الطاقة وغيرها من الإجراءات، مع ما يؤسّس له ذلك من خراب مستقبلي. وبالطبع، لا يغيب عن بال الحكومة، ترقّب خان لأيّ خطوة تُقدم عليها لاستثمارها ضدّها، وتسييلها أصواتاً في صناديق الاقتراع لصالحه، بصرف النظر عمّا إذا حصلت الانتخابات في موعدها الصيف المقبل، أم كانت مبكرة كما يطالب بها زعيم «الإنصاف».

في المحصّلة، يكاد الوضع في باكستان يشابه تماماً لعبة «الكريكت» التي تشتهر بها البلاد؛ إذ يدور الصراع بين فريقَين، يضرب الأوّل الكُرة فيما يحاول الآخر صدّها، وفي الأثناء يتركّز الانتباه على العلامتَين/ الهدف، واللتَين يحاول كلّ فريق إصابتهما لكي يحقّق الفوز بتراكم الإصابات.

دعوة إلى جمعية عمومية عادية

لجمعية مالكي الاقسام المختلفة في العقار رقم /1997/من منطقة ذوق مصبح العقارية

«مشـــروع ســـوار»

يتشرّف رئيس مجلس جمعية مالكي الاقسام المختلفة في العقار رقم /1997/ من منطقة ذوق مصبح العقارية "مشروع سوار" بدعوتكم لحضور الجمعية العمومية العادية السنوية التي ستنعقد دورتها الاولى في مركز الجمعية في ذوق مصبح يوم الاربعاء الواقع في 16/11/2022 الساعة 4 بعد الظهر.
وفي حال عدم اكتمال النصاب تكون الدورة الثانية يوم الثلاثاء الواقع في 6/12/2022 الساعة 4 بعد الظهر في مركز جمعية في ذوق مصبح.
إن الجمعية العمومية العادية السنوية مدعوة للتداول بجدول الأعمال التالي:
تلاوة التقرير الاداري من قبل رئيس الجمعية.
الاطلاع على الميزانية العمومية لعام 2021 ومناقشتها وابراء ذمة رئيس الجمعية عن أعمال العام 2021.
الاطلاع على مشروع موازنة عام 2022 والموافقة عليه.
البحث بالوضع المالي والمصرفي الحالي في البلد ومدى تأثيره على سلفات مصاريف الأقسام المشتركة ومصاريف اخرى واتخاذ القرارات المتعلقة بسلفات مصاريف الأقسام المشتركة ومصاريف اخرى للعام 2023 مع الأخذ بعين الاعتبار وضع البلد الراهن وغير المستقر.
امور مختلفة.
على كل مالك قسم خاص حضور الجمعية شخصياً أو تمثيلاً بواسطة مالك آخر بموجب تفويض خطي صريح.

رئيس الجمعية جمعية مالكي الاقسام المختلفة
في العقار رقم /1997/ من منطقة ذوق مصبح العقارية «مشروع سوار»
رينه متى

◄ إعلانات رسمية ►

إعلان
أمانة السجل التجاري في البقاع
شطب قيود محل تجاري
بناءً للطلب تاريخ 2022/6/30 نقرر شطب المحل التجاري المعروف باسم:«صالحة ترافل» المسجلة تحت رقم 2007/4001018.
لكل ذي مصلحة الاعتراض خلال عشرة أيام من تاريخ النشر.
أمين السجل التجاري في البقاع
محمد عامر

إعلان
صادر عن محكمة بعبدا الشرعية السنية
إلى مجهول المقام (سليمان ماجد عبدالله)
يقتضي حضوركم إلى هذه المحكمة لاستلام أوراق الدعوى المقامة بوجهك من قبل المدعية ثناء عبداللطيف أورمي بمادة: (حضانة ولد) أساس:/486/ تاريخ 2022/5/30.
وفي حال تخلفكم يعتبر قلم المحكمة مقاماً مختاراً لكم ويجري بحقكم الإيجاب والقبول الشرعي والقانوني.
بعبدا في 2022/10/27
رئيس قلم محكمة بعبدا الشرعية السنية
الشيخ عباس العرب

إعلان
صادر عن محكمة بعبدا الشرعية السنية
إلى مجهول المقام (سليمان ماجد عبدالله)
يقتضي حضوركم إلى هذه المحكمة لاستلام أوراق الدعوى المقامة بوجهك من قبل المدعية ثناء عبداللطيف أورمي بمادة: (تفريق للشقاق) أساس:/487/ تاريخ 2022/5/30.
وفي حال تخلفكم يعتبر قلم المحكمة مقاماً مختاراً لكم ويجري بحقكم الإيجاب والقبول الشرعي والقانوني.
بعبدا في 2022/10/27
رئيس قلم محكمة بعبدا الشرعية السنية
الشيخ عباس العرب

إعلان
من أمانة السجل العقاري في البقاع الغربي
طلب إيلي انيس البعقليني سندات تمليك بدل ضائع بحصص موكله «طانوس فرج مارون» في العقارات 3277 و 1951 و 1882 و 1883 صغبين.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري
ربى حسن الدغيدي

إعلان
لأمانة السجل العقاري في زحلة
طلب فايز حسن قنبر لبائعه ياسين علي الحسيني سند تمليك بدل ضائع بحصته بالقسم 16 بالعقار 33 معلقة أراضي.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري المعاون
لينا جنبلاط

إعلان
لأمانة السجل العقاري في زحلة
طلب المحامي رشيد يوسف فرح لمورث موكلته أسعد جرجس مهنا سند تمليك بدل ضائع بحصته بالعقار 1079 فرزل.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري المعاون
لينا جنبلاط

إعلان
يعلن المجلس البلدي عن رغبته طرح بطريقة المزايدة العلنية تلزيم استثمار وتشحيل أشجار حرجية مشاع بلدي في بلدة ينطا قضاء راشيا من نوع ملول (عدد 5000) خوخ بري (عدد 7000) زعرور (عدد 3000) في الأحراج المشاعية الغير ممسوحة في محلة الجحاف منطقة ينطا العقارية العائدة إلى بلدية ينطا والذي يحدها:
مشاع عام محلة الجحاف/ مراح الجبل شرقاً: مشاع بلدي (قعقور أبو غيدور) غرباً: مشاع بلدي (مراح الجمال) جنوباً: مشاع بلدي (سير الشوافني) شمالاً: طريق عام دير العشاير
ستقام جلسة المزايدة يوم الأثنين الواقع فيه 2022/11/21 الساعة العاشرة والنصف صباحاً في مبنى بلدية ينطا.
فعلى الراغبين بالاشتراك الحضور إلى وزارة الزراعة – مصلحة زراعة البقاع أو دائرة التنمية الريفية في البقاع أو مركز أحراج راشيا أو بلدية ينطا للاطلاع على دفتر الشروط المطلوبة أثناء الدوام الرسمي.
ينطا في 2022/11/03
رئيس بلدية ينطا
د. خالد الحكيم

إعلان
لأمانة السجل العقاري في زحلة
طلبت انطوانيت كنعان نبهان لموكلها حنا ناصيف مهنا سند تمليك بدل ضائع بحصته بالعقار 530 فرزل.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري المعاون
لينا جنبلاط

إعلان
لأمانة السجل العقاري في زحلة
طلب المحامي شادي منور عيد لموكله جورج نعيم الياس فريحه وهو نفسه جورج نعيم فريحه سند تمليك بدل ضائع بحصته بالعقار 250 وادي الدلم.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري المعاون
لينا جنبلاط

إعلان
لأمانة السجل العقاري في زحلة
طلبت المحامية ديمة الياس عازار لبائعة موكلها برجوهي هاروتيون كريكوريان سند تمليك بدل ضائع بحصتها بالعقار 299 تعنايل.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري المعاون
لينا جنبلاط

إعلان
لأمانة السجل العقاري في زحلة
طلبت المحامي ديمة الياس عازار لموكلها محمد اسعد عبد الوهاب عقاد وتار سند تمليك بدل ضائع بحصته بالعقار 299 تعنايل.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري المعاون
لينا جنبلاط

إعلان
لأمانة السجل العقاري في زحلة
طلب المحامي جان بول بالش لموكل موكله عصام ديب صدقه سند تمليك بدل ضائع بحصته بالعقار 630 الأمراء أراضي.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري المعاون
لينا جنبلاط

إعلان
لأمانة السجل العقاري في زحلة
طلب يوسف الياس بطرس لموكليه الصندوق الاجتماعي الماروني سند تمليك بدل ضائع بالقسم 10 بلوك M بالعقار 397 أراضي زحلة.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري
ماريا خير

إعلان
لأمانة السجل العقاري في زحلة
طلبت وجدان محمد الحشيمي لموكلتها هند محمد ديب الشوباصي سند تمليك بدل ضائع بحصتها بالعقار 740 سعدنايل.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري المعاون
لينا جنبلاط

إعلان
لأمانة السجل العقاري في زحلة
طلب نيكولا عاطف سركيس لموكله عاطف نسيب سركيس سند تمليك بدل ضائع بحصته بالعقار 211 تربل.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري المعاون
لينا جنبلاط

إعلان
لأمانة السجل العقاري الأولى في الشمال
طلب فواز طربوش المحمود بوكالته عن ضاهر محمد دياب سند بدل ضائع بالعقار 57 المقسم 28 بساتين الميناء.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
أفلين موسى

إعلان
لأمانة السجل العقاري الأولى في الشمال
طلب محمد يحيه يحيه بالأصالة عن نفسه سند بدل ضائع بالعقار 3969 المقسم 7 بساتين طرابلس.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
أفلين موسى

إعلان
لأمانة السجل العقاري في الشمال
طلب أحمد عبداللطيف كباره بالأصالة عن نفسه وبوكالته عن عبدالله ومحمد ومصطفى وعبدالغني وسلام وبصفته أحد ورثة نجوى مصطفى غازي وطارق عبداللطيف كباره وكيله عمر طارق كباره وبوكالته عن سمير عدنان الجسر سند بدل ضائع بالعقار 206 و341 و353 عن حصة أحمد و3177 عن حصة أحمد و340 حصة سمير الجسر زيتون طرابلس.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
أفلين موسى

إعلان
لأمانة السجل العقاري في الشمال
طلب أحمد عبداللطيف كباره بالأصالة عن نفسه وبوكالته عن عبدالله ومحمد ومصطفى وعبدالغني أولاد عبداللطيف كباره وطارق عبداللطيف كباره وكيله عمر طارق كباره سند بدل ضائع بالعقار 406 مقسمين 14 و26 الميناء 11.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
أفلين موسى

البلاد

ونبقى

الانتداب والاحتلال سيرة واحدة

موسى جرادات

«يا ابني تذكّر! هنا صلب الإنكليز أباك على شوك صبارة ليلتين ولم يعترف أبداً. سوف تكبر يا ابني وتروي لمن يرثون بنادقهم سيرة الدم فوق الحديد»

يلخّص محمود درويش، في قصيدة «أبدُ الصبار» من ديوان «لماذا تركت الحصان وحيداً»، ما جرى للشعب الفلسطيني أثناء النكبة، ويعرّج على المقدّمات التي أوصلتنا لها. قصيدته ليست مجازاً، إنها تدوين لأحداث جرت، وثقت سلوك المحتل البريطاني. الآلاف من الفلسطينيين، وطوال سنوات الانتداب، تم سوقهم حفاة على شوك الصبار، بحثاً عن معلومة سريعة تفيد بمكان اختباء الثوار. والضحايا المعذّبون هم فلاحو القرى الفلسطينية. يكفي أن تكون فلسطينياً، وتعيش في منطقة تعرّضت لهجمات الثوار، أن تتعرّض لهذه التجربة من العذاب القاسي. ولم يكتف بذلك، بل كان يقدم على اقتحام البيوت، والعبث بمحتوياتها، يخلط المواد التموينية ببعضها، يسكب الزيت على الطحين، ويخرج من البيت بعد أن أحدث الخراب فيه. ولا غرابة أن الاحتلال اليوم يقوم بالسلوك نفسه، فهو الوريث الفعلي لمن ربّاه، والهدف من هذا كله هو ضرب البيئة الحاضنة للثورة، لإبعادها عن المنخرطين بها، وصنع معادلة تقول: إن التعاطف مع الفعل الثوري مكلف، ويزيد عليه أحياناً باستهداف المدنيين وقتلهم، ضمن سياسة معتمدة مسبقاً، هدفها دب الرعب بالجميع.

أمّا المطلوبون للانتداب، فعائلاتهم مرشحة دوماً للاعتقال لمساومة المطلوب، ولإجباره على تسليم نفسه، وتتكرّر الحكاية اليوم مع الاحتلال، فأهالي المطلوبين قد يمكثون أشهراً وسنوات بتهمة عدم الإبلاغ. هناك قانون عسكري موروث من عهد الانتداب، يحاكم كل من سمع وشاهد أي عمل مقاوم ولم يقم بالإبلاغ عنه، حتى وصل إلى محاكمة النوايا والمشاعر.

الانتداب صورة المنتصر

في نهاية الحرب العالمية الأولى، قرّرت الدول المنتصرة، بريطانيا وفرنسا، اقتسام العالم، ولأنهما الأقوى في عصبة الأمم، اشتغلوا على صناعة خطاب حضاري، ليبرروا فعلتهم، خطاب الوصي على الأمم المغلوبة. الانتداب هو اللفظ الاستعماري المخفف، لسرقة الأرض، وفي حالتنا الفلسطينية، تقديمها في ما بعد للغير بلا وجه حق. الانتداب الذي ادعى أن فعله أخلاقي، قام طوال الوقت، بالهدم والقتل والتشريد، سنّ القوانين التي حرمت الفلسطيني من كل مقومات الحياة، ومع هذا واصل الادعاء أنه يريد أن نصبح أمة متحضرة، فاستخدم من أجل هذا «التحضير» سلسلة من أدوات القهر المنظم، مارسها طوال ثلاثة عقود متواصلة، فالعقاب جاهز لمن لا ينصاع.

التاريخ الفلسطيني مع الانتداب حافل، بكل أشكال التنكيل، من حصار المدن والأرياف، وارتكاب المجازر بحق المدنيين العزل، ونسف وهدم البيوت، إلى الإبعاد والاعتقال التعسفي، والإداري، والإقامة الجبرية، والاعتقال المنزلي، وبناء السجون، على امتداد أرض فلسطين. قطعوا أشواطاً في التعذيب، تفننوا في هذا المجال، وبلغوا الذروة باقتلاع الأظافر، وحرق المعتقلين، بوحشية قل نظيرها، وفوق هذا كله، جهزوا البلاد لتكون «وطناً قومياً» للغرباء، ليس فقط عبر الصكوك القانونية، بل بالتحضير العملي لتنفيذ هذا الصك، عبر إقامة البنى التحتية، والطرق والجسور، حتى قال بعض المؤرخين، إن لحظة انسحاب البريطانيين من فلسطين، كانت لحظة كاملة، حيث تسلم الصهاينة البلاد، وفيها مستلزمات قيام دولتهم كافة.

والغريب في الأمر، أنه مع مرور الوقت، ومواصلة الشعب الفلسطيني

> **المحتل المنتدب، بنى لنا السجون. في كل مدينة من البلاد، تجد سجناً، من عكا شمالاً وحتى النقب جنوباً، ورثها الصهاينة، وزادوا عليها**

كفاحه المشروع، تبيّن أن الصهاينة لم يرثوا فقط البنى التحتية للانتداب البريطاني، بل ورثوا سلوكه أيضاً، في ممارساته اللاإنسانية بحق الشعب الفلسطيني. الاحتلال اليوم لا يخجل من هذا الفعل، ومبرره القانوني حاضر دوماً، الفلسطيني ما زال حتى هذا الوقت يُحكم بقوانين الانتداب البريطاني، إلا في بعض الزيادات التي ابتدعها الصهاينة لقهر الفلسطينيين، كاحتجاز جثامين الشهداء، واستبدال الإعدام بالسجن المؤبد.

وبموجب قوانين الانتداب التي لا تزال فاعلة حتى هذا اليوم، ما زال الفلسطيني يعيش تحت نظم عسكرية، لا تعترف بإنسانيته على الإطلاق، فيما العالم المتحضر، كما يدعي، يشاهد ذلك ولا يفعل أي شيء. لا عقوبة لهذه الدولة الخارجة عن القانون، ملفات الجرائم الصهيونية تحفظ دوماً في الأدراج، كما أن إسرائيل لا تقبل بالمؤسسات الدولية المعنية بحقوق الإنسان، والذريعة دوماً أن المشتكي لا يتمثّل بدولة، وهذا يعني أن الفلسطيني، كفرد وجماعة ومؤسسات، لا يحق له تقديم الشكوى.

هذه الدولة الاستعمارية، منذ قيامها وحتى هذه اللحظة، تغطي مؤسساتها العسكرية والأمنية أفعال المستوطنين الإجرامية بحق الفلسطيني، وكلها تأتي بادعاء «الدفاع عن النفس»، فالقاتل في عرف الاحتلال يتجوّل حراً طليقاً، طالما كانت الضحية هويتها فلسطينية.

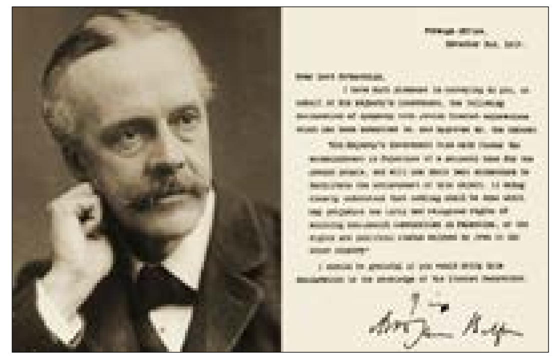

قبل 105 أعوام، كانت فلسطين على موعد غيّر أقدارها، وعد بلفور الذي بموجبه نقلت بريطانيا المنتصرة في الحرب الأولى ملكية فلسطين لليهود الذين لم تكن تتعدى نسبتهم في فلسطين الـ 5% في ذلك الوقت، أعطاهم الحق في تقرير المصير، لتلقي بشعب توارث الأرض عن الأهل الكنعانيين، على قارعة الطريق. منذ ذلك الوقت، وحتى يومنا هذا، والفلسطيني يصارع السفاح، في معركة مفتوحة معه، من دون أن يملك من أدوات الصراع، سوى الحق، وإرادة الكفاح المشروع.

المحتل المنتدب، بنى لنا السجون. في كل مدينة من البلاد، تجد سجناً، من عكا شمالاً وحتى النقب جنوباً، ورّثها الصهاينة، وزادوا عليها، وأخذوا دفاتره، التي احتوت المعلومات والوثائق عن الأراضي وأهلها، الأديان، المذاهب، الطوائف، التقسيمات الاجتماعية، أبنيتنا، مقدراتنا العلمية، مكتباتنا، كل شيء. وفي رواية الأجداد أن المحتل الصهيوني بعد النكبة في العام 48، والنكسة في العام 67، راجعهم بقضايا ومعلومات شخصية، قبل قيام دولة الاحتلال.

بين المنتدب والمحتل

يظهر التكامل بين الانتداب/ الاحتلال والاحتلال الصهيوني، عبر سلوك دولة الكيان، والذي يبدو استكمالاً لمفاعيل الانتداب. مارست بريطانيا قبل النكبة ما يمارسه الاحتلال بعدها، وفق رؤية استعمارية واحدة، جوهرها الفصل الكلي بين السكان والأرض. الشعب الفلسطيني، في نظرهم، يحمل صفة المقيم، وربما الصدفة هي التي أوجدته، والقاعدة في التعامل معه تقوم على فرض الهدوء مقابل البقاء. وحدها المؤسسة الأمنية مسؤولة عن أقدارهم، وهي تعدّ عليهم أنفاسهم. وما بين الانتداب وقيام دولة الاحتلال، كانت النكبة، فقد فيها الفلسطيني كل شيء، ماضيه وحاضره ومستقبله، وسؤال الهوية، الذي ظل ماثلاً. أعلن الفلسطينيون الثورات والانتفاضات، وحتى اليوم يدفعون الدم، وهم يفتشون عن إجابة لهذا السؤال الذي ما زال مفتوحاً على مصراعيه.

قرنٌ وزيادة والعالم «المتحضر» يرى كل هذا الألم والتشريد والقتل ونسف وهدم البيوت، وأسر شعب بأكمله، من دون أن يحرّك ساكناً، بل تحالف مع القاتل ضد الضحية؛ الأوروبي بابه الاقتصادي، حيث يعيش المحتل على سوق أوروبية مفتوحة على مصراعيها أمامه، جعلته من أقوى الدول الاقتصادية في المنطقة، وأميركا تزوّده بالمال والعتاد وتغطيه في المحافل الدولية.

105 أعوام من الإنكار

بريطانيا «العظمى»، حتى هذا الوقت لا تريد الاعتذار، بالأمس قنصلياتها في القدس رفضت قبول عريضة احتجاج قدمها فلسطينيون، هي لا تريد حتى الاستماع، وفلسطين ما زالت امتحان الجميع، والرافض لصدى صوتها شريك المحتل في الجريمة.

قد يسأل البعض، هل يوجد فرق بين الانتداب والاحتلال اليوم؟ والجواب من ميدان فلسطين يحضر، هما من أم واحدة، فوعد بلفور لم يكن فقط قبل 105 أعوام، وعد بلفور حاضر في كل يوم، يؤرّخ تاريخ مرحلة لم تنته بعد، مرحلة تسير نحو وجهتين لا ثالث لهما، فلا قيمة لكل ما أحدثته الآلة الغربية، ممثلةً ببريطانيا بالأمس وأميركا اليوم، طالما أن نداء فلسطين حاضر دوماً في أفئدة ملايين الفلسطينيين، في الداخل المحتل، وعلى قوس الوطن، وفي المنافي البعيدة والشتات. الهوية في أرض كنعان اكتملت، قبل قيام دولتهم، وفي أرض كنعان يأتي الغزاة ويرحلون، فيما الوجهة الثانية، أن يستمر الصراع حتى نهايته، أمّا النسيان فليس حاضراً في أجندة الفلسطينيين. قسّموا الخريطة والوطن، عاش الفلسطيني عوالم وأزمنة مختلفة، امتحن الألم، ولم يقبل الهزيمة، فظل المحتل يخشاه دوماً، ماتت غولدا مائير التي أنكرت وجود الشعب الفلسطيني، وبقي الفلسطيني بفعله ذاكرة في مواجهة النسيان. الرهان على عامل الوقت، لا يجدي في الحالة الفلسطينية، في العام 1936 جنّدت بريطانيا ثلث قواتها العسكرية في فلسطين لمواجهة ثورة القسام، واليوم تجنّد دولة الاحتلال نصف قواتها، لمواجهة بضع مئات من المقاتلين، وهذا مثال حي على عظمة القضية، وتأثيرها على الجميع.

يطوى قرن ويفتح آخر، وبلفور المقبور في رسالته، حي، ولن يموت إلا بعد دفن الوعد وصاحبه، عندها تعود الحكاية إلى أصلها.

لماذا ظلّ الغرب متمسّكاً بوعد بلفور؟

أحمد الصباهي

قبل أن أكتب هذا المقال، اطّلعت على كتاب «مئة عام على تصريح بلفور، الثابت والمتحول في المشروع الكولونيالي إزاء فلسطين» (سحر الهنيدي، إصدار مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت 2019). وخلال تجوال ناظريّ في فهرس الكتاب، لفتني عنوان «تصريح بلفور في الأرشيف البريطاني 1923، إعادة تقويم».

فوجئت، خلال قراءة هذه الدراسة، بأن الأرشيف البريطاني الرسمي صمت عن الكيفية والأسباب التي شكّلت الخلفية الحقيقية لنشوء تصريح بلفور وصياغته في وثيقة، حتى إن الباحثة تذكر أن آرثر بلفور، وزير الخارجية البريطاني آنذاك، أكّد نفسه، عندما سُئل عام 1922 عن المسألة، أنه لا يتذكّر شيئاً! لتتكفّل تفسيرَ ذلك شخصياتٌ بريطانية صهيونية في تقارير ذكرت فيها الباحثة أن السبب هو «الضغوط العسكرية القاسية التي واجهتها بريطانيا في الوقت الذي تم فيه صوغ التصريح، والدَّين المتوجّب عليها للصهيونيين جراء مساعدتهم وقت الحاجة»، في إشارة إلى الخدمة التي قدّمتها الصهيونية لإقناع الولايات المتحدة بالانخراط في الحرب العالمية الأولى إلى جانب الحلفاء، مقابل صك بلفور.

وتطرح الباحثة سؤالاً آخر: لماذا استمرّت السياسةُ المؤيّدة للصهيونية على الرغم من جميع محاولات العودة عنها؟

استدلّت الكاتبة بالعديد من الدلائل، عبر التقارير التي تعود إلى تلك الحقبة والتي تظهر أن الأسس التي ترتكز عليها السياسة البريطانية تجاه هذا الوعد كانت «هشة»، بل حتى، أثيرت نقاشات عدة حول جدوى الاستمرار في هذه السياسة بالنظر إلى ما آلت إليه أمور الصراع بين الفلسطينيين والمشروع الصهيوني في فلسطين، والظلم الذي لحق بالشعب الفلسطيني. ففي عام 1923 قدّمت لجنة مجلس الوزراء المعنيّة بفلسطين تقريرَها إلى المجلس، أقرّت فيه بأن «الوعد كان غير ضروري وغير حكيم... وأن مشكلاتنا اللاحقة انبثقت في الأساس من تبنيه...»، وخلصت إلى أن تحقيق هذا الوعد يقتضي منها «أن تضحي بالكثير على صعيد انسجامها مع نفسها واحترامها لذاتها، إن لم يكن شرفها». حتى إن الأمر أثير في أروقة عصبة الأمم أيضاً، عبر تقرير أعدّته لجنة الانتدابات الدائمة لتقديمه إلى مجلس عصبة الأمم في 6 تشرين الثاني عام 1924 قبيل صدور قرار الانتداب الذي تضمّن تحقيق وعد بلفور، حيث أشارت بوضوح إلى تعقيدات الوضع في فلسطين، لجهة

> **لا يزال الخلاف بين الباحثين محتدماً حول الأسباب التي دفعت إلى تلاقي المصلحة الأوروبية والأميركية مع الصهيونية**

إقامة وطن قومي لليهود، وتأثير ذلك على الحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية، كما أشار التقرير إلى الجدل المثار حول الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

لكن من الذي رجّح كفة العدول عن هذه السياسة، حتى في أروقة عصبة الأمم؟ تبرز عدة أسماء، غير بلفور، كانت متحمّسة لتحقيق هذا الوعد، صهيونيةً حتى النخاع، كـ أورمسبي غور، وكيل وزير الدولة للمستعمرات، جون شاكبرغ، رئيس دائرة الشرق الأوسط في وزارة المستعمرات، الكولونيل ريتشارد مينرتسهاغن، كبير المسؤولين السياسيين في الإدارة العسكرية في سوريا وفلسطين (1918-1920). لكن الاسم الأبرز كان د. حاييم وايزمن.

دور وايزمن

تذكر الباحثة التأثير المذهل لوايزمن، إذ كان بإمكانه أن يفتح معظم الأبواب في «وايت هول»، الشارع الذي يضم المؤسسات الحكومية، فتم التعامل معه على هذا الأساس؛ أنه الممثل الصهيوني الوحيد خلال الحرب العالمية الأولى، والذي كان مقبولاً في وقت واحد بصفته من أهل البلد، وشخصية حكومية في أوساط الحكومة البريطانية والمجتمع الراقي.

لقد استطاع وايزمن، عبر صلاته الوثيقة، أن يضغط على الساسة البريطانيين للدفع باتجاه تحقيق وعد بلفور وتذليل العقبات أمام تنفيذه، وهذا ما شهدت به أقوال الساسة البريطانيين لجهة قوة تأثيره التي وصلت إلى حد السحر، بحيث وصف السياسي البريطاني روبرت بوثبي تلك المرحلة بـ«مرحلة وايزمن». لكن من الصعب جداً الاعتقاد بأن هذا كان السبب الأوحد، ليبيّن، كما ذكرنا سابقاً، إدوين مونتاغو، السياسي البريطاني، أن وايزمن قدّم اليهود على أنهم «قوة باطنية يجب نيل رضاها، لأن في إمكان أموال اليهود في أميركا وتأثيرهم في القوى المناهضة للحرب في روسيا المساعدة في تحديد نتيجة الحرب»، بل إن تأثيره طال عصبة الأمم أيضاً.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن، أين كان العرب في تلك اللحظة التاريخية؟ وأين الوعود التي قطعت للشريف حسين؟ ولماذا أطاحت بريطانيا بوعودها للعرب؟ لا يزال الخلاف بين الباحثين محتدماً حول الأسباب التي دفعت إلى تلاقي المصلحة الأوروبية والأميركية مع الصهيونية، وإن كان المفكر الفلسطيني رشيد الخالدي ينفي البعد الديني لوعد بلفور، لكن يبقى السؤال قائماً، إذا كانت بريطانيا في لحظة حرجة بحاجة إلى الولايات المتحدة، فلماذا مع انتهائها وانتصارها أصرّت على الاستمرار في الدفع باتجاه تحقيق إقامة دولة لليهود على حساب الفلسطينيين، وعلى حساب العرب، وبالرغم من حدة الصراع والمعارك؟ لماذا أيّدته الولايات المتحدة عبر الرئيس ويلسون وقد أطاح بـ«مبادئه التحررية». لا أجد إلا أن أميل إلى الرأي القائل، وإن تحدّث به مؤرخون يهود، أن الإيمان الديني لأصحاب القرار شكّل الرأي الحاسم في تأييد تحقيق هذا الوعد، ويكفي أن نقرأ تصريح بايدن: «أنا صهيوني، ولا يتعيّن على المرء أن يكون يهودياً ليكون صهيونياً»، ليوافق من سبقه إلى ذلك، وهو بلفور. ولعل ممّا يدلّل على ما جاء من طرح في هذه المادة، ما كتبه الأستاذ زياد منى في «الأخبار» بعنوان «الصهيونيّة المسيحيّة... هكذا أسهمت في احتلال فلسطين»، حول كتاب «تاريخ مختصر للصهيونية المسيحية» (2020) لدونالد أم. لويس، أن «التأريخ الصهيوني الراسخ قد هيمن عليه المؤرّخون الذين انزعجوا من الاقتراح القائل إن الدين، يهودياً أو مسيحياً، كان حاسماً على أي نحو في تأسيس كيان العدو الصهيوني الاستعماري الاستيطاني. لقد تغيّرت النظرة الخاطئة تلك، ذلك أن نتنياهو صرّح مراراً وتكراراً بأن الدعم المسيحي الصهيوني كان حاسماً في تأسيس الكيان في عام 1948».

وتشير الباحثة هنيدة غانم، في مقالة «السلام القيامي: صفقة القرن أو الخراب الذي يَعِد بالازدهار» (مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 122 ربيع 2020) إلى أن المسيحية الصهيونية تؤمن بأن «فلسطين هي الأرض الموعودة للشعب اليهودي، وأنه يجب أن يعود إليها ليقيم كياناً يهودياً فيها يمهد لعودة المسيح الثانية الذي سيؤسس مملكة الألف عام. وقد ساعد بشكل كبير وجود شخصيات محسوبة على المسيحية الصهيونية، في استصدار وعد بلفور، بما فيه دعم رئيس الحكومة البريطانية لويد جورج، ووزير الخارجية مارك سايكس، واللورد روبير سيسيل، والسير رونالد غراهام الذي أدى دوراً مهماً في صوغ تصريح بلفور الذي أُعلن رسمياً في 2 تشرين الثاني / نوفمبر 1917. وعبّر ناحوم سوكلوف في كتابه "تاريخ الصهيونية" الذي نشره في عام 1919، عن الدور الكبير الذي أدته الصهيونية المسيحية في دعم الصهيونية السياسية، ونجاحها في استصدار وعد بلفور».

شتات

المجتمع المدني ينطلق في اليرموك

واصل حميدة

على زاوية بيته في مخيّم اليرموك، يجلس العمّ أبو عرب. اللاجئ الفلسطيني الذي عاش نكبة بلاده في طفولته، ونكبة مخيّمه في كهولته، والتي يصفها بالأصعب، ورغم بلوغه العقد الثامن من العمر، لم يثنه ذلك عن تحقيق حلم العودة بشكله المصغر إلى بيته في المخيم جنوب دمشق. «في النكبة الأولى، فتحت أمامنا بيوت أهل الشام، أمّا في نكبة اليرموك فاضطررنا إلى اللجوء إلى مراكز الإيواء أو استئجار بيوت في مناطق مختلفة من دمشق، بأسعار خيالية أثقلت كاهلنا على مدى سنوات، فكان لا بد من العودة إلى بيوتنا في اليرموك في أول فرصة، وخاصة مع الوضع الاقتصادي الصعب وغلاء المعيشة الذي تعيشه البلاد»، بهذه الكلمات تحدّث أبو عرب إلى «الأخبار» عن خروجه من رحلة معاناته، وكيف ودّع المخيّم مدينةً تعجّ بالحياة وعاد إليه وأجزاء واسعة منه دمّرتها الحرب وحوّلته إلى مدينة أشباح فوق أكوام الركام.

للمرة الأولى... مركز تنمية مجتمعية في المخيّم

يشعل أبو عرب سيجارته، وينظر إلى مجموعة من المتطوعين الشباب في جمعية «نور للإغاثة والتنمية»، قدموا إلى حارته لافتتاح مركز لجمعية للتنمية المجتمعية، يعدّ أوّل مساحة آمنة للفتيات والنساء في المخيّم، وسيقدم خدمات التمكين بالأعمال المهنية التي من شأنها أن تساعد نساء المنطقة على عمليّة الترميم والعودة، بالتعاون مع صندوق الأمم المتحدة للسكان.

يعوّل أبو عرب على أن يكون هذا المركز الجديد فاتحة لاستئناف مؤسسات ومنظمات المجتمع المدني نشاطها داخل اليرموك، الأمر الذي ينعكس إيجاباً على ساكني المخيّم الذين يحاولون خلق الحياة من العدم، وإعادة ضخ الدماء في عاصمة الشتات الفلسطينية.

وبلهجته الفلسطينية العتيقة وصوته العميق، يتحدّث أبو عرب عن الصعوبات اليومية في ظل شبه فقدان للخدمات الأساسية داخل المخيّم: «الكهرباء التي تصل إلينا على قلتها، فهي تصلنا ضعيفة جداً ولا يمكن الاستفادة منها حتى لشحن الهواتف المحمولة، إلى جانب انعدام المواصلات، الأمر الذي يضطرّنا إلى السير إلى منطقة الزاهرة لشراء احتياجاتنا اليومية، ما يشكل عبئاً كبيراً على أهالي اليرموك وخاصة كبار السن أمثالي». ويختم حديثه: «نعم متفائلين بالخير، ونشجع الناس على العودة إلى اليرموك في حال توفر الكهرباء والمواصلات، وبغير ذلك لن يعود إلا كل مضطر، ولن نشهد عودة جماعية للأهالي كما نتمنى جميعاً».

أخيراً، عمل المجلس النرويجي للاجئين (NRC) على دعم عمليات ترميم مدرسة «أسد بن فرات» على أطراف اليرموك في منطقة شارع الثلاثين، بالتعاون مع وزارة التربية السورية، إلا أن الأهالي يؤكّدون أن المنطقة المحيطة بهذه المدرسة يملأها الدمار بشكل كبير، وهي موحشة وخطرة على الأطفال، لذلك يمتنعون عن إرسال أطفالهم إليها، ويفضّلون إلحاقهم بمدارس خارج المخيّم، رغم التكلفة الإضافية المترتبة عليهم من ذلك.

«نور» تبدأ العمل

تحاول «جمعية نور للإغاثة والتنمية»، التي تأسست عام 2013، والمنتشرة في مختلف مناطق الجغرافيا السورية، العمل على فتح ثغرة في ملف اليرموك، وتحريك المياه الراكدة في المخيّم، من خلال افتتاح مركز للخدمة المجتمعية معني بمساعدة السيدات والفتيات، مع خطط وآمال كبيرة وضعتها إدارة الجمعية نصب عينيها، للتوسّع داخل المخيّم، وافتتاح المزيد من المراكز الطبية والمهنية والاجتماعية، لتكون سنداً حقيقياً للأهالي.

«لك يوم يا مخيّم اليرموك»

وعن توقيت افتتاح المركز، يتحدّث رئيس مجلس إدارة «نور» محمد جلبوط، إلى «الأخبار»، موضحاً أن الجمعية اعتمدت «على اختيار هذا اليوم، الذي يصادف ذكرى وعد بلفور المشؤوم، لإطلاق المركز، لأنه طالما شكّل اليرموك برمزيته شوكة في حلق كيان العدو الإسرائيلي، ولا ننسى الجملة التي أطلقها رئيس وزراء العدو السابق آرئيل شارون حين قال: لك يوم يا مخيم اليرموك، وباعتقادنا إن هذا اليوم كان في 17 كانون الأول من عام 2012، حين اضطرّ أهالي اليرموك إلى الخروج منه، نتيجة تحوّله إلى ساحة حرب، واليوم نعود إلى المخيم بذكرى وعد بلفور لنقول إن من الممكن أن يموت كبارنا، لكنّ صغارنا سيكونون متجذّرين أكثر».

حزمة مشاريع قيد الإنجاز

وبهذا الافتتاح، تطلق جمعية «نور» حزمة من المشاريع داخل المخيّم، لتؤكد أنها بدأت بالعمل على الأرض، بحسب رئيس مجلس إدارتها، الذي يوضح أن الجمعية، كذراع تنفيذي لمحافظة دمشق ووزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، أطلقت أربعة مشاريع، وافتتحت اليوم مركز «نور للمرأة»، بدعم صندوق الأمم المتحدة للسكان، بهدف تأهيل نساء المخيم وتمكينهنّ، ليكنّ قادرات على دخول سوق العمل والمساعدة في ترميم منازلهن. أمّا المشروع الثاني فهو مركز «نور الطبي»، أمّا الثالث فهو مركز «نور التعليمي»، بينما المشروع الرابع يتعلق بعملية الأتمتة، وهي الأولى من نوعها التي تعمل عليها محافظة دمشق بالتعاون مع «نور» ودائرة خدمات اليرموك.

الكهرباء قيد الانتظار

من جانبه، أكد محافظ دمشق محمد طارق كريشاتي، خلال الافتتاح، في كلمة للصحافيين، أن المحافظة ستقدّم كل الدعم الممكن لقاطني المخيّم، لناحية تأمين الخدمات الأساسية وتشجيع العودة، وخاصة عملية تثبيت الوثائق لتسهيل إخراج الأوراق الرسمية والثبوتية، التي تساهم في تشجيع عودة الأهالي إلى بيوتهم وممتلكاتهم، مشيراً إلى أنه خلال أيام قليلة سيبدأ العمل على تأهيل أحد مخابز المخيّم، بالتعاون مع إحدى المنظمات الدولية. وفي ما يتعلّق بملف النقل، شدّد على أنه خلال أسبوع سيتم تأمين وسائل نقل لتخديم الأحياء المسكونة داخل المخيّم. أمّا الكهرباء، فسيجري إعداد دراسة من أجل إعادة البنى التحتية تدريجياً.

بدوره، أوضح جلبوط أن عودة الكهرباء بالشكل الفعّال لن تكون في المدى المنظور، وعليه سيجري العمل على حلول بديلة (طاقة شمسية، أمبيرات، وغيرها) بالتعاون مع محافظة دمشق والمؤسسات المحلية، وأضاف إنه حالياً لا قدرة على تأمين شبكة خطوط خلوية لليرموك، نظراً إلى التكاليف المرتفعة جداً، وهي ليست أولوية بالنظر إلى حجم الدمار الكبير. ولفت إلى أن حضور قادة التنظيمات الفلسطينية من فصائل منظمة التحرير وتحالف القوى الفلسطينية والسفارة الفلسطينية حفل الافتتاح، يعكس التوافق الفلسطيني على دعم جمعية «نور» وغيرها من مؤسسات المجتمع المدني والمؤسسات الفلسطينية، لبدء عملية تقديم الخدمات وتسهيل عودة الأهالي إلى بيوتهم.

لا وجود لـ«حماس»

وحول تأثير عودة حركة «حماس» إلى سوريا، وانعكاس ذلك إيجاباً على وتيرة العمل وعودة الأهالي إلى المخيّم في ظل توافق مختلف الفصائل الفلسطينية، قال جلبوط: «أنا لم أسمع عن عودة حماس إلى سوريا، بل سمعت عن زيارة وفد من حماس إلى دمشق، ولا أستطيع القول إن حماس عادت إلى سوريا قبل أن أراها في مخيّم اليرموك»، حسب تعبيره.

البلاد

مقابلة

حاوره موسى السادة

غسان كنفاني يصنع مزيداً من الكتب والأصدقاء لفلسطين!

لوي ألداي

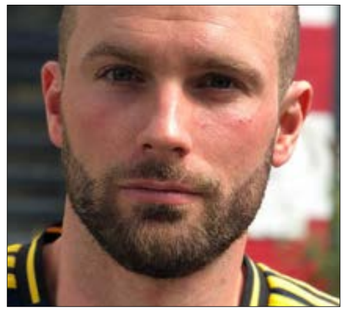

لوي ألداي، مؤرّخ وكاتب إنكليزي، ذو لسان عربي طلق، ومحرّر موقع «Liberated Texts»، وهو موقع معني بتسليط الضوء على كتب منسيّة، همّشت عن قصد منذ صدورها من قبل التيارات الثقافية المهيمنة، فيعيد نشرها على صيغة مراجعات ملخّصة تسهل على القراء تناول مواضيع النضال ضد الاستعمار والإمبريالية وتاريخ الثورات حول العالم. وبالتعاون مع «Ebb Books»، وكإصدار أوّل ضمن مشروع لترجمة وإعادة نشر كتب مختارة، عمل الداي على تحرير ترجمة محمود نجيب للنسخة الإنكليزية لكتاب غسان كنفاني «في الأدب الصهيوني».

يحدّثنا ألداي في هذه المقابلة عن أهمية الكتب كأداة ثقافية في مجابهة البروباغندا الغربية، مستحضراً أثر العمل الثقافي للشهيد كنفاني عليه شخصياً، منذ أن قرأ «رجال في الشمس» للمرة الأولى، وصولاً إلى تواصله مع عائلة الشهيد وزيارتهم في منزلهم في بيروت: «كان اسمه على باب المنزل (بيت غسان كنفاني)، وجلست محاطاً بمقتنياته وأعماله، وفي حديثي مع السيدة آني والسيدة ليلى كنفاني، لم أشعر أننا نتكلم عن غسان بعد نصف قرن على استشهاده، كان وكأنه بيننا، يصدق، شعرت أنه من الممكن أن يدخل علينا في الصالة في أي لحظة!»

علاقة لوي مع الكتب والبروباغندا وكنفاني علاقة متداخلة، وهو الحاصل على دكتوراه في التاريخ، ويعمل في إحدى أكبر المكتبات في العالم، حيث غذّت كل واحدة منهما الأخرى. محاولة بحثه عن كتب بعيداً من الثقافة السائدة ودعايتها السياسية قادته إلى كنفاني، الذي بدوره أثّر على فكره وعمله في مقارعة البروباغندا الإمبريالية.

أينما اطلعنا على أي من الإصدارات التي ساهم فيها الداي، سواء الإلكترونية منها، أو على الصفحات الأولى للمطبوعات، فسنجد هذا الاقتباس:

«تختلف الكتب عن جميع وسائل البروباغندا الأخرى... يمكن لكتاب واحد أن يغيّر وبشكل كبير موقف القارئ وأفعاله بشكل لا يتقارن مع أي وسيلة أخرى... إن الكتب أهم الأسلحة الفعالة لاستراتيجية بروباغندا على المدى الطويل» (مسؤول العمليات السرية، في الـ«سي آي أي»، 1961).

ولكن السؤال اليوم، حول راهنية هذه الفعالية، فهل لا تزال للكتب هذه الأهمية الاستراتيجية في عصر وسائل التواصل الاجتماعي؟ يجيب لوي: «جدير بالإشارة أن الاقتباس أعلاه هو أحد أسباب انبثاق فكرة Liberated Texts، صحيح أن طريقة استهلاك الناس للمواد الإعلامية والمعلومات قد تغيّرت، وبشكل أثّر في آلية عمل البروباغندا، وهو ما يدفع بالكثيرين مساءلة كون الكتب أهم أسلحة البروباغندا، فمعارك البروباغندا قد تغيّرت كثيراً منذ الستينيات، إلا أن ما يجعلني أقارب الموضوع الغربية فحسب، بل من ناحية استمرارية هذا الدور حتى اليوم، هي الأحداث الراهنة».

> بعد خمسين عاماً نرى أناساً يكتبون ويتحدّثون عن غسان ولكنهم لن يجرؤوا ولا حتى في أحلامهم على دعم والحض على الكفاح المسلح

ليس من ناحية الدور التاريخي للكتب في البروباغندا الغربية فحسب، بل من ناحية استمرارية هذا الدور حتى اليوم، هي الأحداث الراهنة».

«لنأخذ الكتب التي نشرت عن سوريا خلال العقد الماضي على سبيل المثال، ولنلاحظ هنا على وجه الخصوص دور النشر اليسارية، حيث أنها تنشر ومن دون أدنى نفَس نقدي الرواية الإمبريالية عن سوريا، لكن وببساطة باستخدام مفردات ومصطلحات يسارية. دعني هذا التطابق العجيب بين روايات اليسار وروايات المؤسسات الإمبريالية، إلى التساؤل عن الشكل الحالي لاختراق السي آي أي لدور نشر كتب، وبشكل متصل بشكل مباشر مع الأكاديميا ككل. فالاقتباس الذي ذكرناه هو من تقرير "لجنة تشيرش" لعام 1975 وهو تحقيق لمجلس الشيوخ الأميركي، يكشف بشكل مفصل طرق تأثير وسيطرة وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية على الكتب التي تنشرها دور النشر، ليس داخل الولايات المتحدة فقط بل حول العالم، وهو ما يمتد للأكاديمية لارتباط الاثنين معاً. وعليه، كانت ملاحظتي لحقيقة أن من يصورون أنفسهم كأكاديميين يساريين راديكاليين، يؤلفون كتباً تتخندق مع الإمبريالية في صف واحد وتدعمها في ما يتكرر اليوم في أوكرانيا، خذ على سبيل المثال المؤرخ الأميركي تيمبثي سنايدر، الذي يتصدّر شاشات التلفزة، ويروّج له كمؤرخ يعتد به، حيث إن مهمته الرئيسية خلال السنوات الماضية هو تمرير فكرة أن جوزيف ستالين والاتحاد السوفياتي بسوء، بل يرقون ليكونوا أسوأ، من هتلر ومن النازية. ويصب جهده هذا في اتجاه الغسيل الأبيض لدور أوكرانيا في الهولوكوست وتحديداً دور شخصيات كستيبان باندبرا، إن كل هذه الجهود كانت تعبّأ بالتوازي مع الانقلاب عام 2014، فالأكاديميون يضفون الشرعية على سرديات هذه المشاريع السياسية، وذلك عبر طريقتين: الأولى عبر تأليف كتب، ثم تصديرها على شاشة كـ CNN وإعادة ترديد سرديتهم، والأخرى، والتي تعمل على المدى الأطول، عبر تصدير كتبهم على رفوف المكتبات، والترويج لهذه الكتب في مراجعات على صفحات أبرز الصحف. وهذا تحديداً ما يحاول موقعنا Liberate Text التصدي له، عبر الترويج لكتب تقارع الإعلام السائد».

علاقة الداي بسوريا لم تبدأ مع تفاعله مع تداعيات الحرب وتحشيد البروباغندا الإعلامية والأكاديمية، فقد عاش في سوريا، وتعلم اللغة العربية في معاهدها، متنقلاً بين مدنها، خلال 2009. وبالنسبة لتجربته الشخصية من اتخاذ مواقف مشككة في السردية السائدة يخبرنا كيف استهدفته صحيفة «التايمز» البريطانية مع مجموعة من الأكاديميين على خلفية الحرب في سوريا، في محاولة يائسة قامت فيها الصحيفة بتزييف تغريدات له، ونشرها. على خلفية هذه التجربة أمام محاولة النيل من قبل الإعلام الغربي، رجعنا لنسأل لوي عن قصته مع غسان كنفاني وعلاقة إرث غسان مع كل هذا: «كأغلب القاطنين في الغرب، تعرّفت إلى غسان من خلال أعماله الأدبية، وعلى وجه الخصوص، أهم منتجاته الأدبية وأكثرها انتشاراً "رجال في الشمس". قرأتها بالإنكليزية قبل ست سنوات، ثم بدأت بقراءة قصصه القصيرة بالعربية. إلا أن علاقتي العاطفية بغسان بدأت بعد قراءة شيئين، الأوّل النص الذي كتبته أرملته السيدة آني في الذكرى الأولى لاستشهاده، وتحدّثت فيه عن علاقتها به حتى وفاته. وكذلك رسالتي تعزية إحداها من جورج حبش إلى آني، والأخرى من ابنه فايز يخاطب فيها أبيه بعد وفاته».

«أمّا أكثر الرسائل التي أثّرت علي في حياتي كانت رسالة آني الوداعية لغسان. والمسألة هنا لا تتعلّق بالمستوى العاطفي وأثره على قارئها، بل على المستوى السياسي أيضاً، فهذه الرسالة لا تعكس فقط مدى التزامه السياسي بالقضية بل بمدى تمسكها هي بالقضية، علينا أن نستوعب هنا أن آني وبعد خمسين عاماً من تلك الرسالة ما زالت في بيروت تعلّم لأجل أطفال فلسطين، فهي لم تبدّل طوال هذه السنين. جعلتني هذه الرسائل أهتم بشخصية غسان، ويمكنني هنا أن أضيف عاملاً آخر وهو مشاهدتي لوثائقي "الجيش الأحمر-الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين: إعلان الحرب العالمية"، والذي يظهر فيه غسان متحدثاً عن كون الكفاح المسلح أفضل وسائل البروباغندا على الإطلاق. حيث تحدّث بشكل مطوّل مشيراً إلى أن أهمية الكفاح المسلح لا تكمن فقط في الناحية الاستراتيجية والأيديولوجية بل وفي مقارعة البروباغندا الإمبريالية أيضاً. من هنا، بدأت بالوعي على الجهود المضنية المبذولة لتمييع شخصية غسان وسبغه بإطار ليبرالي، في كل من الإعلام الأجنبي بل والعربي أيضاً كقناة الجزيرة، بهدف ليس نزع وتهميش كتاباته السياسية، بل أيضاً التغطية على السياق التاريخي والأيديولوجي والسياسي الذي عاصره وساهم فيه. ولذلك كثيراً ما نرى من يتداول فيديوهات شهيرة لغسان، يتحدّث فيها بكاريزماتية وبلاغة، ومن ثم وفي التغريدة التالية يقومون بالتعليق والتوهين من النضال ضد الإمبريالية متجاهلين الإرث السياسي الذي يمثله غسان والجبهة الشعبية».

خلال الحديث يربط الداي بين أحداث متزامنة في حياة كنفاني، أوّلها رسالة كتبها غسان بعد زيارته لغزة عام 1966، أي قبل عام واحد من حرب 67. يتحدّث غسان في هذه الرسالة عن أهمية الكفاح المسلح، قائلاً: «إنني أشعر أكثر من أي وقت مضى أن كل قيمة كلماتي كانت في أنها تعويض صفيق وتافه لغياب السلاح، وأنها تنحدر الآن أمام شروق الرجال الحقيقيين الذين يموتون كل يوم في سبيل شيء أحترمه، وذلك يشعرني بغربة تشبه الموت، وبسعادة المحتضر بعد طول إيمان وعذاب، ولكن أيضاً بذل من طراز صاعق». يرى لوي أن هذه الرسالة وما فيها من إبراز لأهمية السلاح أمام العمل الدعائي، وكذلك الحض على البذل والعمل، وهو بذل أكمله غسان حتى بعد الهزيمة، حين بدأ العمل على كتابه «في الأدب الصهيوني»، فهذه الفترة كانت مغايرة بالنسبة للفلسطينيين، حيث رأوا أن عليهم المقاومة وحمل زمام الأمور بأنفسهم والاعتماد بشكل أقل على الدول العربية، وبشكل تصدّرته حينها «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين».

يستطرد لوي أكثر هنا: «علينا الملاحظة أنه ورغم الحض الواضح لغسان على حمل السلاح والمقاومة المسلحة، وتنظيره العميق لأهميتها ومركزيتها للقضية، إلا أننا وبعد خمسين عاماً نرى أناساً يكتبون ويتحدثون عن غسان ولكنهم لن يجرؤوا ولا حتى في أحلامهم على دعم والحض على الكفاح المسلح. رغم أننا اليوم نعيش انبعاثاً كبيراً لإحياء الكفاح المسلح من شهادة عدي التميمي إلى ما شهدناه البارحة في نابلس (في إشارة لعملية جيش العدو ضد «عرين الأسود»). وإذا ما قرأنا وصية عدي التميمي فهو يتحدث بوعي تام عن دوره، بأنه لن يحرر فلسطين وحده، لكنه في وعي تام لما يحدث حوله وأراد الانخراط في سلسلة العمليات والجهد المسلح، وهو جهد طالما حاول كثيرون نزع ومحو مساهمة كنفاني فيه. وللمفارقة غسان تحدّث بنفسه عن هذا الموضوع، نزع أعماله السياسية من الأدبية والعكس.

> أهمية الكفاح المسلح لا تكمن فقط في الناحية الاستراتيجية والأيديولوجية بل وفي مقارعة البروباغندا الإمبريالية أيضاً

ما يتكرر اليوم في أوكرانيا، خذ على سبيل المثال المؤرخ الأميركي تيمبثي سنايدر، الذي يتصدّر شاشات التلفزة، ويروّج له كمؤرخ يعتد به، حيث إن مهمته الرئيسية خلال السنوات الماضية هو تمرير فكرة أن جوزيف ستالين والاتحاد السوفياتي بسوء، بل يرقون ليكونوا أسوأ، من هتلر ومن النازية. ويصب جهده هذا في اتجاه الغسيل الأبيض لدور أوكرانيا في الهولوكوست وتحديداً دور شخصيات كستيبان باندبرا، إن كل هذه الجهود كانت تعبّأ بالتوازي مع الانقلاب عام 2014، فالأكاديميون يضفون الشرعية على سرديات هذه المشاريع السياسية، وذلك عبر طريقتين: الأولى عبر تأليف كتب، ثم تصديرها على شاشة كـ CNN وإعادة ترديد سرديتهم، والأخرى، والتي تعمل على المدى الأطول، عبر تصدير كتبهم على رفوف المكتبات، والترويج لهذه الكتب في مراجعات على صفحات أبرز الصحف. وهذا تحديداً ما يحاول موقعنا Liberate Text التصدي له، عبر الترويج لكتب تقارع الإعلام السائد».

سوريا لأكثر من عقد، هي ما جعلتني أربط بين أمرين، هما: دور السي آي أي، والثاني استهابي المعرفة التاريخية وهما مرتبطان لأن الكثير من هذه الكتب مؤلفة من قبل أكاديميين- لا يزالان وبشكل مباشر ينشرون السردية الإمبريالية».

يرى الداي أنه «وإن كان استهلاك الناس اليوم أكبر لوسائل التواصل منه من استهلاك الكتب، فإن عملية إنتاج الكتب تتكامل وتنعكس على وسائل التواصل. ففي مثال سوريا، وبمجرد تأليف لكتاب، سوف تتم مثلاً استضافتك على بودكاست، وسوف تتم إعادة تدوير مقتطفات من الكتاب على وسائل التواصل لتستهلك بشكل سريع، فيما يصب في نهاية المطاف في ذات السردية الغربية، وهذه أهمية دور الكتب اليوم بالنسبة للإمبريالية».

«يحاول Liberated Texts إعادة تعريف الناس بهذه الأهمية، وذلك عبر دفعهم للتفاعل مع الكتب المنسية والمهملة واستهلاكها، وليس مجرد استهلاك التغريدات والمقاطع المصورة. حيث إن عملية قراءة كتاب، وإن كان قصيراً، عملية مختلفة وأعمق من ناحية التعلم وتشكيل الأيديولوجيا. حتى إنه أمسى بوسعنا التعرّف وبسرعة إلى أولئك الذين يكوّنون أيديولوجيتهم السياسية عبر مجرد تغريدات أو memes. فهنا لا ترى نقاشاً سياسياً جاداً ومستمراً يؤدي لمنفعة ما، ومنطلق من إيمان بمبادئ سياسية، بل يتحوّل الأمر إلى صراع حول الشهرة والسمعة. وهذا ما أريد أن أوصله للجميع، وهو أن تبني تحليل انحدار أهمية الكتب، وأنه لم تعد القدرة لدى الناس للصبر والتركيز الطويل بين دفاتها، ستوصلنا في نهاية المطاف إلى التعبير عن السياسات في 32 ثانية على تيك توك. وأنا هنا لا أنفي أهمية هذه الوسائط القصيرة، إلا أن الكتب هي الرافد الأساس، سواء لتغريدات يعاد تغريدها لمئات الآف من المرات أو أن يظهر المؤلف في بودكاست يستمع له الألوف، حيث أن تأليف الكتاب هنا يعمل كنوع من إصباغ الشرعية والتميز».

يعود بنا لوي هنا إلى مثال الحرب السورية: «فلو افترضنا أن أحداً بلغ من العمر 18 سنة، وكان طفلاً خلال نشوب الحرب، وأراد اليوم فهم الأحداث، فسيجد نفسه يقرأ كتباً نشرتها دور نشر يسارية كتبها كتاب يساريون. وهذا ما أجده محبطاً، فما تفعله هذه الكتب هو إعادة إنتاج ذات السردية الإمبريالية ولكن بذائقات وصيغات مختلفة، فجميع دور النشر من Pluto Press وVerso وHaymarket يتوافقون على السردية ذاتها، وأي أحد يحاول مجرد مجادلة أو مساءلة هذه السردية فسيعتبر أنه تجاوز الحدود، وهو ما خبرته وعشت تجربته شخصياً وتعلمت الكثير منه. فلطالما كنت واعياً لحدود الحرية الأكاديمية، ولكن موضوع سوريا كشف لي حجم انغلاقها، فأي موقف لا يتناسب مع حشد الإمبريالية لكل أدواتها سوف يكلفك ذلك كثيراً، ستهدد حياتك المهنية وتهاجم على الصحف وما هو أبعد من ذلك. وهذا كان يحصل على المصادر والكتب بدعم من مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير، وبالإضافة إلى ذلك، كانت تأتيه من أصدقاء له بالخارج من بينهم أصدقاء يهود معادين للصهيونية، أمّا بالنسبة للوقت فقد كان غسان يعمل على الكتاب في نهاية يوم عمله وبعد رجوعه للمنزل.

«علينا هنا العودة إلى حديثنا عن أهمية الكتب، فحين احتلت إسرائيل لبنان عام 82 لم تقم فقط بتفجير المركز وقتل وجرح من فيه، بل إنها سرقت الكتب والأرشيفات منه. وأثناء العمل على الكتاب تكشّفت لنا عدة ملاحظات: فمسألة بحث غسان لمعرفة عدوه وفهمه ليست مجرد فضول، بل إن المسألة تتعلق بهدفه التحرري. وعلينا أن نتذكر هنا أنه كان يعمل على الكتاب في ظل جو من الانهزامية والضعف ليس فقط العسكري بعد حرب حزيران 67، بل أيضاً من الناحية الأيديولوجية والسياسية. بكلام آخر، كان يعمل على كتاب بفكك الرواية والبروباغندا الصهيونية، وهي في أوجها بعد الحرب. الأمر الآخر، كانت عملية إعادة قراءة الاقتباسات من الأدبيات والكتب الصهيونية من مصادرها الأم تشعرك بالاشمئزاز مما تقرأه، ويمكننا تخيل أنه هذا ما كان ينتاب غسان أثناء بحثه. حيث تشعر أنه كان يصارع عاطفته ويكبح جماحها في محاولة منه فهم عدوه بشكل موضوعي ودقيق، ثم يستخدم هذه المعرفة ضد هذا العدو. فنحن هنا لا نتكلم عن مثقف يبحث عن ترقية مهنية أو إشباع فضول شخصي بل إن كامل هدفه هو المساهمة في مشروع تحرري. يعطف على ذلك، وحين تحليله للنظرة الغربية حول استعمار فلسطين، فهو لا يحاول أن يلتمس عاطفة الغرب، حيث إنه لا يتحدث عن الغرب بصفته التاريخ ذاته، بل موضوعاً له. وبشكل متميّز مناقض للأكاديميين المشوهين اليوم الأورومركزيين، فمن الناحية الثقافية فقد كان نداً لعدوه».

يختم الداي حديثه معنا بالتعبير عن شعور انتابه كثيراً أثناء العمل على الكتاب، وهو: «سحقاً للصهاينة» الذين يظنون أن يقتلهم لغسان كنفاني أنه سينسى بعد كل هذه السنين. كانت هذه المشاعر ما تحفّزه على مواصلة العمل على الكتاب رغم كل الصعوبات التي واجهها.

بيعت، حتى اليوم، المئات من النسخ من الكتاب حول العالم، كما أن العديد من المكتبات قامت بطلبه، وصولاً لمكتبات العاصمة القدس. كما أن الكتاب سيصل للعديد من القراء العرب والفلسطينيين في الشتات والذين لا تسعفهم عربيتهم لقراءة النص الأصلي. يتوقع لوي أنه ومع الزمن سيولّد الكتاب هجمة صهيونية تحريضية عليه، تحاول محاربة الكتاب والحد من انتشاره، وهو أمر ينتظره، بل يشعرنا كأنه يريد حدوثه؛ يريدهم أن يعلموا أن اغتيال غسان الجسدي، أولاً، ثم المعنوي ومحاولة تمييع شخصيته ثانياً، لم ينهه، فلا يزال يلاحقهم.

أمّا الأمر الآخر الذي لم ينطق به لوي ألداي، بل أفصحت عنه عاطفته ومجهوده، هو سحر شخصية غسان كنفاني، فما زلت يا غسان بعد عقود من استشهادك تعبر الحدود تصنع الأصدقاء لك، ولفلسطين.

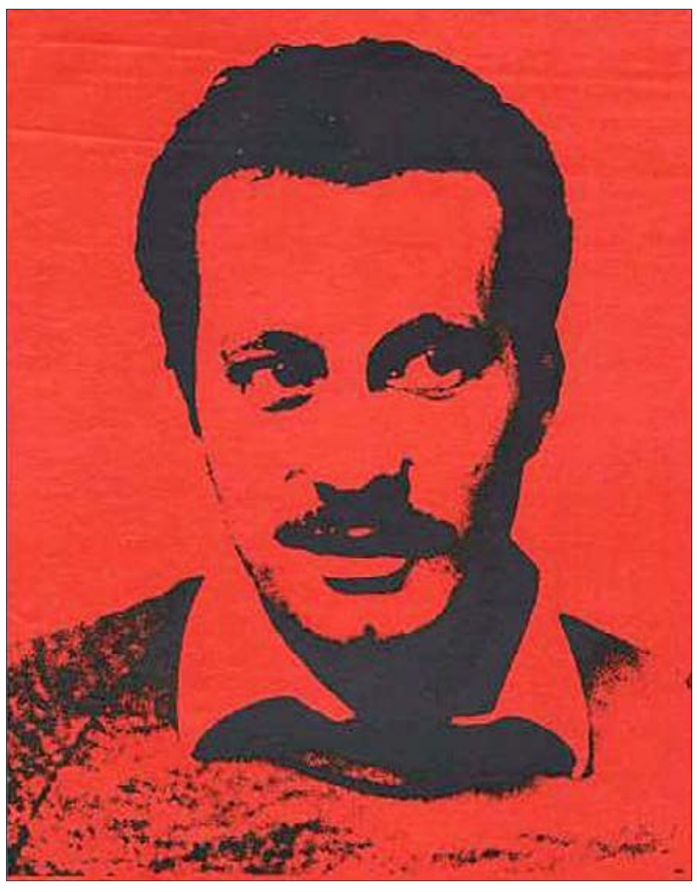

(رانية سعد الله)

الأخبار
al-akhbar
السبت 5 تشرين الثاني 2022 العدد 4770

صورة وخبر

بدءاً من اليوم السبت لغاية 10 نيسان (ابريل) 2023، يحتضن «مركز بومبيدو ميتز» الفرنسي معرضاً بعنوان «أبواب الممكن، الفن والخيال العلمي». يتتبّع الحدث تاريخ الخيال العلمي، من خمسينيات وستينيات القرن الماضي في ظلّ الموجة الجديدة ولغاية اليوم، مشكّلاً من خلال 200 عمل منوّع بين السينما والعمارة وغيرهما فرصة لـ «تسليط الضوء على الروابط بين الأكوان المتخيلة وواقعنا. وبناءً على ما يقال حالياً عن يوتوبيا القرن الـ 21، تهدف إلى إثارة النقاش والإلهام وشكل من أشكال الأمل»، وفق البيان التعريفي الخاص به. (جان كريستوف فيرهايغن ـ أ ف ب)

المفكرة

أرتور ساتيان... الجاز بكلّ ألوانه

■ ليس لعازف البيانو والمؤلّف أرتور ساتيان (الصورة) فرقته الثابتة ولا نمط مفضل في الجاز. اهتمامه يطاول هذه الموسيقى بكل أشكالها الكلاسيكية والحديثة، وفرقته يركّبها بما هو متاح في لبنان وبما يناسب ما ينوي تقديمه من برنامج في هذه الأمسية أو تلك. هو ناشط هذه الأيام، وحفلاته دورية وموزّعة في أكثر من فضاء. إطلالته الحيّة المقبلة يستضيفها «صالون بيروت» (الحمرا) في التاسع من تشرين الثاني (نوفمبر). هذه المرّة، تركيبته كلاسيكية ومن الأجمل والأكثر رواجاً ونجاحاً في عالم الجاز، أي التريو الذي يجمعه بالكونترباص والدرامز. على الآلة الأولى، يرافق ساتيان رفيقه في العديد من المشاريع السابقة، العازف المتمكّن خاتشاتور سافزيان وعلى الآلة الثانية الموسيقي اللبناني فرج فاخوري، العازف المحترف الذي يعيش ويعمل في فرنسا، وهو في زيارة للبنان.

أمسية «ثلاثي أرتور ساتيان» تحمل عنوان Waltz Up، حيث تؤدّي الفرقة برنامجاً يطاول الجاز المعاصر واللاتيني، بين كلاسيكيات الريبرتوار التي تحمل توقيع ساتيان إعداداً من جهة، ومؤلفات الأخير الخاصة من جهة ثانية.

أمسية Waltz Up: الأربعاء 9 تشرين الثاني 2022 . الساعة التاسعة والنصف مساءً . «صالون بيروت» (الحمرا ـ شارع محمد عبد الباقي). للاستعلام: 01/739317

السجن بين الجسد والصورة والمقاومة

■ يحتضن «برزخ» (الحمرا) غداً جلسة بعنوان «الجسد والصورة والمقاومة في السجن». يأتي النشاط بالتزامن مع الإضراب الكلي عن الطعام الذي يدخل فيه الناشط السياسي المصري علاء عبد الفتاح، ويضمّ «تأمّلات في فلسفة الجسد والصورة والمقاومة داخل السجن»، وفق ما يرد في النصّ التعريفي الخاص به.

تبدأ الجلسة بقصيدة افتتاحية عن السجن للشاعر والصحافي المصري المهتم بدراسة أنماط الصورة والسميولوجيا داخل السجن محسن محمد، ثم مدخل يناقش الأوضاع السياسية المتعلقة بالسجون في مصر. بعدها يناقش الباحث المصري في الاجتماع السياسي ودراسات الجسد أحمد عبد الحليم علاقة السلطة السياسية بالسلطة السجنية (حول فلسفة حق امتلاك الجسد)، قبل أن يحين موعد مداخلة لمحسن محمد حول «أنماط الصورة داخل السجن؛ كيف ترى العين ويختفي الجسد؟».

ويتولّى الصحافي المصري والمدافع عن حقوق الإنسان مصطفى الأعصر مناقشة «إضراب علاء عبد الفتاح، الجسد كأداة للمقاومة»، ثم يبدأ نقاش مفتوح، ليكون الختام مع قصيدة عن السجن.

جلسة «الجسد والصورة والمقاومة في السجن»: غداً الأحد . الساعة السابعة مساءً . «برزخ» (الحمرا . بيروت). الدعوة عامة ومفتوحة للجميع. للاستعلام: 78/909472

آخر «أوتار الأمل»

■ قدّم مهرجان «موسيقات بعبدات» باقة من الأمسيات ضمن دورته السادسة المسمّاة «أوتار الأمل»، التي انطلقت في 19 تشرين الأول (أكتوبر) الماضي. مساء غدٍ الأحد، لقاء مع موهبتَين يافعتَين في مجال العزف على الكمان، حيث يؤدّي كيفين كنعان (14 سنة) مجموعة من الأعمال للكمان المنفرِد أو مع مرافقة للبيانو (ليانا هاروتيونيان)، بعضها بشكلها الأصلي وبعضها الآخر بإعداد لآلته والبيانو (هاندل، باخ، باغانيني، إلغار،...). الجزء الثاني من الأمسية يأخذ الشكل نفسه، لكن مع آني ملكيان (13 سنة) التي تؤدّي أعمالاً لفينيافسكي وكوميداس وفيراتشيني وميرزويان. بعد يومَين، يصلّ المهرجان إلى محطته ما قبل الختامية، وهي من الأهم لناحية القيمة الفنية، إذ تجمع الثلاثي إيلينا ريندلر (كمان) وأديلي بيتر (تشيلّو) وهولغر غروشوب (الصورة ـ بيانو). الأسماء ليست معروفة بشكل واسع، إنّما، عازف البيانو بالأخص، لديه رصيد في التسجيل عند ناشرين مرموقين، لكنّه يميل إلى الريبيرتوار غير المعروف (أو غير المسجّل حتى) لمؤلفين مغمورين جداً عموماً، باستثناء تسجيلاته الكثيرة للإيطالي فيرّوتشيو بوزوني، بالأخص ما اشتهر به الأخير، أي أعمال المؤلفين الآخرين (باخ بشكل أساسي) التي نقلها إلى البيانو من أشكال مختلفة. على برنامج الموسيقيين الثلاثة أعمال للكمان والبيانو (سوناتة لشوبرت) أو الكمان والتشيلّو (سوناتة لبولنك) أو التشيلّو المنفرِد (عملٌ للبناني الراحل توفيق سكّر)، قبل أن يجتمعوا في الـ «تريو رقم 1» الجميل لمندلسون. وأخيراً، الختام (12/11) محجوز لثمانية طلاب موسيقى لبنانيين في مراحل متقدّمة من دراستهم، سيقدّمون برنامجاً منوّعاً شكلاً ومضموناً بعدما كانوا قد حضروا دروساً خاصة وورش عمل مع موسيقيين محترفين (منهم الثلاثي المذكور أعلاه).

«موسيقات بعبدات»: غداً الأحد والثلاثاء 8 والسبت 12 تشرين الثاني (نوفمبر) الحالي . الساعة الثامنة مساءً . «الكنيسة الجديدة» (بعبدات . قضاء المتن الشمالي). الدعوة عامة. للاستعلام: 03/396271

ساراماغو ضيف الباشورة

■ في الخميس الثالث من كلّ شهر، يلتئم «نادي الكتاب» العربي في «مكتبة بلدية بيروت العامة» (الباشورة) لمناقشة إصدار ما. في 17 تشرين الثاني (نوفمبر) الحالي، تخصّص «جمعية السبيل» الناشط لرواية البرتغالي جوزيه ساراماغو (1922 ـ 2010/ الصورة)، «المنوَر». الكتاب الذي فُقد ثمّ «عُثر عليه في الوقت المناسب»، صادر بالعربية عن «شركة المطبوعات للتوزيع والنشر». كان ساراماغو قد كتب الرواية في شبابه وقدّمها إلى دار نشر أهملتها لمدّة 36 عاماً. وحال فوزه بجائزة «نوبل» للآداب، سارعت الدار إلى استئذانه بنشرها، غير أنّه اشترط أن يكون ذلك بعد رحيله فقط.

رواية شخصيات في الدرجة الأولى. تتجاوز القيم السائدة وترى في الخلية العائلية مرادفاً للجحيم. وهي الكتاب الثاني الذي صدر للمرّة الأولى بعد موته.

مناقشة رواية «المنوَر» لجوزيه ساراماغو: الخميس 17 تشرين الثاني 2022 . الساعة الرابعة بعد الظهر . المكتبة العامة لبلدية بيروت (بناية الدفاع المدني/ الطبقة الثالثة . الباشورة). للاستعلام: 01/664647

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnewspaper

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 666314/ 01 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 5 تشرين الثاني
العدد 4770 السنة السابعة عشرة
Samedi 5 November 2022 nº 4770 17ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

الكاتب في لندن عام 1958 (تصوير لاري بوروز)

تي. سي إليوت
امرأة فوق «الأرض اليباب»

سعيد محمّد

«نيسان أقسى الشهور، يُخرج
الليلك من الأرض الموات، يمزج
الذكرى بالرغبة، يحرك
خامل الجذور بغيث الربيع» (ترجمة عبدالواحد لؤلؤة)
هكذا يبدأ مقطع «دفن الموتى»، مفتتح قصيدة تي. سي إليوت «الأرض اليباب»، التي يعدّها النقّاد الأنغلوساكسون بداية الحداثة الشعريّة، والنصّ الأكثر ثورية وتأثيراً في كل شعر السنوات المئة الماضية، وشهادة روح حساسة على الانهيار الوشيك للحضارة الغربيّة لحظة انطفاء الحرب العالميّة الأولى.

إليوت (1888 – 1965) المصرفي الأميركي، لم يكن أديباً مشهوراً عندما انتقل إلى لندن عام 1914، ودفع في عام 1922 بقصيدته ذات الأجزاء الخمسة للنشر من دون أن تسمع الدوائر الأدبيّة باسمه. عمل معقّد، مُتخم بالمحاكاة الساخرة، وخارج كل نسق مألوف في حينه، ما لبث أن ذاع صيته، وقاد لاحقاً بصاحبه إلى جائزة «نوبل» (1948).

يحتفل ماثيو هوليس، الأديب والشاعر البريطانيّ، بمئوية القصيدة في كتابه «الأرض اليباب: سيرة قصيدة» (2022 . فايبر)، مقدّماً لجمهور القرّاء في القرن الحادي والعشرين بعض أسرار الألق الدائم لتحفة إليوت، واضعاً إياهم في المناخات العامّة والشخصيّة التي أنتجها، والحياة المستقلّة التي اكتسبتها بعيداً عن صاحبها، متوّجة كدرّة لشعر الحداثة، لا الأنغلوساكسونيّ وحده، بل العالميّ كذلك، إذ تستند في بنيتها إلى مصادر فلسفية وثقافية وشعرية وأنثروبولوجية عابرة للتراث الإنساني كله، وتتضمن مقابلات نصيّة بأساطير قديمة، يونانية ورومانية وشرقية، وتحفل بمفردات من لغات مهجورة كالإغريقية واللاتينية وأخرى حيّة كالإيطالية والألمانية والفرنسية. وقد كان لها سطوة على شعراء الحداثة العرب، حتى إنّ هنالك ثماني ترجمات عربيّة لها على الأقل بأقلام أسماء لامعة في عالم الشعر والنقد.

ينطلق هوليس من لحظة هدنة عام 1918 على الجبهة الغربية في أوروبا. القارة حينها كانت مسكونة بأشباح ملايين الجنود والمدنيين الذين قضوا عبثاً، وحطام النفوس والعقول والأجساد عند من نجا، والمناظر الطبيعية الكئيبة والمدن الشاحبة من شدّة الخراب والفوضى. لم تكد المدافع تصمت في أرجائها حتى اجتاحتها الإنفلونزا الإسبانيّة التي أبادت الملايين، وزادت بؤس حياة الناجين. «دفن الموتى»، الجزء الافتتاحي من القصيدة، كان التقاطاً جدّ مرهف لمزاج تلك المأساة الهائلة.

لم يكن إليوت في قلب الحرب أو خارجها بالكامل. عاش في لندن طوال فترة الحرب، وحاول الانضمام إلى الجيش الأميركي قبل انتهاء الأعمال القتاليّة على البرّ الأوروبي، لكنه انتهى بدلاً من ذلك إلى إهدار وقته وموهبته في وظيفة مرهقة لدى «بنك لويدز» الشهير، مثله في ذلك مثل آلاف الشبان الذين عادوا من الجبهات بصدمتهم لينخرطوا في خدمة الرأسماليّة ذاتها التي أرسلتهم إلى الحرب. ولذلك، قرأ معاصرو إليوت «الأرض اليباب» بوصفها رثاءً حزيناً للحضارة الغربيّة، وسقوطاً مدويّاً لأوهام جيل غربي كامل عاش تلك المرحلة المعجونة بالموت والخوف والألم وحدّق طويلاً في مرآة العبث والعجز واللاجدوى.

إليوت نفسه رفض إضفاء تلك المعاني على أرضه اليباب. أصرّ دوماً على أنّها لم تكن سوى «بوح شخصيّ وجأر بالشكوى لا قيمة له في مواجهة عبث الحياة». يعلمنا هوليس بأن شهادات متقاطعة ووثائق ـ بما فيها رسائل كشف عنها فقط عام 2020 كتبها إليوت إلى إميلي هيل التي أحبّها بعد انفصاله عن زوجته ـ تجعلنا نجزم الآن بأن موهبته الشعريّة وإن ولدت على خلفية الكارثة الكونيّة، إلا أنّها تفجّرت بسبب علاقاته المضطربة بالنساء، وأنّ القصيدة الخالدة تحديداً كانت هبة كابوس معتم لزواج فاشل جمع بين رجل مهزوز متردد بامرأة لعوب خانته حتى مع أقرب أصدقائه (عزرا باوند). كتب إليوت قصيدته في أوج انهيار علاقته مع فيفيان هايغ-وود الصبيّة البريطانيّة الأنيقة والمفعمة بالحيوية التي أحبها وتزوّجها سريعاً رغم معارضة أهله. هم اعتبروا قراره بترك مهنة أكاديمية واعدة في «جامعة هارفارد» للعيش في لندن مع فيفيان تهوّراً محضاً. وهو العاشق المخدوع أحسّ بأنهم تخلّوا عنه من دون ذنب سوى الحبّ. يسجّل هوليس أنّ ثمّة «شعوراً حاداً بالتخلي والمرارة» يخفق بقوة وراء أبيات القصيدة، حيث العزلة والوحدة والخيانة ثيمات متكررة. لكن الجليّ أن إليوت عديم الخبرة بالنساء والشخصيّة المرهفة القلقة، عجز عن إرضاء الحاجات العاطفيّة لفيفيان، ولم يحسن قراءة مشكلاتها النفسيّة، فتكررت سبحة مغامراتها لتصل علاقتهما إلى مأزق تام. كان الشعر المنسوج من هذا التشابك المستعصي هو الرابط الوحيد الذي بقي يجمعهما، ولذلك كانت فيفيان أول من اطّلع على مسوّدات «الأرض اليباب».

بعد انفصاله عن فيفيان، شفي إليوت تدريجاً من مزاج اليأس والكآبة سواء في حياته الاجتماعية، أو في كتاباته، لكنّه وفق هوليس لم ينجز بعد «الأرض اليباب» شيئاً مهماً. لقد دمّرت تلك العلاقة نفسيّته، وتحدت إحساسه بالوجود، لكنها، للمفارقة، منحته ومنحت العالم إحدى أعظم القصائد في التاريخ.

ثقافة العالم

جزوالدو بوفالينو... الشجرة الروائيّة التي أثمرت في الستين

رشيد وحتي

ثمّة كُتّاب ومفكّرون يستطيعون مقاربة الظواهر الإنسانيّة وسبرَ أغوار النّفس البشريّة في كونيّتهما من دون أن يغادروا بَلدتهم الصغيرة، من دون أن يتنقّلوا في الزّمان والمكان. فإذا كان الأسم الأشهر فلسفيّاً في هذا الصدد، هو إيمانويل كانط، الذي لم يغادر قطّ بلدته كونيغسبُرغ، واستطاع – رغم ذلك – صوغ نظريّات فكريّة حول كونيّة العقل والتّاريخ والنّواميس؛ فيكاد جزوالدو بوفالينو (1921-1996) يكونُ المعادل الموضوعي له، على المستوى الإبداعي، وبالأخصّ المستوى الرّوائيّ، إذ لم يغادر بلدته

> رُبّما كان الألم والذّاكرة هما ما جذبَ الراحل بسام حجار، في أواخر حياته، إلى ترجمة رائعة «أكاذيب اللّيل»

كُوميسُّو، جنوب صقليّة ـ حيثُ عمل مدرّساً إلى أن وافته المنيّة ـ إلّا في ما ندر، ولضرورات قصوى.

بقي جزوالدو بوفالينو مغموراً، في السّاحة الأدبيّة الإيطاليّة والعالميّة، إلى أن نشر، في السّتّين من عمره، روايته الأولى «ناشِر الطّاعون» (1981)، التي أنهى تحريرها في عام 1950، لتلقى مطمورةً في الأدراج، إلى أن تُوّجت بجائزة Campiello، التي فتحت له آفاق الانتشار عالمياً، كاسم بارز ضمن ثلّة من أهمّ روّاد التراث السّردي والروائي الصّقليّ (الروائي والمسرحي لويجي بُيراندييللو، جوزيبّه تومازي دي لامبيدوزا صاحب تحفة «الفهد»، إليو فيتوريني وليوناردو شاشا). صار بوسع مؤرّخي الأدب الحديث عن مدرسة صقليّة تمتدّ من الفولكلور الحِكائيّ الشفوي والمكتوب باللغة العامية للجزيرة في القرن السادس عشر النّهضويّ إلى آخر العنقود مع الرواية الحديثة والمعاصرة، الذي يمثله بوفالينو عن جدارة، ولو متأخّرةً، ما أتاح له أن يكون الوريثَ الأهمّ لكل التراث والفولكلور السّردي للجزيرة الإيطاليّة الرّابضة على هامش وقدم الامتداد القارّيّ لبلد الدولتشي فيتّا.

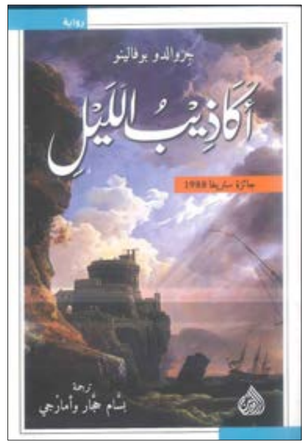

لم يكن هذا التأخّر في الذّيوع السريع وتكريس اسم بوفالينو في المشهد الأدبي الإيطالي والعالمي منذ عمله الأوّل، إلا لنضجه الّذي تبلور بهدوء وصمت في العقود السّابقة لخروجه إلى ساحة النشر، من خلال مواكبته النّقديّة والتّرجمية، من الفرنسيّة واللّاتينيّة إلى الإيطاليّة، للمسرحي الرّوماني القديم Térence، وفيكتور أوغو، ومدام دو ستائيل، وجيرودو، وبالخصوص بودلير، الذي يعتبره بوفالينو إحدى أهمّ مرجعيّاته الأدبيّة. سيتّضحُ، في ما بعد، تجميع مقالاته ودراساته هذه، التّي تتشكل غالباً من مقدّمات لترجماته، في كتابه النقدي وغير السّردي الأوحد: «أصابعُ شمعٍ منسابة» (1985).

يمكننا أن نستنتج من لائحة اهتمامات وقراءات بوفالينو هذه أنّها، في جُلّها، تنتمي إلى الحقبتين القديمة والكلاسيكيّة من الآداب الأوروبية. فرغم تشبّع بوفالينو، أسلوبيّاً، بمعالم الحداثة في كتابته الروائيّة، إلا أنه يبقى مضموناً ابناً للتقاليد الأدبية الأوروبيّة العريقة التي تبلورت بين عصر النّهضة ومعالم الحداثة الأولى في فرنسا القرن التاسع عشر، من دون إغفال التراث المحلي الصقلي المراوح بين فولكلور موسيقي وشعري متشبّع بلهجات والسن الجزيرة، في تجاوز مع أشكال سردية قديمة وحديثة تراوح بين الحكايات الشفوية القديمة ورياح التجريب الروائي لدى جيمس جويس الّتي هبّت على صقلية خلال فترات استجمام الروائي الإيرلندي في المدن الإيطاليّة في الثلث الأول من القرن العشرين.

عن تأثير بودلير عليه، يحكي بوفالينو طُرفةً عن القوة المؤثرة لشعره في ميدان الكتابة: إذ غامر في بدايات شبابه بإعادة نقله إلى الفرنسية من خلال قراءاته لمقتطفات من ترجمات «أزهار الشر» الإيطاليّة في الكتب المدرسيّة التي كانت مقرّرة في المدارس الصقليّة، حيث درّس صغيراً ودرّسها في ما بعدُ أستاذاً.

يُضاف إلى كلّ هذا المخزون الأدبي الفاعل في كامل نتاج بوفالينو السردي والنقدي، مؤثرات من الثقافة البصرية والسمعية يتمثّل في السينما الفرنسية لما بين الحربين العالميّتين الأولى والثانيّة، من خلال أفلام فيليب كلير، وجوليان دوفيفييه، وجان رونوار.

لن يغرف بوفالينو من مخزون مطالعاته ومن التّاريخ الإيطالي فحسب، إنّما سيستلهم أيضاً تجربته في الحياة من خلال حدثين تركا أثراً كبيراً في مجرى مساره: تجنيده الإجباري في عام 1942 وأسْرُه من قبل الألمان في عام 1943، ليتوفّق بعد فترة وجيزة من الاعتقال في الهروب والفكاك منهم، لكنّ هاتين السّنتين كانتا أكثر سلبيّة بأن أوقفتا مرحليّاً مساره الدّراسيّ الجامعيّ، ليزداد وضعه تأزماً بحلول سنة 1944، إذ شهدت إصابته بالسُّل الرئوي، ما استوجبَ إدخاله مستشفى مدينة سُكانْدْيانُو، حيثُ رُبّ ضارّة نافعة: كان الطبيب الرئيس للمستشفى يتوفر في مكتبه على مكتبة كبيرة وغنيّة، وضعها رهنَ إشارة مريضه، وأسهمت بشكل كبير في تكوينه الذّاتي وتمتين وتوسيع اطّلاعه على الأدبين الإيطاليّ والعالمي. لكنّ استكمال تشافيه النّهائي تطلّب منه أيضاً ولوج مستشفى بالبرمو، ليتعافى نهائيّاً في عام 1946. بعد أن تحسّن وضعه الصّحّيّ، عاد لاستكمال دراسته الجامعيّة، لكي لا يغادرَ أبداً بلدته كوسيمو، حيثُ اشتغل معلّم مدرسة، فأستاذاً جامعيّاً إلى أن توفي عام 1996.

ربما كانت سنوات أربعينيات القرن العشرين هذه، بأحداثها الأليمة وساعات العُزلة للمطالعة، ما يمكن اعتباره وتسميته في حياة أي كاتب: سنوات التعلّم، رواية التعلّم في الحياة الواقعيّة.

لحظاتُ العزلة هذه، والغوص في الذّات والاشتغال عليها، مع تسويد الصفحاتِ لليالٍ طوال، هي ما أسهم في تفجير وبلورة ما أسماه النقد والصحافة الثقافية الإيطالية El caso Bufalino: حالةُ بوفالينو، أو حالُ بوفالينو (بالمعنى الصوفي للكلمة)، الذي بقي يَنْصهرُ ويَنْصَقل منذ عام 1950، سنة الفراغ من تحرير الرواية الأولى، إلى أن انبثق دفعةً واحدة، مع نشرها في عام 1981، كفاتحة لنتاج أدبيّ سيضعه اسماً أساسياً في خريطة النتاج السردي الأدبي الإيطالي للنصف الثاني من القرن العشرين. للإشارة هنا، فإنّ «ناشِر الطّاعون» (1981) سبقَ وتشبّث بارع لأحداث الأسر والمرض والحوم بين المشافي، تضاف إليها تأثيرات كبيرة وتناصّات مع تحفة توماس مان «الجبل السّحريّ» (1924) ومجموع حكايات «الديكاميرون» لجيوفاني بوكاشيو، في مدّة طويلة امتدّت على عقد من الزّمن، تطلّبه الفراغ نهائياً من كتابتها، لتُرْمى في ظلمات الأدراج لمدة 31 سنة، قبل أن ترى نور الشّهرة الوهّاج.

ستتوالى الإصدارات السردية لبوفالينو، بين رواية ومجموعة قصصيّة، مع وبعد عمله الروائيّ البكر هذا: «سارق الذّكريات» (1984)، «جمال الكون» (1986)، «الرّجُل الهاربُ ومُقْتَرَبَاتٌ أُخرى» (1986)، «أرجوسُ الأعمى أو أحلام الذّاكرة» (1988)، «أكاذيب اللّيل» (1988) التي انتقلت أخيراً إلى لغة الضاد (راجع الكادر أدناه)، «تقاويم إغريقيّة» (1990)، «التباسُ» (1991)، «توماسُّو والمصوّر الأعمى» (1996)، إضافة إلى ثلاث مجموعات شعريّة لم تضف إلى مجده السّرديّ شيئاً، وإن كانت تعبيراً أسلوبياً على شعريّته الحكائيّة.

إن قُبِّضَ لنا البحث عن خيط ناظم لكلّ مؤلّفات بوفالينو، سيكون بكل تأكيد الاستناد إلى الذّاكرتين الفرديّة والجماعيّة والاغتراف من المادّة السردية التي توفرانها. فهو يعتبر الذّاكرة، واقعياً وفنّياً، الأداة الوحيدة والكفيلة بصمود المهزومين ومقاومة الآلة الجهنمية لتاريخ وزمن المنتصرين، بل هي الزّمن الحقيقي الوحيد، المنفلت من أحابيل النّزعة الفولكلوريّة المجّسدة لتراث الشعوب ومنجزات الأفراد، هي السّلاح الوحيد في وجه العدميّتَيْن الفكريّة والسيّاسيّة.

هذا ما يلخّصه بوفالينو، جامعاً بين قصته الشخصيّة وقصة الآخرين، كلّ الآخرين المقصين والموضوعين على هامش التاريخ، قائلاً: «حياةُ كباقي الآخريات، مَرَضان أو ثلاثة في كامل جبروتهما وإذهامها، ثلاثة أنصاف أصدقاء، مزاج سوداوي مع موجات من المرح الصّاخب؛ نزعة مسيحيّة إلحاديّة ومرتعشة، غير قادرة على تمييز إن كان الكونُ خلاصاً أم مرحلة نهائيّة من السّرطان، نعمة أم نقمة؛ بُغْضاً مِنَ التاريخ: أرضيّة من الحفريّات الإيديولوجيّة، تجميعٌ جامدٌ للأخطاء، غرامٌ بما يدومُ ويقاوم – الأماكن، اللّهجاتُ المتضامنة، العادات النّبيلة، قبضاتُ أيادٍ – في عمق منطقتي بلدتي ومنطقتي النائيتَيْن المنسيّة. في الآداب، هو حُبٌّ للأكاذيب والموسيقى، شرطَ أن يتجذّرا في النّقطة الخرافيّة والهندسيّة للألم والذّاكرة».

ولربّما كان الألم والذّاكرة هما ما جذبَ بسام حجار (1955 ـ 2009)، في أواخر حياته، إلى ترجمة رائعةِ «أكاذيب اللّيل» (لا نستطيع الجزمَ إن كان العمل الوحيد المترجم لبوفالينو إلى العربيّة، ولكنه حسب علمنا كذلك)، التي شرع في نقْلها إلى العربيّة عن الفرنسيّة، ربّما كآخر ما كان يصنع؛ وكُلّما كان المخطوط الذي عُثِر عليه بين أوراقه غير مكتمل، زُهاءَ ربع الكتاب فحسب، فقد تولّى الشّاعر السّوريّ أمارجي إكمال ترجمة الرّواية عن لغتها الأصليّة، الإيطاليّة، متحرّيا ما أمكن التّوفيق بين الدّفق الشّعري للرّاحل ودفقه الشّعريّ وبين المعجم اللّغويّ للرّاحل ومعجمه اللّغويّ، حتى أصبح هذا الكتاب ثمرةَ تضافر حساسيّتين شعريّتين مرهفتَين استطاعتا بحُسن إصغائهما إلى نبض النّصّ وإيقاعاته أن تصنعا تحفةً عربيّةً تضاهي التّحفة بلغتها الأمّ.

تعتبر جزوالدو بوفالينو الوريث الأهمّ لكلّ التراث والفولكلور السّردي الخاص بصقلية

بسام حجّار وأمارجي يقعان في غواية «أكاذيب الليل»

تغريد عبد العال

«أكاذيب الليل» هي رواية جزوالدو بوفالينو التي عُثر عليها كمخطوطة غير مكتملة ترجمها الشاعر الراحل بسام حجار عن الفرنسية، والشاعر السوري أمارجي الذي ترجمها عن الإيطالية مراعياً ذلك التناغم بين معجم بسام حجار ومعجمه، وقد صدرت ترجمتها حديثاً عن «دار الرافدين».

في الرواية مقاربة لفكرة السرد والموت، كأنّ بوفالينو يطرح هذا السؤال الذي لا يزال يشغلنا: لماذا نروي القصص؟ كأنه يقترب من عوالم «ألف ليلة وليلة». لا كي يقنعنا أنها كانت قصصاً للنجاة من الموت، بل مجرد تجزية للوقت الضائع. فهنا قصة أربعة سجناء، حُكم عليهم بالإعدام، في زنزانة على جزيرة منسية، والوقت المتبقي هو ثماني ساعات تفصلهم عن الإعدام المقرر بعيد الفجر. وفي هذه الليلة الأخيرة، يبدأ كل واحد منهم بسرد قصته لتكتشف في ما بعد أنّ القصص كانت مجرد أكاذيب، وحتى وجود الأب السرمدي الذي يسمعهم، ويعلن في النهاية أنه الحاكم بنفسه، ويعلق على رواياتهم بأنها مجرد أكاذيب.

تعيدنا هذه الرواية إلى أسئلة أخرى في عمق الحياة: هل كل ما نرويه أكذوبة، كما فعلت شهرزاد لتنقذ نفسها، أم أن الحياة العميقة هي في ملاحقة ذلك المعنى الخفي لوجودنا؟ ما علاقة الفن بالحياة أو بالموت؟ ربما تنحاز الرواية إلى السؤال الأخير، وخصوصاً حين يذهب بوفالينو إلى تصوير هذه الشخصيات كأنها تروي قصصها لا للنجاة بل لمجرد الحكاية، فلم يُنجها ذلك من الموت بعكس شهرزاد، بل أخذها ذلك للقاء مجازي بالأب السرمدي الذي هو كذبة أيضاً.

تأخذنا تلك الرواية نحو معنى الصدق في الأدب، ربما هو ليس قول ما حدث، بل ربما ملاحقة معنى ما حدث، وإيجاد ذلك المعنى الصادق في حكاية كل واحد منا. يقول بوفالينو في الرواية على لسان بطله أجيسيلاو: «بدأنا من افتراض أن يحكي بعضنا لبعض أشياء مبهمة لكي نحضنها في أعيننا حتى النهاية أو لكي نسافر للمرة الأخيرة، بالكلمات، خارج هذه الجدران، أو بالأحرى لتجزية الوقت والاعتراف وسبر أغوار أنفسنا. ولكن بدلاً من ذلك، يبدو لي أنّ كلّ واحد منا يطلع علينا بذكرى فاحشة خارجة عن الموضوع».

ربما هنا يسأل بوفالينو عن الحقيقة، عن معنى أن تعرف شخصاً من خلال قصصه عن نفسه، وهكذا يسأل أيضاً على لسان إحدى شخصياته: كيف يمكن للمرء معرفة الحقيقة؟

هنا أيضاً يمكننا تأمل ما يطرحه بوفالينو في هذه الرواية من خلال تلك العلاقة بين الموت والقصص أو الأدب، فالسجناء الأربعة ينتظرون موتهم، لكنّ القصة هي الجسر الى هذا المصير. أليست تلك هي حكاية وجودنا؟ يأخذنا ذلك الى ما ذكره البيرتو مانغويل عن أسطورة كساندرا في كتابه «مدينة الكلمات». كساندرا ابنة بريام التي لم يصدقها أحد رغم أنها كانت تسرد رؤيتها عن العالم، فتحل عليها اللعنة فتقول: «تلك هي الحياة/ الساعات الأكثر حظاً/ كخريشات طبشور/ على لوح في صف/ نحدق/ ونحاول فهمها/ ثم يدير الحظ ظهره/ ويُمحى كل شيء».

وتأخذنا أيضاً هذه الرواية إلى «الديكاميرون» للكاتب جيوفاني بوكاشيو الذي قام بترجمتها صالح علماني، وهي قصص حدثت في عشرة أيام أثناء الفترة الرهيبة التي حصد الطاعون فيها أرواح خمسة وعشرين مليوناً من الأوروبيين، وتُحكى على لسان سبع نساء، وثلاثة رجال هربوا إلى فلورنسا من الطاعون، فيعيشون في قصر في إحدى القرى. ربما تكون تلك القصص أيضاً كما في «ألف ليلة وليلة» مكاناً ما للهرب من الوباء، فهي أيضاً تشبه «ألف ليلة وليلة» في غرابتها وسُمّيت أيضاً «ألف ليلة وليلة الإيطالية».

لكن رغم تشابه الفكرة بين هذه الأعمال، الا أن سؤال بوفالينو عن الحقيقة والصدق في القصص يأخذنا الى مكان بعيد، لنعلم أنها لم تكن مجرد أكاذيب، لقد كانت تجربة للاقتراب الحميم من الموت. تجربة أن يقول كل واحد منّا ما يريد قوله قبل أن يغادر حياته ومهما كان ذلك خيالاً أو أكذوبة، مع أننا ننحاز بقوة الى الصدق الذي يرافقنا دائماً الى أمكنة حقيقية وجديدة.

وعن الترجمة وجهد هذا العمل الذي ترجمه بسام حجار وأمارجي، كانت لنا أسئلة حول هذه العملية الإبداعية للشاعر السوري أمارجي، فسألناه عن كيفية توأمة هذه الترجمة بترجمة بسام حجار وعن أهمية ترجمة هذا العمل، فأجابنا: «لا أسمّي الأمر توأمة بقدر ما أفضّل أن أسمّيه التقاءً وتذاوباً. فالتّوأمة تقتضي المحاكاة، وهذه تقتضي النّزول عن خصائص الذّات على خصائص الغير. أمّا الالتقاء والتّذاوب فيكونان نتيجة استجابةٍ عفويّةٍ مباشرةٍ من دون إلزام أو إكراه. التقاء وتذاوب يمكنني عزوهما إلى خصائص النّصّ الأصليّ اللّغويّة والأسلوبيّة من جهةٍ وإلى تشابه نهجي ونهج الرّاحل بسّام حجّار في التّرجمة من جهةٍ أخرى. فالنّصّ في الأصل عملٌ أدبيٌّ رفيع المستوى، جزلُ الألفاظ باروكيُّها، غنيٌّ بالاستعارات، فيّاضٌ بالألوان والوصف والمشاعر القويّة. وهو يعكس لغةَ بوفالينو الشّاعر الذي لا يُبْرَحه الشّعرُ حتّى سارداً، ومن هنا ربّما وقع حجّار، مثلما وقعتُ أنا، في أغويّةِ نصٍّ لا منجاة لأيّ شاعرٍ مترجمٍ من حبائلها. ثمّ كان التّلاقي بين نهجينا في صياغة نصٍّ عربيٍّ مكافئٍ لغوياً وشعرياً للنّصّ الأصليّ، يحافظ على روحه وفي الوقت نفسه يوحي للقارئ العربيّ بأنّه مكتوبٌ في الأصل بالعربيّة.

مجرّد سؤالك عن الموضع الذي تقف عنده ترجمة حجّار وتبدأ ترجمتي، وهو بالمناسبة سؤالٌ طرحه عليَّ كثيرون، دليلٌ على التّذاوب الذي ذكرتُه وعلى امّحاء الحدود بين صنعتَيْ تذوابنا شعرياً في صنعةٍ شعريّةٍ ثالثةٍ من دون أن تتنازل إحداهما عن دفقها ومعجمها أمام دفق ومعجم الأخرى. وأعتقد أنّ المطّلع على ترجماتي الأخرى وعلى ترجمات حجّار، يمكنه القول إنّ العمل بالكامل صنعة أمارجي مثلما يمكنه القول إنّه بالكامل صنعة حجّار. طبعاً قيمة أيّ صنعةٍ أدبيّةٍ ليست في الكمّ وعدد الصّفحات، فصفحةٌ واحدةٌ يمكن أن تفوق بجمال صنعتها مجلّداتٍ ومكتبات، ولكن من باب الضّرورة التّاريخيّة فحسب، سأكتفي بالإشارة إلى أنّ ما أنجزه حجّار كان أقلّ من ثلث الكتاب. هذه الأهمّيّة يحدّدها القارئ وليس أنا، ففي النّهاية قيمة أيّ عملٍ فنّيٍّ أو أدبيٍّ هي قيمةٌ جماليّةٌ، والجمال مسألةٌ فرديّةٌ خاصّة. غاية ما أرجوه هو أن يكون هذا الكتاب قد أضاف بعض الجمال إلى المكتبة العربيّة».

فصل من رواية

عباس بيضون: الشيخ عبد الرحمن (*)

لا أعرف إذا كان قدري أن أولد في عشائر الغربانة، أو كان هذا قدر أبي، وجدّي من قبله. كان جدّي أوّل غربانيّ يطلب العلم الدينيّ في النجف، ويعود من هناك مع زوجته العراقيّة. لكنّ العلم الدينيّ لم يرق لأبي فعمل مدرّساً في مدرسة حكوميّة وتزوّج أيضاً من خارج العشيرة. لم تكن أمّي غربانيّة، لكنّها ليست أقلّ افتخاراً بعائلتها من الغربانيّات، أمّا أنا، الذي كان دمي مختلفاً إلى هذا الحدّ، والذي لم يبقَ فيه من الغرابنة إلّا القليل، فقد تربّيت في قرية من الجنوب، حيث درّس أبي واستقرّت أسرتي، منقطعاً هكذا عنّ الغرابنة، رغم أنّه كان لي بينهم أبناء خال من زواج سابق لأبي وأبناء عمّ اتّصلت بهم في شبابي.

أردت أن أتعرّف إليهم، فقد كان أباؤهم يتردّدون علينا من عام إلى عام، وأبي وأمّي يحتفيان بهم، من دون أن يبادلانهم الزيارة. لم أتكلّم مع أبي على ذلك إذ لم أنتبه له إلّا متأخّراً، فلم تكن العائلة قضيّة أيّ منّا، لكن عندما اقترحتُ أن نصعد إلى الغربانيّة، صعدنا جميعاً أمّي وأبي وأختي وأنا، واستقبلت العشيرة، ابن الشيخ واحتفاده بحفاوة، فهم من عرق الشيخ الذي كان في وقته فخر العشيرة التي ليس في تاريخها أهل علم قبله. لم يعلّق والدي الذي لم يكن ثرثاراً ولا علنياً، والأرجح أنّ أمور السيرة المتبسة لم يكن لها كلام عنده، فالكلام عنده جامعٌ وعام. لذا لا أدري إلى الآن إذا كان يجافي عشيرته ويتجنّبها، فهو لم يعقّ في الغربانيّة، ولم يصعد إليها إلّا عند رغبتي، مفضّلاً أن يقضي عطلاته في قرية أمّي. لم أسمعه يتكلّم على عشيرته، إلّا أنّه ذكر مراراً آباه ولم يذكر غيره، ووصل إليّ أنّ جفاءً كان بين أبيه وأعمامه الذين جاؤوا من عدّة أمّهات. لم أعرف هذا من والدي، الذي كان بالتأكيد يخجل من أن يحمل مشاعر في غير وقتها ومناسبتها، ويخجل بضغينته، وبخاصة إذا كانت تحزّ فيه بدون سبب كافٍ، إذا كانت بنت ثأر عائليّ أو نعرة ما، أيّ نعرة. لم يكن يفهم ضغينته ولا طاقة له على إبرازها. قلت له إنّنا سنذهب هذا الصيف إلى الغربانيّة فلم يقل شيئاً. سار هادئاً إلى السيّارة، وفي الغربانيّة بادر إلى الاتصال بالأقرب إليه من أبناء الفخذ الذي يحويه، سعيد الرباوي. وهكذا فهمت أنّ العشيرة تضمّ أفخاذاً وبطوناً متنافسة، فقد سمعت من الحاج محمد علي عندما زرناه في دكّانه، وكان الرجل الذي يرتدي طاقيّة بنّية صوفية لا تناسب الطقس الصيفي، عاكفاً على دقّ المسامير التي يتناولها من فمه، في النعل المثبت على سندان، أنّ «جبّ مرعي مش من العشيرة، هولي برارنة»، أي أنّهم من خارج العشيرة. قال ذلك بعينين زرقاوين باسمتين، وفم منبسط، ووجه جعلته الذقن، غيرُ المحلوقة من أيّام، أكثر أبويّة. لم يكن صوته، الذي يرخي أواخر الكلمات، أقلّ ألفة. سمعت الكلام نفسه من الأستاذ ناجي، الذي استقبلنا بعباءةٍ سوداء خفيفة. أشار إلى صورة له في شبابه، على رأسه فيها عقال، وقال «إنّها من حرب فلسطين». كانت عباءته الزرقاوان تشعّان في محجريهما كحجرين كريمين، وكان صوته مرؤساً كإصبعه التي يطعن بها الفضاء أثناء الكلام. لقب الأستاذ جاءه من رفقة الإنكليز، حين كان يعمل في فلسطين في بناء خط السكّة، ومن هناك تعلّم كلمات إنكليزية راح يرطن بها بين أهله. لم يكن أستاذاً، كما أنّ الدكتور راشد لم يكن طبيباً، فقد اشتغل في عيادة طبيب أسنان خرج منها وقد تعلّم كيفيّة قلع الأسنان، لكنّه قلع سنّ أبي غير المعطوبة، ليعود فيقلع له السنّ المجاورة. الدكتور كان ظاهر القوّة في جسده المشدود وذراعيه الملفوفتين، تحت نصف الكمّ الذي كان لقميصه، وكان وجهه، وحنكه بخاصة، يتحرّكان باستمرار مع كلامه. الاثنان قالا إنّ «جبّ مرعي» كان حليفاً للعشيرة قبل أن يندمج فيها، لكنّ الشبهة حول أصل جبّ مرعي لم تكن وحدها، فالأرجح أنّ شبهة مثلها تلحق كلّ الأصول، عدا جبّ محمود الفقير، فالكلّ يجمعون على أنّه الأصل. كان جبّ محمود الأكثر عدداً لكنّ أفراده في جملتهم إسكافيّون، وبينهم كثرة من القبضايات الذين يؤجّرون نفوسهم لبكوات المنطقة، فضلاً عن توزيع المخدّرات، ونقلها عبر الحدود والعمل في الاستخبارات، سواء تلك التي للبلد أو لدول في الجوار. صحيح أنّ أحدهم، سليمان، تطلّع إلى أكثر من ذلك، فترشّح لرئاسة البلدية، وربّما كانت عينه على النيابة، لكنّ الزعماء الذين دعموه في معركة الرئاسة وضعوا لطموحه حدّاً، بل جعلوا المنصب نفسه تحت أيديهم. هكذا اكتفى سليمان وصرف نظره عن النيابة، وحين انفلج ولزم فراشه، صار المنصب صغراً، وإن تنازع عليه ابن سليمان راشد، الذي جعل من دكّان أبيه المهجور محلاً لبيع الأحذية، ورائد الذي عاد إلى البلدة طبيباً. هذه المرّة وضعه أحد الزعيمين على لائحة من لوائحه فصار نائباً، فيما حلّ أحمد محلّ أبيه. ليس للنائب إلّا الاسم، مع ذلك غضب وجهاء العشيرة لأنّ شخصاً، أبوه كان يعمل ساعياً لديهم، يحمل هذا الاسم. إذا كانت النيابة قد هزلت، فإنّ حال الوجاهة ليس أفضل، فالجميع تحت الزعيم وتحت الحزب، والعشيرة نفسها مقسومة بالتراضي بينهما.

لم يكن مضى علي وجودنا في القرية سوى يومين، حتّى كان الخبر شاع، وأخذنا نستقبل كلّ عصر عدداً ممّن يأتون للسلام علينا. كان أبي هو المقصود، والزوّار عادةً هم أصحاب البيوت الذين يوازونه عمراً أو يزيدونه. لقد حضر آباء العشيرة للترحيب بالابن الضال العائد. أوّل الوافدين كان الحاج صائب، الذي دُعي هكذا على اسم البيك البيروتي، إذ كان الأخير يوم مولده في زيارة للبلدة. الحاج صائب هو ابن خال أبي، أي أنّ قرابته له تعود إلى الأمّ، فالأخوال أشقّاء الأمهات. كان مع الحاج صائب ولداه، واحدهما في سنّي تقريباً والثاني يزيدني بسنوات. حينما رنّ الجرس وفتحنا الباب وجدناهم، ومعهم امرأة مبرقعة وصبيّة بالحجاب. عجّلت بإدخال السيّدتين اللتين دلفتا فوراً إلى الغرفة الخلفيّة وتواريتا فيها. دخل الحاج وابناه، وجلس معهما على الكراسي المصفوفة في الحجرة الأولى. عجّل أبي إلى المجيء بعد أن ارتدى طقمه الكحلي وعلى باقته قشرة الرأس البرشاء. لم يتعانق الحاج ووالدي ولم يطيلا المصافحة، تمتم أبي «أهلاً بالحاج». كان الحاج معقود الحاجبين مقطّب الوجه، لكنّ البارز فيه عيناه الزرقاوان، اللتان تضيفان إلى صرامته ملمحاً من الدهاء. كانت عباءته السوداء الخفيفة تغطي طقماً رمادياً وربطة عنق مقلّمة. لقد جاء بكل قيافته، وحين رفع صوته مرحّباً بالأستاذ، لمعت عيناه وزاد انزواؤهما. «نوّرت»، قال، فردّ عليه أبي: «أضوت المطارح يا ابن الخال شرّفت». لم تكن هذه لغة أبي...

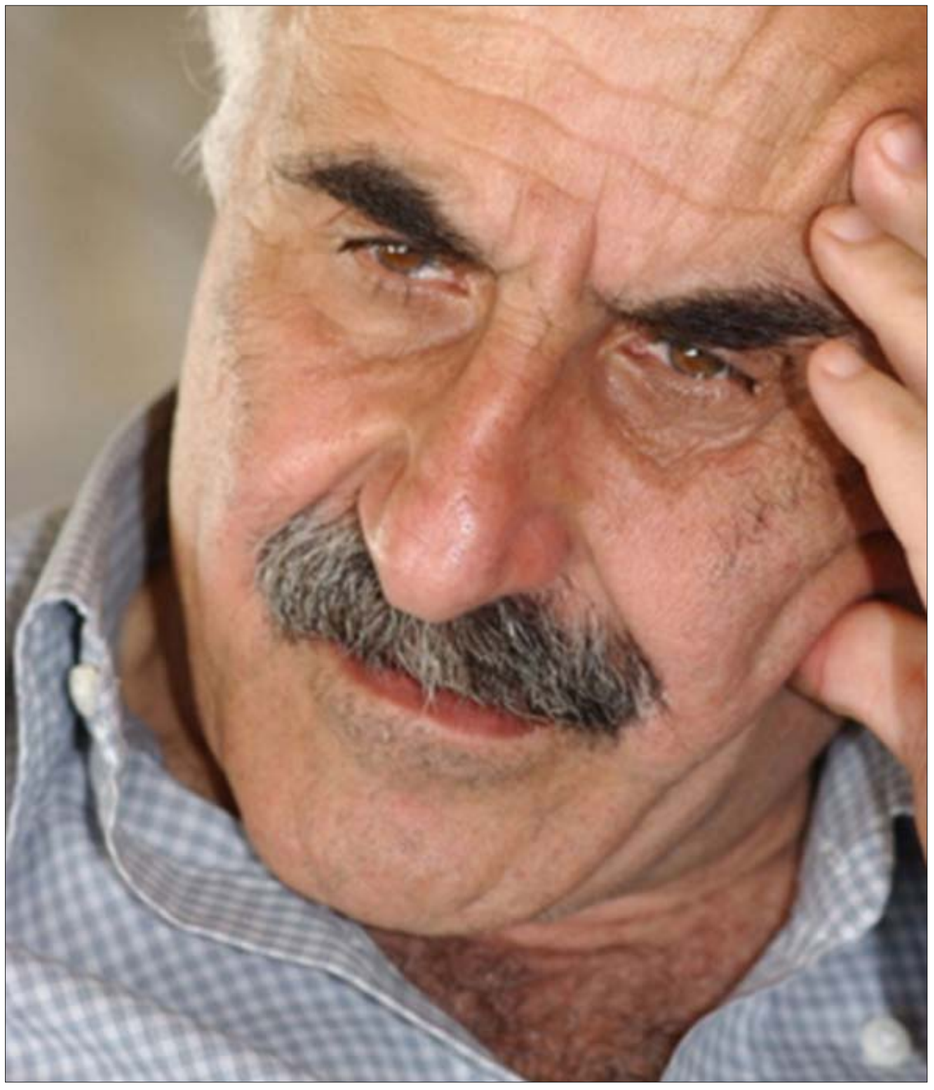

فصل من رواية «حائطٌ خامس» للكاتب والشاعر عبّاس بيضون تصدر قريباً عن «نوفل ـ هاشيت أنطوان»

نص

Run Forrest Run

صابر المنتصر *

آخرج لممارسة الركض كلّ يوم تقريباً. أدمنتُ هذه العادة منذ ستة أشهر. كلّ يوم، في نفس التوقيت، أبدأ بإطلاق العنان لقدميّ. في اليوم الأول أغمي عليّ بعد خمس دقائق وأيقظني أصدقاء يشربون بعضاً من الجعة في ملعب كرة القدم. في الأيام الموالية، تقيّأت مرات عديدة. يصيبني غثيان شديد وأواصل الركض. كان الهدف من هذه العادة أن أستطيع التخلّص من عادة أخرى كنت أدمنتها ولا أريد الحديث عنها الآن. بعد أسابيع، بدأت بالتعوّد على الركض وازدادت المدّة تدريجاً. عندما أخرج من بيتي وأبدأ هذا الإدمان، ينظر إليّ البشر، في هذا الحيّ، كأنّني مجنون.

قالت لي ذات مرة امرأة: «يا ولدي آش امخرّجك في هالبرد». كانت الكلمات تغادر فمي لأجيبها، إلا أني ألهث. بعض الأصدقاء، أيضاً، يعتقدون أني جننت. أركض، ثم أركض، ثم أركض واعود لبيتي لأستحم وأنام. أصبحت مهووساً بساعات الركض. عندما يبدأ القلب بضخّ الدّم إلى كامل الجسد بدفق مرتفع، أحسّ بنشوة شديدة. زادت المسافات لتزداد هذه النشوة. برد شديد في أطرافك وأنفك ودمعات صغيرة تتساقط من عينيك سببها الهواء البارد. عندما ركضت 10 كيلومترات في 60 دقيقة، بدأت بالصراخ والفرح كأني الفائز بالألعاب الأولمبية. في حقيقة الأمر، فرحت لأنني نجحت في تحقيق الهدف: دامت النشوة حينها يوماً كامل.

منذ فترة قصيرة أيضاً، أصبحت أتوجّه إلى قاعة الرياضة. كانت البدايات كعاداتها، مملّة وصعبة، إلا أن هذا الجسد يتعوّد على كل شيء. بدأت عضلاتي بالتماسك وصرت أفقد تدريجاً الدهون التي كانت تتراكم مثل الأفكار الغريبة التي تراود ذهني في يوم أحد كئيب. أفقد أيضاً بعض الملابس التي لم تعد تناسبني، تماماً مثلما فقدت بعض الأصدقاء. أفقد عادات واكتسب عادات أخرى وأتعود عليها كأنها جزء منّي. تسكن فكرة ما في رأسك ولا تخرج منها إلا بعد أن تسكن فكرة أخرى مكانها. أحياء كبيرة في تلك الجمجمة الصغيرة التي تحتاج أن تتغير.

أركض، ثم أركض، ثم أركض والأفكار في رأسي تتوالد بنسق جنوني.

في يوم ما، كانت الشمس أمامي مباشرة وتتوسط الطريق وكنت أركض لساعات دون توقف. كنت أعتقد أني وجدت الطريق نحو الشمس.

كان يوماً جميلاً جداً والسماء الزرقاء تطفي على كل الأحاسيس. فكرت حينها في طريقة ما للانتحار إلا أنني عدلت عن تلك الفكرة وواصلت الركض.

أركض كي لا أموت.

آخرج لممارسة رياضة الجري يومياً تقريباً. بدأتُ هذا الإدمان قبل سنة ونصف السنة. ساعدني هذا الإدمان على التخلّي عن إدمان آخر ربما ساتحدث عنه في يوم ما. بعد مرور هذا الزمن، تعوّد بعض من في الحيّ على مروري اليومي أمامهم. ذات يوم، جهّزت لي نفس المرأة، قارورة مياه معدنية صغيرة وقطعة حلويات. تعوّدت هي أيضاً على شيء ما. يلوّح لي رجل في العقد السادس من العمر عند مروري أمام المقهى. يجلس وحيداً وفي يده اليمنى تسكن سيجارة تحترق. يلوّح لي بيسراه واللوّح له بابتسامة صغيرة. كلّ هذا الزمن، لم أعرف اسمه ولم يعرف اسمي. أعرف أنّ له ابنة في الثانوية وأنّ زوجته تعمل في مصنع للأحذية. أعرف أنّ له كلباً أسود ضخماً يحبّ أن يركض معه. أعرف أنّ له سيارة بيضاء من نوع «بيجو» وأنّه يحبّ الموسيقى الشعبية. أعرف أنّ له عادة سيئة في التدخين. أعرف أنّ له ابناً يدرس الطب في الخارج. أعرف أنّ له زوجة تعمل في مصنع للأحذية. لكنّ العلم الديني لم يرق لأبي فعمل مدرّساً في مدرسة حكوميّة وتزوّج أيضاً من خارج العشيرة. لم تكن أمّي غربانيّة، لكنّها ليست أقلّ افتخاراً بعائلتها من الغربانيّات، أمّا أنا، الذي كان دمي مختلفاً إلى هذا الحدّ، والذي لم يبقَ فيه من الغرابنة إلّا القليل، فقد تربّيت في قرية من الجنوب، حيث درّس أبي واستقرّت أسرتي، منقطعاً هكذا عنّ الغرابنة، رغم أنّه كان لي بينهم أبناء خال من زواج سابق لأبي وأبناء عمّ اتّصلت بهم في شبابي.

أردت أن أتعرّف إليهم، فقد كان أباؤهم يتردّدون علينا من عام إلى عام، وأبي وأمّي يحتفيان بهم، من دون أن يبادلانهم الزيارة. لم أتكلّم مع أبي على ذلك إذ لم أنتبه له إلّا متأخّراً، فلم تكن العائلة قضيّة أيّ منّا، لكن عندما اقترحتُ أن نصعد إلى الغربانيّة، صعدنا جميعاً أمّي وأبي وأختي وأنا، واستقبلت العشيرة، ابن الشيخ واحتفاده بحفاوة، فهم من عرق الشيخ الذي كان في وقته فخر العشيرة التي ليس في تاريخها أهل علم قبله. لم يعلّق والدي الذي لم يكن ثرثاراً ولا علنياً، والأرجح أنّ أمور السيرة المتبسة لم يكن لها كلام عنده، فالكلام عنده جامعٌ وعام. لذا لا أدري إلى الآن إذا كان يجافي عشيرته ويتجنّبها، فهو لم يعقّ في الغربانيّة، ولم يصعد إليها إلّا عند رغبتي، مفضّلاً أن يقضي عطلاته في قرية أمّي. لم أسمعه يتكلّم على عشيرته، إلّا أنّه ذكر مراراً آباه ولم يذكر غيره، ووصل إليّ أنّ جفاءً كان بين أبيه وأعمامه الذين جاؤوا من عدّة أمّهات. لم أعرف هذا من والدي، الذي كان بالتأكيد يخجل من أن يحمل مشاعر في غير وقتها ومناسبتها، ويخجل بضغينته، وبخاصة إذا كانت تحزّ فيه بدون سبب كافٍ، إذا كانت بنت ثأر عائليّ أو نعرة ما، أيّ نعرة. لم يكن يفهم ضغينته ولا طاقة له على إبرازها. قلت له إنّنا سنذهب هذا الصيف إلى الغربانيّة فلم يقل شيئاً. سار هادئاً إلى السيّارة، وفي الغربانيّة بادر إلى الاتصال بالأقرب إليه من أبناء الفخذ الذي يحويه، سعيد الرباوي. وهكذا فهمت أنّ العشيرة تضمّ أفخاذاً وبطوناً متنافسة، فقد سمعت من الحاج محمد علي عندما زرناه في دكّانه، وكان الرجل الذي يرتدي طاقيّة بنّية صوفية لا تناسب الطقس الصيفي، عاكفاً على دقّ المسامير التي يتناولها من فمه، في النعل المثبت على سندان، أنّ «جبّ مرعي مش من العشيرة، هولي برارنة»، أي أنّهم من خارج العشيرة. قال ذلك بعينين زرقاوين باسمتين، وفم منبسط، ووجه جعلته الذقن، غيرُ المحلوقة من أيّام، أكثر أبويّة. لم يكن صوته، الذي يرخي أواخر الكلمات، أقلّ ألفة. سمعت الكلام نفسه من الأستاذ ناجي، الذي استقبلنا بعباءةٍ سوداء خفيفة. أشار إلى صورة له في شبابه، على رأسه فيها عقال، وقال «إنّها من حرب فلسطين». كانت عباءته الزرقاوان تشعّان في محجريهما كحجرين كريمين، وكان صوته مرؤساً كإصبعه التي يطعن بها الفضاء أثناء الكلام. لقب الأستاذ جاءه من رفقة الإنكليز، حين كان يعمل في فلسطين في بناء خط السكّة، ومن هناك تعلّم كلمات إنكليزية راح يرطن بها بين أهله. لم يكن أستاذاً، كما أنّ الدكتور راشد لم يكن طبيباً، فقد اشتغل في عيادة طبيب أسنان خرج منها وقد تعلّم كيفيّة قلع الأسنان، لكنّه قلع سنّ أبي غير المعطوبة، ليعود فيقلع له السنّ المجاورة. الدكتور كان ظاهر القوّة في جسده المشدود وذراعيه الملفوفتين، تحت نصف الكمّ الذي كان لقميصه، وكان وجهه، وحنكه بخاصة، يتحرّكان باستمرار مع كلامه. الاثنان قالا إنّ «جبّ مرعي» كان حليفاً للعشيرة قبل أن يندمج فيها، لكنّ الشبهة حول أصل جبّ مرعي لم تكن وحدها، فالأرجح أنّ شبهة مثلها تلحق كلّ الأصول، عدا جبّ محمود الفقير، فالكلّ يجمعون على أنّه الأصل. كان جبّ محمود الأكثر عدداً لكنّ أفراده في جملتهم إسكافيّون، وبينهم كثرة من القبضايات الذين يؤجّرون نفوسهم لبكوات المنطقة، فضلاً عن توزيع المخدّرات، ونقلها عبر الحدود والعمل في الاستخبارات، سواء تلك التي للبلد أو لدول في الجوار. صحيح أنّ أحدهم، سليمان، تطلّع إلى أكثر من ذلك، فترشّح لرئاسة البلدية، وربّما كانت عينه على النيابة، لكنّ الزعماء الذين دعموه في معركة الرئاسة وضعوا لطموحه حدّاً، بل جعلوا المنصب نفسه تحت أيديهم. هكذا اكتفى سليمان وصرف نظره عن النيابة، وحين انفلج ولزم فراشه، صار المنصب صغراً، وإن تنازع عليه ابن سليمان راشد، الذي جعل من دكّان أبيه المهجور محلاً لبيع الأحذية، ورائد الذي عاد إلى البلدة طبيباً. هذه المرّة وضعه أحد الزعيمين على لائحة من لوائحه فصار نائباً، فيما حلّ أحمد محلّ أبيه. ليس للنائب إلّا الاسم، مع ذلك غضب وجهاء العشيرة لأنّ شخصاً، أبوه كان يعمل ساعياً لديهم، يحمل هذا الاسم. إذا كانت النيابة قد هزلت، فإنّ حال الوجاهة ليس أفضل، فالجميع تحت الزعيم وتحت الحزب، والعشيرة نفسها مقسومة بالتراضي بينهما.

لم يكن مضى علي وجودنا في القرية سوى يومين، حتّى كان الخبر شاع، وأخذنا نستقبل كلّ عصر عدداً ممّن يأتون للسلام علينا. كان أبي هو المقصود، والزوّار عادةً هم أصحاب البيوت الذين يوازونه عمراً أو يزيدونه. لقد حضر آباء العشيرة للترحيب بالابن الضال العائد. أوّل الوافدين كان الحاج صائب، الذي دُعي هكذا على اسم البيك البيروتي، إذ كان الأخير يوم مولده في زيارة للبلدة. الحاج صائب هو ابن خال أبي، أي أنّ قرابته له تعود إلى الأمّ، فالأخوال أشقّاء الأمهات. كان مع الحاج صائب ولداه، واحدهما في سنّي تقريباً والثاني يزيدني بسنوات. حينما رنّ الجرس وفتحنا الباب وجدناهم، ومعهم امرأة مبرقعة وصبيّة بالحجاب. عجّلت بإدخال السيّدتين اللتين دلفتا فوراً إلى الغرفة الخلفيّة وتواريتا فيها. دخل الحاج وابناه، وجلس معهما على الكراسي المصفوفة في الحجرة الأولى. عجّل أبي إلى المجيء بعد أن ارتدى طقمه الكحلي وعلى باقته قشرة الرأس البرشاء. لم يتعانق الحاج ووالدي ولم يطيلا المصافحة، تمتم أبي «أهلاً بالحاج». كان الحاج معقود الحاجبين مقطّب الوجه، لكنّ البارز فيه عيناه الزرقاوان، اللتان تضيفان إلى صرامته ملمحاً من الدهاء. كانت عباءته السوداء الخفيفة تغطي طقماً رمادياً وربطة عنق مقلّمة. لقد جاء بكل قيافته، وحين رفع صوته مرحّباً بالأستاذ، لمعت عيناه وزاد انزواؤهما. «نوّرت»، قال، فردّ عليه أبي: «أضوت المطارح يا ابن الخال شرّفت». لم تكن هذه لغة أبي...

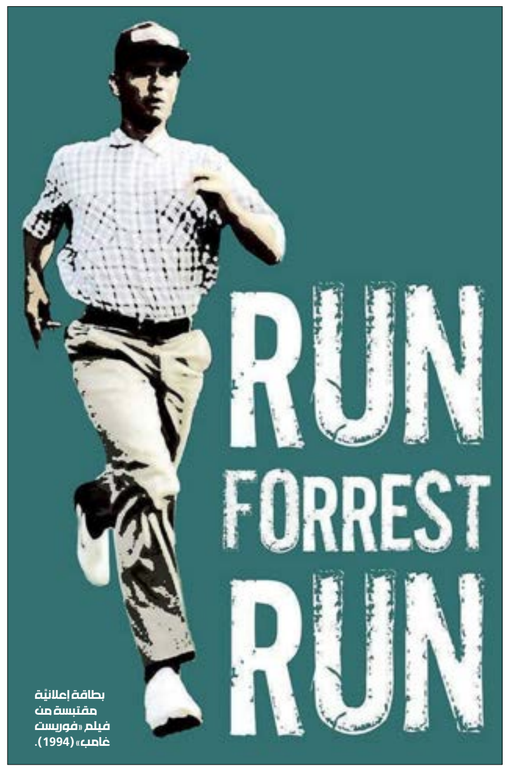

بطاقة إعلانيّة مقتبسة من فيلم «فورييست غامب» (1994).

صغيرة. كانت هذه عادتنا الصغيرة. أصبحت عادة يومية. تعوّد أيضاً كلّ الذكور الذين يجلسون في مقهى آخر على مروري أمامهم. في البدء كانت ملابسي حديثهم. ثم بعد ذلك أصبح تحوّل بعض عضلات جسدي موضوعهم، أما الآن فتتسمّر وجوههم على هواتفهم الذكية. لقد تعوّدوا على مروري.

أواصل الجري ويواصل باقي البشر عاداتهم اليومية: صياح البائع المتجوّل؛ صوت الموسيقى القويّ الذي يصدح من بيت جميل؛ الطفلة الصغيرة التي تطلّ من النافذة؛ جلوس الذكور على الإسفلت (يسمّون ذلك المكان مقهى)؛ مرور النسوة بجانب الإسفلت الذي يتحرّش بهنّ؛ سيارات الأجرة الفارغة؛ صوت الأطفال في كل شوارع الحيّ؛ تنبيه القطار الذي سيمرّ بعد حين؛ قاعات الرياضة التي تتقمّص دور الملاهي الليلية؛ سيارات الشرطة (دون أي وصف).

عادات كثيرة تزداد وتتكاثر دون تفكير. أواصل الجري ويواصل باقي البشر عاداتهم اليومية. في بعض الأحيان، حين يكون الحيّ مزدحماً بالعادات. أركض نحو مقبرة قريبة. أدخل من الباب الرئيسي. أركض هناك دون أي عادات تعترضني. في ذلك المكان تعترضني الذكريات.

أحاول قدر الإمكان في ذلك المكان ألا أتوقف عن الركض. أركض، ثم أركض، ثم أركض إلى أن يدقّ قلبي بنسق شديد. أجلس بعد ذلك بجانب قبر ما. تتصاعد أنفاسي وألهث وقطرات العرق تتساقط على أرض المقبرة. سكون يطغى على هذا المكان.

في هذا المكان أحس أني حيّ أرزق. كتبتُ في السابق أني أركض كيلا أموت، أما الآن أكتبُ: أركض لأحيا.

* تونس

قصائد قصيرة

ريح تمشط زهورَ سوالف العروس

هدى حاجي *

في الزرقة الفاخرة
قطع ثلج عائمة .
سحب بيضاء
■■■
نقرات مطر خافتة
في الدلو الممتلئ .
رنين في القاع
■■■
مثلي أنت ممزّق البنطال
ضاحكاً يهتف متسوّل
أمام دجين المانكان
■■■
يا ألوان الخريف
من فرط هشاشة الأوراق .
تتفتّت قصائد
■■■
مطر الخريف
بطحاء الحي المحفّرة .
بحيرة راكدة
■■■
نحلة ذهبية
تغوص في رحيق
أعذب من البتلات الوردية
■■■
ليلة كاملة
مجنون يسير نحو القمر
الآن مضطجع في الشمس
■■■
برد خفيف
الندى الأبيض
يغطي الجيرانيوم
■■■
بعد طول غياب
عادت مع الخريف .
سلحفاة الحديقة
■■■
وراء المنحدر
سقطت شمس الغروب .
قمر على الهاوية
■■■
مطعم بحري
ببتزا بغلال البحر .
وزبد الأمواج
■■■
بحيرة هادئة
نوارس تبدأ طيرانها .
ظلال تغوص
■■■
ورقة بيضاء
يخدشها قلم حبر .
ينزّ لؤلؤ الأعماق
■■■
ندى الصباح
على الجيرانيوم الأحمر .
حبّات ياقوت
■■■
قطرات مطر .
تسقي بعضها البعض
أوراق لوتس
■■■
عارية تماماً
تغتسل بمطر الخريف .
أشجار التوت
■■■
مطر حزيران
يغسل الفجر
من سواد اللّيل
■■■
في وضح النهار
توقدها الشمس .
زهرة الشمعة
■■■
جيرانيوم الشرفة
يهبط للحديقة
لولا الأصيص
■■■
على ضوء الجوّال
ينبش جامع البلاستيك
ركام القمامة
■■■
بحيرة اللوتس .
الأوراق زوارق
الزهرات أشرعة
■■■
صحراء
كثبان في الرياح .
منحوتة ذهب و ظلال
■■■
أغنية فيروز .
يبلّل أصابعي
ندى الحبق
■■■
نبتة الفلّ النحيلة
شجيرة وريفها
أكبر من الأصيص
■■■
زهرة الدوّار
تلتفت للشمس .
لعلّها ترى نفسها فيها
■■■
أوراق ذابلة
أمدّ يدي
لأتحسّس الخريف
■■■
ريح واهنة
تمشط ناعماً
زهور سوالف العروس

* تونس العاصمة

عزيزة قرمازي ـ «في بلد الألوان» (زيت على قماش، 2020).

تاريخ

السياسة البريطانيّة في الشرق الأوسط: تاريخ من العنف والغطرسة

مصطفى شلش

في النصف الأول من القرن العشرين، كانت بريطانيا القوة المهيمنة في منطقة شاسعة تمتد من مصر إلى إيران. وكانت هذه مصلحة إستراتيجية حيوية، إذ ضمنت سيطرة لندن على الطريق البحري إلى الهند، وعلى المصدر الرئيس للنفط في العالم. بعد الحرب العالمية الثانية، تراجع النفوذ البريطاني لصالح القوة الأميركية. ولكن مشاكل هذا التحول، والاضطراب الأمني الدائم في المنطقة، أبقيا الشرق الأوسط على رأس قائمة السياسة البريطانيين.

يرصد كتاب «الأنبياء الكذبة» False Prophets: British Leaders' Fateful Fascination with the Middle East from Suez to Syria (آثلانتيك بوكس - 2022) لأستاذ التاريخ الدولي نايجل أشتون، سياسة رؤساء وزراء بريطانيا المتعاقبين، ودور بريطانيا في منطقة الشرق الأوسط المضطربة على الرغم من الضغوط الاقتصادية في الداخل والمعارضة الشعبية.

تعامل كل رئيس وزراء بريطاني مع مشاكل المنطقة بمزيج من العنف والغطرسة، بداية من عام 1956 من خلال العدوان على مصر في ما عُرف بـ «حرب السويس» وانخرط في تلك الحرب ثلاثة رؤساء وزراء بريطانيون هم: أنتوني إيدن وهارولد ماكميلان وأليك دوغلاس هوم.

كان إيدن يرى في تأميم الرئيس المصري جمال عبد الناصر لقناة السويس تهديداً وجودياً للمملكة المتحدة، إذ يُمكن للرئيس المصري وقف إمدادات النفط وقطع الطريق البحرية المؤدية إلى الهند أمام البريطانيين. لذا اندفع لشنّ عملية عسكرية بريطانية – فرنسية بالتواطؤ مع إسرائيل. لم يستمع إيدن لأي معارضة لخطته، وفشل في الاستجابة لتحذيرات أيزنهاور بأن الولايات المتحدة لن تتسامح مع حربه. انتهت حرب السويس بإذلال لإيدن، لكن هذا لم يُعط درساً لمَن سيخلفه عام 1957، فقد استمر رئيس الوزراء الجديد هارولد ماكميلان في استخدام القوة للدفاع عن المصالح البريطانية في الشرق الأوسط، وبقيت مخاوفه محصورة بتنامي القومية العربية التي تُهدد السيطرة البريطانية على النفط، خصوصاً في منطقة الخليج. أطلق ماكميلان العنان لرؤيته الإمبريالية/ الرومانسية لدور بريطانيا في الشرق الأوسط من خلال الضغط على أيزنهاور للقيام بعمل عسكري مشترك بين الولايات المتحدة والمملكة المتحدة في لبنان لمواجهة ما أسماه مؤامرة جمال عبد الناصر ضد «الحكومة المسيحية» هناك. بعد فشله في إشعال تلك الحرب، نشر قوات المظليين البريطانيين في الأردن عام 1957 لإحباط انقلاب رئيس الأركان العامة للقوات المسلحة الأردنية علي أبو نوار ضد الملك حسين. في العام ذاته، انخرط الرئيس الأميركي أيزنهاور وماكميلان في وضع خطة لإسقاط الحكم في سوريا لتزايد ميلها نحو الاتحاد السوفياتي. لكن الخطة فشلت لعدم القدرة على إقناع الدول العربية (العراق والأردن) المجاورة بالقيام بالغزو خوفاً آنذاك من ثورة شعوبها المتأثرة بالمد العروبي الناصري. وفي عام 1961، أعلن ماكميلان الإبقاء على القوات البريطانية ووحدات الأسطول، التي كانت تتأهب للرحيل عن الكويت، عقب إلغاء اتفاقية الحماية، بعدما أعلن الرئيس العراقي آنذاك عبد الكريم قاسم نيته في ضم الكويت.

أما رئيس الوزراء دوغلاس هوم، فقد استمر على نهج أسلافه المناهض للقومية العربية، والمعادي لجمال عبد الناصر. لذا قرر دوغلاس الانخراط في حرب اليمن، ووجّه باستخدام القوة العسكرية لمساعدة الملكيين ضد الجبهة الوطنية للتحرير المدعومة من القاهرة، لكن تم إقناعه بالقبول بضربة جوية محدودة وحملة لتسليح معارضي الجبهة الوطنية، واقتصر ذلك بحملة إعلامية من الدعاية السوداء تهدف إلى تقويض معنويات النظام الجمهوري.

ومع صعود هارولد ويلسون إلى كرسي رئاسة الوزراء عام 1964، استمر الشعور بأن بريطانيا تلعب دوراً كبيراً في المنطقة على الرغم من الضغوط الاقتصادية في الداخل، وكان ويلسون شديد التأييد للاحتلال الإسرائيلي. لعب وزير خارجيته، جورج براون دوراً حاسماً في صياغة قرار مجلس الأمن الرقم 242 لوقف إطلاق النار في حرب 1967 بين إسرائيل والبلدان العربية.

على عكس صهيونية ويلسون، كان رئيس الوزراء إدوارد هيث حريصاً على إصلاح العلاقات مع الدول العربية. تحت قيادة هيث، لعب ضابط مخابرات متمركز في الأردن يدعى بيل سيبرز أهم دور بريطاني سري. فقد قام سيبرز بتثبيت وتشغيل وسيلة الاتصالات الآمنة الوحيدة للملك الأردني الحسين بن طلال مع العالم الخارجي أثناء أزمة «أيلول الأسود» عام 1970، ومنحت وصلة الاتصالات اللاسلكية التي أقامها سيبرز حكومة هيث امتياز الوصول إلى المعلومات حول خطط الملك عندما أطلق العنان لجيشه ضد المقاتلين الفلسطينيين المتمركزين في الأردن وضد القوات السورية التي غزت شمال البلاد.

وفي عام 1973، اندلعت حرب عربية إسرائيلية أخرى. وكان الملك حسين حذراً من التورط فيها، لكنه تعرض لضغوط متزايدة للقيام بذلك. طلبت سوريا منه إرسال قوات لتغطية جناحها في مرتفعات الجولان، لكن الملك كان قلقاً من رد فعل إسرائيل المحتمل. ولم تكن لديه نية لمهاجمة إسرائيل من الجولان وأراد أن يعرف الإسرائيليون ذلك. حلّ الضابط سيبرز المشكلة من خلال صياغة رسالة من الملك ليتم نقلها إلى إسرائيل عبر القنوات البريطانية، لتضمن لندن أن حركة القوات الأردنية ما هي إلا مناورة من الملك لمنع أي تهديد سوري مُحتمل للأردن (كما كانت الحال في عام 1970)، وفي هذه الحالة، تفهّم الإسرائيليون تحرك الملك وتجنبوا استهداف قواته في الجولان.

على أي حال، حقّقت الجيوش العربية (مصر وسوريا) انتصارات أولية قبل تدخل واشنطن وإرسال شحنات أسلحة ضخمة إلى إسرائيل. وفي إشارة واضحة إلى أن هيمنة بريطانيا في المنطقة قد انتهت، فقد تولى وزير الخارجية الأميركي -في ما بعد- هنري كيسنجر دوراً كوسيط لوقف إطلاق النار. وأدى الغضب العربي إلى قيام منتجي النفط بخفض الإنتاج وفرض ارتفاع كبير في الأسعار. وتسببت هذه الأزمة الاقتصادية في خسارة هيث الانتخابات عام 1974.

أما رئاسة الوزراء من جيم كالاهان، ومارغريت تاتشر وجون ميجور، فقد حصل جميعهم على نصيبهم من الأعمال الدرامية في الشرق الأوسط، خصوصاً الصعود والهبوط في مفاوضات السلام الإسرائيلية الفلسطينية، ثم غزو صدام حسين للكويت عام 1990 وحرب الخليج. لعبت تاتشر دوراً رائداً في مواجهة صدام حسين، لكنها انتهت فجأة بسقوطها من منصبها في العام نفسه. وكان موقف تاتشر المتصلب امتد حتى إلى الدعوة لاستخدام الأسلحة الكيميائية الانتقامية ضد القوات العراقية التي تحتل الكويت. ضغطت تاتشر بشكل متكرر على الإدارة الأميركية للرئيس جورج بوش الأب، لتكون مستعدة للرد بالأسلحة الكيميائية رداً على أي استخدام عراقي.

كان القائم الرئيسي على برامج أسلحة صدام الكيميائية والبيولوجية هو صهره، الجنرال حسين كامل المجيد، وثالث أقوى رجل في العراق بعد صدام وابنه عدي. بعد خلاف مع الأخير في آب (أغسطس) 1995، ترك البلاد خائفاً على حياته، ذاهباً إلى الأردن حيث وفّر له الملك حسين ملاذاً آمناً. شرع المجيد في الكشف عن برامج أسلحة الدمار الشامل لصدام. ولكنّ الرسالة التي حملها كانت غير متوقعة: لقد دمّر صدام كل مخزونه من أسلحة الدمار الشامل بعد حرب الخليج وكان يرفض عمليات التفتيش الدولية فقط للحفاظ على وهم القوة.

كانت مزاعم المجيد غير مرحّب بها عند المخابرات البريطانية والأميركية، التي استاءت أيضاً من محاولته تنصيب نفسه كرئيس صوري للمعارضة العراقية. في الواقع، كان رد فعل كل من MI6 (جهاز المخابرات الخارجية البريطاني) ووكالة المخابرات الأميركية المركزية سلبياً للغاية. لكن بعد الغزو الأميركي للعراق، الذي حدث بذريعة تفكيك برامج أسلحة الدمار الشامل، اتضح أن مزاعم المجيد دقيقة.

يعقد نايجل أشتون مقارنة بين رئيس الوزراء البريطاني توني بلير وإقدامه على حرب العراق، وبين سابقيه إيدن وحرب السويس. وإذا لم يكن السياق واحداً، فإنّ كليهما كانا مهووسَيْن بالقوة والغطرسة ومهددَين مجتمعهما بالخطر الذي يشكله «ديكتاتور عربي» (صدام وناصر). هدّد إيدن بأنّ ناصر قد يطلب دفع فدية من بريطانيا من خلال سيطرته على النفط، بينما هدّد بلير بأنّ أسلحة صدام الكيميائية والبيولوجية، تشكّل خطراً إرهابياً غير مقبول.

ينتهي كتاب أشتون بدراسة فترة رئاسة وزراء جوردون براون ودفيد كاميرون، وخصوصاً قرار الأخير شنّ حملة جوية ضد ليبيا عام 2011، ما يظهر ميل رؤساء الوزراء الدائم إلى استخدام الأداة العسكرية. تأخر رفع السرية عن الوثائق التي تغطي علاقات بريطانيا مع ليبيا ودول أخرى في الشرق الأوسط، مثل العراق وسوريا ومصر، ما دفع أشتون للجوء إلى القضاء لمدة 5 سنوات حتى حصل على حكم عام 2018 يمكّنه من الاطّلاع على الوثائق التي أظهرت له أن غالبية العمليات العسكرية البريطانية شكّلتها الاعتبارات الاقتصادية، والعلاقة المعقّدة بين لندن وواشنطن حول الشرق الأوسط، وخلل التوازن بين علاقات المملكة المتحدة مع إسرائيل (جلب العديد من رؤساء الوزراء قناعاتهم الشخصية إلى الوظيفة) ومع الدول العربية. لكنّ الثابت الأكيد أن الحرب ولّدتها غطرسة بريطانيا لشعورها بأنها عرفت الشرق الأوسط بشكل أفضل من الأميركيين أو الدول الغربية الأخرى.

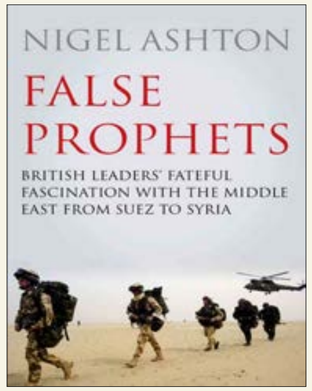

غالبية العمليات العسكرية شكّلتها الاعتبارات الاقتصادية

لمحات

دينو بوتزاتي

■ تصف رواية «حبّ» (1963) للأديب الإيطالي دينو بوتزاتي (1906-1972) الصادرة بترجمتها العربية أخيراً عن «دار الساقي» (ترجمة رامي طويل) المشاعر الملتهبة لأنطونيو الخمسيني تجاه فتاة ليل شابة وجميلة تدعى لايد.

لا يستطيع أنطونيو كبت الشغف الذي يشعر به تجاه هذه المرأة التي تسيطر على عقله ووجدانه معاً وتجعله هائماً ومجنوناً بحبّها. يبدو أنطونيو طوال الوقت مسحوراً بها، بينما هي تستغلّه وتسخر من عشقه لها، ولا تتورّع عن خداعه وخيانته. تنهار هذه العلاقة بعد سنتين مريرتين بسبب فارق العمر والطبقة الاجتماعية واختلاف المستوى الفكري بين هذا الثنائي. يدرك أنطونيو الذي عاش جحيم الحب ولوعة الغيرة والقلق المستمر أنّ هذه العاطفة المشبوبة تجاه تلك الصبيّة الحسناء، كانت وسيلته للهرب من فكرة الموت والنهاية المحتومة التي تنتظره، وفهم أنه قد يستطيع شراء شباب إحداهن للاستمتاع به ولكنّه لن يستطيع أبداً استعادة شبابه الذي انقضى.

وليد الرجيب

■ استوحى وليد الرجيب نصّه المسرحي الجديد «رقصة الموت» (دار الفارابي) من مسرحية «سالومي» (1893) للكاتب الإيرلندي أوسكار وايلد (1854-1900) التي تتحدّث عن الأميرة سالومي ابنة زوجة الملك هيرودس، التي أحبّت يوحنّا، فرفضها. والقصة من أوّلها إلى آخرها معروفة: هيرودس الملك كان قد قتل أخاه فيليبس وأخذ زوجته هيرودیا، التي هي أمّ سالومي وتزوجها. لكنّ يوحنا المعمدان اعترض بشدة واعتبر هذا الزواج خطيئة كبرى وإثماً لا يُغتفر، لأن هيرودس هو شقيق زوجها فيليبس.

سحرت سالومي التي تشبه فراشة مضيئة هيرودس عمّها وزوج أمها بجمالها الفتّان وبرقصها البديع. وفي أحد الأيام، طلب هيرودس منها أن ترقص له. فاشترطت عليه أن يأتيها برأس يوحنا كي ترقص، وكانت هذه نصيحة والدتها، التي أزعجها صوت يوحنا، وهو يدينها ويذكرها بخطيئتها وأرادت الانتقام منه، فوافق هيرودس وقطع رأس يوحنا المعمدان وقدّمه لسالومي مجذوباً على طبقٍ من فضّة.

احمد بن سعيد الأزكي

■ يسعى الفنان والباحث العُماني أحمد بن سعيد الأزكي في كتابه «النزعة الدرامية في المعلّقات العشر» (دار الآن ناشرون وموزعون) للكشف عن الصور الدرامية الكامنة في المعلقات، فيدرس درجة حضور الدراما في تلك القصائد الشهيرة وعناصر البناء الدرامي والمصادر التي استلهم منها شعراء المعلقات مشاهدهم الدرامية. يهدف الكاتب إلى تقديم صورةٍ جديدةٍ عن الشعر العربي القديم، والنظر إليه نظرةً فنية سينمائية وتلفزيونية، فيبحث في كيفية تقديم المعلقة رؤية بصرية للأحداث التي يعرضها الشاعر مع توظيف فكر المتلقّي وخياله. استخدم الأزكي منهجاً وصفياً تحليلياً لتحليل النصوص وسبر أغوارها وإماطة اللثام عن العناصر الدرامية من سرد وشخصيات وحبكة وحوار درامي. يتناول الفصل الأول مفهوم الدراما وعلاقتها بالفن والأدب، ويدرس الفصل الثاني القصص الدرامية والصور البصرية في المعلّقات. أما الفصل الثالث فيتناول الصراع الدرامي الداخلي والخارجي والدراما الظاهرة والمضمرة في المعلقات والزمان والمكان وتقنية الاسترجاع التي استخدمها الشعراء، ببراعة.

إسلام كمال

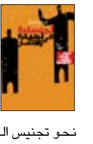

■ تحاول الباحثة والروائية الفلسطينية إسلام كمال في «الجنسانية في الهزيمة والانتصار» (منشورات المتوسط) الكشف عن طبيعة العلاقة بين الجنس والمرأة، سواء منها العلاقة الجنسية أو الاجتماعية وامتداد تلك الطبيعة بقواها السحرية الفاعلة نحو تجنيس العلاقات والأشياء. تبحث إسلام كمال في كيفية تحول مسار العلاقة الجنسية لتصبح علاقة حرب، علاقة منهزم ومنتصر، علاقة شتيمة ومشتوم، علاقة إهانة ومُهان. يطرح الكتاب أسئلة عديدة حول الوعي المجتمعي بتجنيساته المختلفة للغة والحضارة والاجتماع وأسباب تجنيس علاقة الإنسان بالعالم وبكل ما حوله. تحاول الكاتبة كذلك أن تجد العلاقة بين طبيعة العلاقة الجنسية وبين إحالاتها الثقافية واللغوية وتتطرق إلى بعض الدراسات المختصّة بالنسوية والخطاب الجنسي والتصورات الاجتماعية حول الجنس في المجتمع الفلسطيني.

منافٍ جاسب الخزاعي

■ يتتبّع كتاب «سيرة الدم والرصاص» (دار سطور . بغداد) للمؤلف العراقي منافٍ جاسب الخزاعي تاريخ الصراع بين حزب البعث العراقي والحزب الشيوعي العراقي في إطار سعيهما المحموم للوصول إلى السلطة بين عامي 1947 و1968. يقف كلّ من الحزبين على طرفي نقيض من الآخر، وقد انعكست ممارساتهما في ظهور حالة من النزاع والفوضى في الساحة السياسية العراقية، وقد أثّر ذلك سلباً في حياة المواطنين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. اختلف حالة الصراع والتصادم بين الحزبين حسب ضرورات المرحلة التي مرّ بها كل حزب من قوة وضعف، فابتدأ من اختلافات في الرؤى والمفاهيم والتوجهات، إلى تصادم الأفكار، ثم التصفيات السياسية في كثير من الأحيان. استمرت حالة الصراع عقوداً طويلة وصولاً إلى عام 1968، إذ تسلّم حزب البعث الاشتراكي السلطة فعلياً بعد قيامه بانقلاب عسكري أطاح حكمَ عبد الرحمن عارف، فقام بتصفية وتهميش جميع الاتجاهات والأحزاب السياسية العراقية.

توثيق

بديع صنيج... الحنين إلى دمشق التي كانت

خليل صويلح

يمزج بديع صنيج في كتابه «روح وريحان» (دار سوبير) الحنين بروح المكان، في مسعى لإعادة رسم خريطة مدينة دمشق التاريخية بمزاج الرحّالة، وبمشيئة الأقدام التي تتناهبها الدروب شمالاً وجنوباً. كأن الحرب لم تمزّق الأمكنة، وإذا بالذاكرة وحدها من بعيد تاثيث المكان. هكذا يتعقد الرواة في توثيق تاريخ المدينة بجوامعها وكنائسها ومقابرها وخاناتها، بنفس استقصائي، واتكاء على الوثيقة، ونبرة صحافية، ما يبث الروح مجدداً في جسد أقدم عاصمة مأهولة في العالم: «في كل متر عبق قداسة ما، وحكاية، وفي كل زاوية رواية. وفي كل دكان أو خان أو زقاق، ثمة سرد مختبئ يحتاج إلى تحريك رماده لاكتشاف جمرة جديدة» يقول.

يضع الراوي قدميه في «باب الجابية» أولاً، أحد الأبواب السبعة للمدينة، محاولاً ترميم أطلاله بما كان عليه قبلاً، مستنجداً بأبي البقاء بن عبد الله البدري وما كتبه في «نزهة الأنام في محاسن الشام»، مروراً بالشارع المستقيم الذي ينتهي بباب شرقي، في مراة تعكس صورتي أبي عبيدة الجراح الذي منح أهالي باب الجابية الأمان، لحظة دخوله المدينة، وخالد بن الوليد الذي دخل باب شرقي بالسيف. هنا تتمازج الروائح والألوان المنبعثة من سوق مدحت باشا، وصولاً إلى الكنيسة المريمية، ثم باب شرقي. شارع يضج بالحياة منذ القرن الأول قبل الميلاد إلى اليوم. بناه الرومان، وفي وثيقة أخرى، بناه اليونانيون بقصد ربط غرب المدينة بشرقها، أو جهة الشمس والعاصمة. بعد مسير ثلاثة كيلومترات في هذا الحي العتيق، ارتأى الراوي وقفة في «خمارة أبو جورج» أقدم خمارات حي باب شرقي التي تعاقبت عليها الاف الوجوه، وتركت ذكرياتها وتواقيعها على جدران الحانة الضيّقة بما يشبه كولاجاً جماعياً: «لم تعد مساحة خرم إبرة لتكتب شيئاً». وما عليك سوى أن تتأمل وتتمعن في معنى الزمن، وكيفية أفول عقد من القلق والياس والبكاء والمرارة» يقول.

في نزهة أخرى، يتوقف بديع صنيج عند سوق «باب سريجة»، وهي سوق شعبية للخضروات والفاكهة واللحوم، تتألق بمئة لون ولون، بمزيج من ألوان ماتيس، وروائح عطر زوسكيند، وسينما لويس بونويل، وصهيل خيول محاربين قدماء. هكذا يتناوب المدينة المقدّس والأسطوري ولهاث الحياة اليومية في إيقاعات متفاوتة، تبعاً للمكان: من هنا عبر بولس الرسول في رحلاته التبشيرية لتُسجل «كنيسة حنانيا» في قائمة اليونسكو للتراث العالمي كواحدة من أقدم كنائس دمشق. وفي باب توما، سيهتف صوت محمود درويش قائلاً: «في دمشق تسير السماء على الطرقات القديمة.. حافية حافية، فما حاجة الشعراء إلى الوحي والوزن والقافية». في الطريق نفسه، على كتف الجامع الأموي، سنصادف «مقهى النوفرة» أقدم المقاهي الشعبية في المدينة، إذ لن تكتمل النزهة في دمشق القديمة من دون زيارة هذا المقهى الذي يعود تاريخ تاسيسه إلى نحو 250 سنة، بصحبة «الحكواتي» وهو يستعيد سير الأبطال، من عنترة إلى الزير سالم، كما كان المقهى مكاناً لعروض خيال الظل. لا تكتفي دمشق بتأجيج الحواس، وإنما تبطّن بعداً صوفياً، وتالياً لا تكتمل الرحلة إلا بزيارة «مقام ابن عربي» صاحب «الفتوحات المكية»، و«ترجمان الأشواق»، فههنا تتشح الأرواح بقدسية المكان وروحانيته طوال 800 سنة متواصلة من النذور والكرامات وحلقات الذكر. على المقلب الآخر، سنتوقف عند «شارع شيكاغو»، الشارع الذي كتب تاريخاً موازياً للمدينة بأجساد الراقصات والمغنيات، ومعارك الملاهي الليلية، قبل أن يأفل في منتصف ستينيات القرن المنصرم، ويتحوّل إلى شارع لبيع معدات التصوير، كأن ما بقي منه مجرد صور بالأبيض والأسود وحسب.

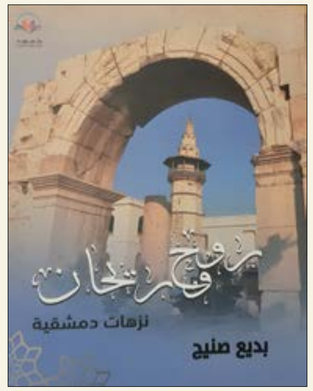

لا تكتمل الرحلة إلا بزيارة «مقام ابن عربي»

سيرة

كارولين مورهيد: نساء قدن المقاومة ضد الفاشية

محمد ناصر الدين

إنها القصة الاستثنائية لأربع شابات إيطاليات ممّن قدن المقاومة ضد الفاشية أثناء الحرب العالمية الثانية، تلك التي ترويها الباحثة البريطانية كارولين مورهيد (1944) في كتابها «منزل في الجبال ــ نساء مقاومات حررن إيطاليا» (دار الساقي ـ 2022 ـ ترجمة هيثم فرحت). آدا، فريدا، سيلفيا، بيانكا، أربع شابات من بيمونتي، قاتلن كما الآلاف من الرجال والنساء لتحرير إيطاليا، وانضممن إلى المقاومة إثر الاحتلال الألماني لبلدهنّ، بحيث صار منزل إحداهنّ مقصداً وملجأً للعديد من النساء المقاومات.

كانت النساء الأربع صديقات، وبحلول آذار (مارس) 1945 كنّ قد تجرّعن مرارة عامين من الاحتلال الألماني، والوحشية الفاشية، والاعتقالات المتكررة، والمعارك المسلّحة التي شملت إيطاليا كلها وصولاً إلى حدودها في جبال الألب العالية مع فرنسا وسويسرا. آدا ذات الشعر المجعّد اكبر الأربع سنّاً، أرملة أحد أشهر المناهضين للفاشية في التاريخ الإيطالي، بييرو غوبيتي، هي امرأة حيوية وحنونة في الواحد والأربعين، مترجمة ومعلمة تتحلّى بروح الدعابة وتفضّل الصداقة على الجنسية والبلد والأيديولوجيا، ومن مؤسسي حزب العمل اليساري والمفوضة السياسية لـ «محطة رصد ستاليناً»، أحد ألوية الثوار في الجبال. أما المحامية بيانكا غيديتي سيرا، البالغة 25 عاماً، فقد كانت عضواً جديداً في الحزب الشيوعي تدير لجان عمل ضد الفاشيين في المصانع رغم اعتراضات والدتها التي كانت ترى في نشاطها الثوري مجلبةً للويل والثبور إلى العائلة. فريدا مالان هي الفتاة الوحيدة التي تنحدر من عائلة بروتستانتية مقاتلة قادمة من الوديان إلى الغرب من تورينو. ونظراً إلى أنها عنيدة ومتمردة، صارت الفتاة الشقراء ذات العينين الزرقاوين التي تمتلك قامة لاعبة جمباز، مقاتلة ومرأسلة في مقاطعة في الجبال وعضواً في القيادة العسكرية الإقليمية الموحدة. أما سيلفيا بونس البالغة 26 عاماً، فقد كانت طبيبة بجمال ساحر بشعرها الأسود النازل على عنقها، إلى درجة أنّ الناس كانوا يصمتون لدى دخولها غرفة المريض، وتعمل كمراسلة حربية لمجلة الألوية الثورية وتسهم في علاج المقاتلين الجرحى. من خلال الحفر في سير النساء الأربع، وقصص اعتقالهنّ، لا سيما فريدا وسيلفيا في السجون المشهورة بالتعذيب والإعدامات العاجلة، تبين لنا مورهيد بالتفصيل عمل ماكينة الفاشية الهائلة في تحويل الأفراد إلى ظلال لا حقوق لها، ولا صوت، ولا مساواة، ولا رأي لها في الحياة وإدارة البلاد، ما استدعى شجاعة استثنائية من النساء الأربع في إيجاد إرادة المقاومة ونكران الذات والخيال، ليصبّرن حركة النساء الإيطاليات اللواتي انتفضن في معمعة الحرب على الفاشية والاحتلال. نكتشف في فصول الكتاب اللاحقة أنه بالنسبة إلى آدا ورفيقاتها، كان الأمر يتعلّق بتحرير الإنسان كما الأرض على حد سواء، بإيجاد مجتمع ديموقراطي جديد أكثر عدلاً تكون فيه النساء بموجب القانون في موقع الشراكة الكاملة في العمل والأسرة. إذ إن عدم حصول الأمر قد يؤدي إلى خسارة ما أطلقت عليه آدا اسم «معركتنا». «يجب علينا نحن النساء، أن نبذل قصارى جهدنا الآن في سبيل إنقاذ وطننا وحياتنا، وقوتنا، ورفض التردد أيضاً. وستبدي أفعالنا أننا قادرات على بذل التضحيات كلها» كان الشعار المرفوع من قبل مجموعات الدفاع النسائية، وبه تفتتح مورهيد الكتاب بإجزائه الثلاثة منذ سقوط إيطاليا، مروراً بالعام الناري للمقاومة والحرب وصولاً إلى التحرير. تسرد قصة المقاومة الإيطالية في أسلوب أقرب إلى كاميرا تتقصى حياة النساء الأربع على مدى تسعة عشر شهراً، بين أيلول (سبتمبر) 1943 حين استسلمت إيطاليا وانضمّت إلى الحلفاء، ونيسان (أبريل) 1945 لدى تحرير البلد من الألمان. تروي الكثير من التفاصيل المجهولة حول الحرب الأهلية التي غرق فيها الإيطاليون حين كانت حملة الحلفاء تتحرك ببطء شمالاً بعد إنزالاتهم في الجنوب. إذ شهدت الحرب الأهلية وحشيةً مفرطةً أدت إلى مقتل الآلاف، ونادراً ما يجري تذكّر المأساة خارج إيطاليا. تبيّن مورهيد كيف أفرزت الحرب الأهلية وتداعياتها أفضل ما في المجتمع الإيطالي وأسوأه، إذ كان حكم موسوليني الفاشي قد استمرّ عقدين من الزمن، وأمدّته الحرب بجرعة من الأوكسجين ليستمر في جنونه وتبعاته الكارثية. إلا أنّ الحرب أبرزت حميمية الشخصية الإيطالية وكرمها، فكانت الشجاعة التي أظهرها الثوار، رجالاً ونساءً، مضرباً للمثل، كما بيّن الكتاب تعقيدات حسابات كل الأطراف على الجغرافيا الإيطالية: الألمان العازمون على منع تقدم الحلفاء مع استغلال الموارد الإيطالية، الفاشيون الذين يحاولون التشبث بالحكم بأي طريقة ممكنة، والحلفاء ممن كانت تطاردهم مخاوف بأن تدفع المقاومة إلى الشيوعية، ما يجعلهم يبخلون في دعمها، واعتبار المقاومين شركاء من الدرجة الثانية رغم بسالتهم وتهوّرهم أحياناً. تقول آدا في أحد فصول الكتاب إنّ الحرب علّمتهنّ معنى الصداقة، والقوام المشتركة بين النساء، وما الذي يمكن أن يحققنه حين يعملن معاً: تسلّق أعالي الجبال لنقل الرسائل، النظر إلى الثلج المتراكم على الذرى، وصفاء الألوان وأطياف الأشجار المتغيرة، كما أنها عالجت صديقاتها من خيبات الأمل بعد التحرير، إذ كتبت سيلفيا في إحدى قصائدها: «جاءت الثورة بعد فوات الأوان/ وها هي الآن مفككة وفاسدة... وهكذا تبدأ عبوديتنا الجديدة/ أحراراً في البكاء والموت».

أنشأت آدا التي جمعت قصص المجموعة، مركزاً لتخليد ذكرى المقاومة، كما أهدت كتاباً ألّفته إلى صديقاتها قائلة إن رابط التضامن بينهنّ لم يؤسّس على «الموروث المشترك ولا على مفهوم الوطن أو العُرف الفكري»، وإنما على علاقة بسيطة تشعر كلّ منهن فيها بأنّ لها كلمتها في المعركة التي وصفها بييرو كالمانداري مؤرخ المقاومة الإيطالية في كتابه «رجال المقاومة ومدنها» (1955) بقوله: «لقد ازفت ساعة المقاومة التي نكون فيها رجالاً، ونموت ونحيا فيها رجالاً». سير النساء الأربع جملة اعتراضية تقول إنّ للنساء أيضاً نصيباً في تلك الساعة الأجمل من تاريخ الشعوب، حين تقاوم العين المخرز.

الحرب أبرزت حميمية الشخصية الإيطالية وكرمها

أوراق

الشجرة المنكوسة

زكريا محمد *

يورد لنا المسعودي في «مروج الذهب» قولاً عند صابئة حران ينسبه إلى أفلاطون يقول: «ورأيت على باب مجمع الصابية (أي الصابئة) بمدينة حرّان مكتوباً على مدقة الباب قولاً لأفلاطون أفهمني تفسيره مالك بن عقبون وغيره منهم وهو: من عرف ذاته تألّه. وقد قال أفلاطون: الإنسان نبات سماوي، والدليل على هذا أنه شبيه شجرة منكوسة أصلها إلى السماء وفروعها في الأرض».

إذن، ومنسوباً إلى أفلاطون، فإنّ «الإنسان نبت سماوي». والدليل على هذا أنه يبدو معاكساً للنبت الأرضي. أي يبدو كشجرة منكوسة، أي مقلوبة: فرجلاه اللتان تمثلان فرع الشجرة على الأرض، ورأسه بشعره الذي يمثل الجذر طائراً في الجو. أي أنه يتبدى معاكساً للشجرة الطيبة في القرآن التي أصلها ثابت في الأرض وفرعها في السماء: «كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين» (سورة إبراهيم 24). أما هو فأصله، أي رأسه، في السماء، وفرعه، أي رجلاه، على الأرض.

والحق أن لدينا تورية يونانية تلعب على الإنسان anthropos والنبات المقلوب anatrope، بما يجعل الإنسان: «شجرة مقلوبة، يقابل شعره جذورها» كما يخبرنا نورثروب فراي، في «المدونة الكبرى».

ورؤية الإنسان كشجرة منكوسة، ليس معتقداً خاصاً باليونان فقط، بل معتقد عام للقدماء، في ما نرى. وهو في ما يبدو لنا على علاقة بأسطورة سقوط آدم من الجنة في ما يبدو لي. فحين كان آدم في الجنة، أي أيام كان نبتاً سماوياً، كان رأسه إلى الأسفل، ورجلاه إلى الأعلى. وحين سقط على الأرض، سقط منكوساً مقلوباً، أي أن وجوده الأرضي يعاكس وجوده السماوي.

ونحن نعلم أن الأطفال يسقطون من أرحام أمهاتهم عكس الوضع الذي يأخذه الإنسان على الأرض. إذ تسقط رؤوسهم على الأرض أولاً، ثم تسقط أرجلهم بعد ذلك. أي أنهم يكونون مثل وضع الإنسان في الجنة- السماء قبل سقوطه على الأرض. بذا، فالطفل يكون ما زال نبتاً سماوياً حين يسقط من رحم أمه. أي يكون شجرة سماوية غير منكوسة. وإذا حدث أثناء الولادة أن برزت رجلا الطفل قبل رأسه، فهذا هو الوضع الخطأ طبياً ودينياً. فالإنسان يجب أن يسقط من رحم أمه على رأسه. من أجل هذا، يُسأل المرء عن «مسقط رأسه» لا «مسقط رجليه». رحم الأم هنا تمثيل للسماء. فالإنسان يكون في رحم أمه كما كان في السماء: شجرة معتدلة، أي يقف على رأسه.

غير أنه يعدل من هذا الوضع لاحقاً، ويصير شجرة منكوسة، أي مقلوبة. فبعد عام أو عام ونصف من عمره، يقلب نفسه، ويسير على قدميه، أي يتخلى عن صورته السماوية، وينكس نفسه آخذاً صورة شجرة أرضية لا شجرة سماوية.

بالتالي، فالسقوط من رحم الأم ليس مشابهاً لسقوط آدم من الجنة، أي ليست انتكاسة. السقوط التالي، أي السقوط في الحياة، والمشي على صعيدها، هو السقوط الفعلي للإنسان. الميلاد هو استمرار للوجود السماوي. أما المشي على صعيد الأرض، فهو النكوس والانتكاس.

بناء على هذا، فنكسة الإنسان في وجوده الأرضي أعمق من أن تداوى. وهو ملزم إذا أراد أن يتجاوزها أن يسير على رأسه، أي أن يعود إلى ماضيه السماوي. فوجوده على الأرض هو خيانة لأصله السماوي. وبهذا يكون الموت هو اعتدال الإنسان بالمعنى الوجودي وبالمعنى الديني. فهو عند موته يعود إلى السماء، أي إلى أصله، ويتوقف عن أن يكون شجرة منكوسة. الحياة، دينياً، نكسة. وكي تخرج من نكستها، وتعتدل، عليها أن تحن إلى الموت.

وإذا كان الأمر كذلك، فغربة الإنسان أعمق من أن تداوى. فهو ملزم إذا أراد أن يتجاوزها أن يسير على رأسه من جديد، أي أن يعود إلى صورته الأرضية يوم مولده. مشيه على الأرض هو خطؤه. وحياته على الأرض غربة. ولا يحصل الخروج من هذه الغربة إلا بالموت. فالموت يأخذ الإنسان إلى السماء، إلى أهله، وإلى أرضه الأصلية.

الإنسان إذن وجود مزدوج يتمثل بشجرتين لا شجرة واحدة: شجرة سماوية طيبة، وشجرة أرضية خبيثة: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ»(سورة إبراهيم: 24-26). الشجرة الخبيثة الأرضية «ما لها من قرار». القرار للشجرة السماوية.

ولعل هذا هو جذر حلم الإنسان بالذهاب إلى الكواكب الأخرى، وجذر تلويث الأرض وتخريبها من قبل الإنسان.

الإنسان غريب يعيش في المنفى. الأرض أرض هجرته وغربته. ولحظة موته هي لحظة عودته من الغربة.

* شاعر وباحث فلسطيني

Samedi 5 Novembre 2022 no41
السبت 5 تشرين الثاني 2022 العدد 41

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

حقّ العودة يوازي حقّ اللجوء

3-2

(أ ف ب)

المساعد القضائي «بدّو مين يساعدو»
4

8 سنوات على رحيل راهب العدلية
5

بحث وتحرّ... سيبراني
6 - 7

حذار الإهمال الجنائي في زمن الكوليرا

أونلاين

في العمق

بعض اللبنانيين سيلاقون إلى إبداء الراي في كل قضية تُطرح على الساحة اللبنانية، حيث تسري كالنار في الهشيم عبارات ومصطلحات تصبح «ترند»، من دون ادنى معرفة لمروّجيها بمعناها ومدى مشروعية استخدامها في الواقعة المعروضة، سواء من الناحية القانونية او الحقوقية او السياسية وحتى الإنسانية. يتصدّى اللبناني «الحربوق» للموقف وعكسه في الوقت نفسه، فيحقّل ملف اللجوء السوري، مثلاً، اسباب ازماته الاقتصادية والامنية والسياسية والصحية، ويقف في الوقت نفسه مدافعاً شرساً عن حقوق اللاجئين ويرفض «عودتهم الطوعية إلى بلادهم» باعتباره إبعاداً قسرياً مبطناً يشكل تهديداً لسلامتهم. هل يعرف اللبنانيون ما هو القانون الذي يرعى وينظّم اوضاع اللاجئين؟ وهل لبنان ملتزم بالقوانين التي ترعى هذه الاوضاع؟ وهل يُعدّ مصطلح «الإعادة الطوعية» انتهاكاً لحقوق اللاجئين ام انه إجراء قانوني يرعاه القانون الدولي نفسه؟ وهل تختلف المفاعيل القانونية بين صفتي اللجوء والنزوح؟

بين حقّ العودة وحقّ اللجوء

■ فداء عبد الفتاح

لبنان ليس دولة لجوء لعدم توقيعه على الاتفاقية الخاصة باوضاع اللاجئين الصادرة عام 1951. لكنه، رغم ذلك، استقبل لاجئين على ارضه في اكثر من محطة باعتباره ممراً لطلب اللجوء في بلد ثالث. علماً أن الحركة الطبيعية في حالات اللجوء الإنساني، بخاصة خلال الحروب والأحداث الأمنية، تبدأ في اتجاه الدول المجاورة.

عام 2011، مع بدء الأزمة السورية ونتيجة للتحولات السياسية التي كانت تجري في لبنان والمنطقة، انتهج لبنان نهجاً مغايراً لأحداث العراق نتيجة تبدّل الموقف السياسي للفريق الذي قرّر اللعب بالورقة السورية للضغط على خصومه السياسيين. ففُتحت حدود لبنان البرية شمالاً، وانقلب المشهد الذي وَدّع فيه اللبنانيون إخوانهم السوريين عام 2005 بإجراق خيمهم والتنكيل بعدد كبير منهم وتحميلهم مسؤولية اغتيال الرئيس رفيق الحريري والاغتيالات التي حصلت بعده. (نشرت منظمة العفو الدولية في حينه تقريراً بعنوان «أوقفوا الاعتداءات على العمال السوريين وقدّموا الجناة إلى العدالة»).

بدا لاحقاً أن المحرّض انقلب إلى مدافع عن اللجوء السوري وتم تأمين مراكز الإيواء وكلّ المستلزمات اللوجستية، وأُسّست عشرات الجمعيات الخيرية التي تلقّت التمويل لتنفيذ مشاريع خاصة باللاجئين، وصُرفت خلال عشر سنوات مليارات الدولارات على المنظمات والهيئات والجمعيات التي تعمل تحت هذا العنوان. واتُهمت مصارف لبنانية بابتلاع حوالي 250 مليون دولار من المساعدات المخصّصة للاجئين من خلال تقرير أجرته طوموسون رويترز.

وسخّر المجتمع الدولي إمكانات وقدرات لدعم اللجوء السوري وخاصة إلى دول الجوار السوري، تركيا ولبنان والأردن. فقُدّمت مساعدات مالية وعينية إضافة إلى تخصيص ميزانية كاملة للتعليم. هذا الواقع استفادت منه الدولة اللبنانية ليس فقط على الصعيد السياسي، بل على الصعيد الاقتصادي أيضاً، إذ إن لبنان كان جاذباً أيضاً لرؤوس الأموال السورية التي سارعت إلى نقل أعمالها وأموالها من المصارف السورية إلى المصارف اللبنانية.

وهكذا دخلت ملايين الدولارات إلى لبنان مع بدء الأزمة السورية. مع تدحرج كرة النار إلى ملعب من فتح النار على سوريا، ومع بدء تغيّر المشهد السياسي محلياً ودولياً وإقليمياً، والخسارات المتتالية للفريق السياسي الذي راهن على الورقة السورية للضغط على خصومه، بدأ تغيّر المزاج السياسي العام في مقاربة ملف اللاجئين السوريين في لبنان، وطفت إلى الواجهة ممارسات أقل ما يقال فيها إنها «عنصرية» بحق هؤلاء. فخلال أزمة «كورونا»، مثلاً، حظرت بلديات عدة تجوّل السوريين بعد الساعة السادسة مساءً، وبعد حراك 17 تشرين وبدء تدهور الوضع الاقتصادي، حُمّل السوريون الكثير من أسباب هذا الانهيار ووصلت إلى حد اتهامهم بأنهم يتسبّبون بفقدان الخبز من الأسواق. ولم يكن الارتفاع الجنوني للدولار سوى الفتيل الذي أشعل غضباً لن ينطفئ في وجه من يتقاضى مخصّصات بالدولار وقُدّم له كلّ الحاجات الأساسية من طبابة وتعليم ومواد غذائية ومحروقات للتدفئة، فيما يرزح المضيف اللبناني تحت أعباء لا قدرة له على احتمالها.

ما الفرق بين اللجوء والنزوح؟

اللجوء: هو لجوء إنسان إلى بلد آخر غير البلد الذي يعيش فيه هرباً من الحرب أو الاضطهاد، ولا يحق للبلد الذي لجأ إليه أن يعيده إلى دولته ما دامت حياته مهدّدة بالخطر.

النزوح: هو لجوء أبناء الدولة من منطقة إلى منطقة أخرى ضمن الدولة نفسها نتيجة إشكالات أمنية أو عوامل طبيعية.

العودة الطوعية قانونية ام قسرية مبطنة؟

لبنان ليس دولة لجوء لعدم توقيعه على الاتفاقية الخاصة بشؤون اللاجئين التي أقرّتها الهيئة العامة للأمم المتحدة عام 1951، ولكنه ملتزم بتطبيق معايير القانون الدولي لجهة الاتفاقيات الملتزم بها، ولا سيما اتفاقية مناهضة التعذيب التي صادق عليها لبنان عام 2000، وتقضي بعدم ترحيل أي شخص إلى دولة قد تكون حياته فيها مهددة بالخطر، وهذا الأمر يتم التحقق منه من خلال وضع طالب اللجوء نفسه ووضع دولته.

> عودة الآلاف من السوريين طوعية نتيجة توقف المساعدات المالية الدولية التي كانت مرصودة لعدم عودتهم

في الملف السوري، انتفت أسباب وجود اللاجئين السوريين في لبنان خصوصاً منهم سكان المناطق التي عادت إلى كنف الدولة ولم يعد يوجد أي خطر أمني فيها. كما أن عدداً كبيراً من اللاجئين السوريين يزورون بلادهم باستمرار، سواء عبر المعابر الشرعية أو عبر معابر التهريب. وفي هذه الحال، فإن كل لاجئ يدخل إلى بلاده بشكل طوعي، تسقط عنه صفة اللاجئ لانتفاء السبب.

كما تبيّن أن ما رُدّدته بعض وسائل الإعلام عن توقيف السلطات السورية عدداً من اللاجئين أثناء عودتهم الطوعية كان لأشخاص توجد في حقهم ملاحقات قضائية لأسباب جنائية لا علاقة لها بأي شأن سياسي.

وفي حال أجبرت الدولة اللبنانية أي لاجئ على العودة القسرية رغم رفضه هذه العودة لأسباب أمنية أو سياسية، فإنها تكون بذلك قد خالفت الاتفاقية الدولية لمناهضة التعذيب التي وقّعت عليها. وسنداً إلى القانون، على الدولة اللبنانية موجب تسهيل اللجوء إلى دولة ثالثة بالتنسيق مع المفوضية السامية لشؤون اللاجئين. ولا بد من الإشارة إلى أن عدداً من المسجّلين كلاجئين لدى مكتب الأمم المتحدة هم في الواقع سوريون كانوا مقيمين في لبنان قبل عام 2011، وبينهم عائلات تقيم في لبنان منذ ثمانينيات القرن الماضي. إلا أن إجراءات الأمن العام اللبناني التي تبدّلت أكثر من مرة في السنوات الأخيرة، وخضوع لبنان لـ «قانون قيصر»، وإقفال الحدود السورية بشكل كامل بين البلدين، إضافة إلى تعقيد إجراءات الإقامة التي كانت متّبعة ورفع قيمة الرسوم، دفعت عدداً منهم إلى التخلّي عن هذه الإقامات وتنظيم ملفات لدى مكاتب الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين للاستفادة من تقديماتها من جهة، وللحماية من ممارسات سلبية ضد العمالة السورية من جهة أخرى. كل هذه الأسباب جعلت من اللجوء السوري في لبنان قضية شائكة لا ينطبق عليها تعريف أو تصنيف واحد، وعودة الآلاف من السوريين هي عودة طوعية نتيجة توقف المساعدات المالية الدولية التي كانت مرصودة لعدم عودتهم، ولوضع لبنان المنهار الذي لم يعد قادراً على تحمّل أي أعباء إضافية. لذا لم يعد أمام عدد كبير من اللاجئين السوريين سوى العودة إلى بلادهم، خصوصاً أولئك الذين لم تُقبل طلبات لجوئهم إلى أوروبا أو أميركا أو أي مكان غير لبنان. المتفق عليه، لبنانياً ودولياً، أن علاج هذا الملف بات ضرورياً جداً، وأنه لم يعد مجدياً استخدام مئات الآلاف من البشر كـ لعبة سياسية كبرى انقلبت نتائجها كارثية ليس على سوريا وحسب، إنما على كل من شارك وساهم وسهّل وتواطأ في قلب المنطقة رأساً على عقب، ودائماً ينال لبنان حصة الأسد من لعب الكبار على ارضه. لبنان المغيّب عن خريطة الدول تنظيمياً، بإرادة المسؤولين عنه، وغير القادر على حل مشاكله الداخلية البسيطة، كيف سيتمكن من استقبال آلاف اللاجئين سواء اعتبرهم «لاجئين» أم «نازحين»، إذ في كلا الحالين، على الدولة اللبنانية تأمين البنية التحتية لاستيعاب احتياجاتهم، وهذا أمر لم يعد بمقدور الدولة تحمّله. وحال اللاجئين الفلسطينيين نموذج صارخ عمره 72 عاماً من الحرمان من ابسط الحقوق المدنية لسكان مخيمات البؤس (راجع تقريراً نُشر في «القوس» عن اوضاع المخيمات).

خلفية سجن اللاجئين تعسفاً

المادة 6 من قانون 1962: «لا يجوز لغير اللبناني الدخول إلى لبنان إلا عن طريق مراكز الأمن العام، وشرط أن يكون مزوّداً بالوثائق والسمات القانونية، وأن يكون حاملاً وثيقة سفر موسومة بسمة مرور أو بسمة إقامة من ممثل لبنان في الخارج أو من المرجع المكلّف رعاية مصالح اللبنانيين أو من الأمن العام...». يعاقب القانون بالحبس من شهر إلى ثلاث سنوات، وبالغرامة من مئة إلى خمسمئة ليرة (عُدلت قيمة الغرامة) وبالإخراج من لبنان كل أجنبي يدخل الأراضي اللبنانية دون التقيّد بأحكام المادة السادسة السابق ذكرُها. كما يعاقب القانون كل أجنبي يدلي بتصريح كاذب بقصد إخفاء حقيقة هويته أو يستعمل وثائق هوية مزوّرة. «ولا يجوز الحكم بوقف التنفيذ كما لا يجوز أن تقل العقوبة في مطلق الأحوال عن شهر حبس». سنداً إلى هذا القانون، يتم توقيف أي أجنبي يدخل بطريقة غير شرعية إلى الأراضي اللبنانية. بعد تنفيذ عقوبة الحبس يصبح الموقوف في عهدة جهاز الأمن العام اللبناني الذي من المفترض به، سنداً إلى القانون، أن يعيده إلى دولته التي جاء منها، وقد جاء نص المادة 32 واضحاً لجهة تحديد عقوبة الحبس والإخراج من لبنان، وأنه لا إمكانية لوقف تنفيذ هذه العقوبة بعد أن يصبح الحكم مبرماً. لكن، نتيجة التزام لبنان بالاتفاقيات الدولية وخاصة اتفاقية مناهضة التعذيب التي صادق عليها عام 2000، والتي تمنع الإعادة القسرية لأي شخص إلى دولة قد تتعرض حياته فيها للخطر، يعود للأمن العام وفقاً لصلاحياته في ما يتعلق بالموقوفين الأجانب القيام بإجراءات ترحيلهم بعد ارتكابهم جرماً جزائياً، تمديد مدة الاحتجاز الذي يصبح بعد انتهاء مدة العقوبة القضائية احتجازاً إدارياً، الأمر الذي يجعل الاحتجاز تعسفياً ومخالفاً للقانون.

لا أرقام دقيقة

لم يعتمد لبنان منذ تأسيسه نظام الإحصاء أو الدراسات الميدانية لمعرفة الواقع الذي يجب العمل عليه في كل المجالات بعيداً عن التكهنات. فإنّ آخر إحصاء رسمي أجرته الدولة اللبنانية لسكانها كان عام 1932 رغم مرور لبنان بمحطات عديدة من الحروب والكوارث التي خلّفت تغييرات ديموغرافية كبيرة فيه. هذا الواقع انسحب على أوضاع اللاجئين الذين توافدوا إلى لبنان منذ نكبة فلسطين عام 1948 وصولاً إلى دخول السوريين بعد عام 2011 وضياع تصنيفهم بين لاجئين ونازحين.

- الإحصاء الرسمي الوحيد الذي أجرته الدولة اللبنانية كان إحصاء عام 1932
- لا أرقام دقيقة ولا إحصاءات تحدّد عدد اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، وبعد أن طُرحت أرقام كبيرة وصلت إلى أكثر من 479000 مسجلين لدى الأونروا، أشار إحصاء أُجري عام 2017 إلى أن العدد هو 174000 لاجئ. ويذكر موقع اليونيسف أن العدد المقيم في لبنان حالياً مع اللاجئين الفلسطينيين من سوريا هو 192000.
- الأرقام التي ذُكرت عن أعداد اللاجئين السوريين في لبنان غير دقيقة، إذ إن عدداً كبيراً ممن تسجّلوا كلاجئين ليسوا كذلك، ومنهم مسلحون هاربون من التنظيمات التي كانت تقاتل في سوريا، كما أن قسماً كبيراً منهم كانوا يعيشون في لبنان قبل أحداث عام 2011، ونتيجة تعقيدات معاملات تجديد إقاماتهم تخلّوا عنها وتسجّلوا كلاجئين.

في المقابل فإن عدداً من السوريين الذين دخلوا إلى لبنان خلال الحرب السورية رفضوا تسجيل أسمائهم ضمن هيئة الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين ورفضوا تلقي أي مساعدات. وبالتالي، كل ما ورد من أرقام عن عدد اللاجئين غير دقيق.

(هيثم الموسوي)

(أ ف ب)

72 سنة على اللجوء الفلسطيني

بدأ تاريخ لبنان مع ملف اللجوء الفلسطيني منذ ما قبل عام 1948 مع تصاعد التهجير الفلسطيني من قبل الاحتلال الصهيوني. وقد دخل إلى لبنان الآلاف براً، غالبيتهم من سكان شمال فلسطين. ويعيش في لبنان حالياً حوالي 192000 لاجئ فلسطيني مسجلين بحسب موقع منظمة اليونيسف (174,422 لاجئاً فلسطينياً في لبنان و7,706 لاجئين فلسطينيين من سوريا) موزعين على 12 مخيماً في كل المحافظات اللبنانية. رغم مرور أكثر من 72 عاماً على بدء اللجوء الفلسطيني في لبنان، والذي لا يمكن مقارنته بأيّ من حالات اللجوء الأخرى لخصوصية القضية الفلسطينية وارتباطها بحق العودة وإنهاء الاحتلال الصهيوني، إلا أننا نطرحها من زاوية الحقوق التي يتمتع بها كل لاجئ: فرغم ولادة جيل كامل تعلّم وعمل وعاش في لبنان ولم يسعَ للخروج إلى أي دولة أخرى ولا يزال ينتظر العودة إلى فلسطين، لم ينل اللاجئ الفلسطيني أي حق من الحقوق المدنية وفقاً للقوانين والاتفاقيات الدولية. وبدلاً من تحسين أوضاعه المعيشية وخصوصاً أن الفلسطينيين يعانون من الإقصاء المجتمعي بشكل كبير ولافت، جُرد من بعض الامتيازات التي كان يتمتع بها كحق التملك وحق العمل في عدد من المهن. ولا تزال قضية اللجوء الفلسطيني قائمة لأنها تختلف عن كل القضايا ولا حل لها إلا بتكريس حق العودة إلى فلسطين المحررة.

(الرشيف)

انتهاكات بحق اللاجئين العراقيين

بعد غزو العراق عام 2003، نال لبنان الحصة الأصغر من اللجوء العراقي (50 ألف لاجئ) مقارنة بسوريا (مليون ونصف مليون) والأردن (750 ألفاً). ورغم العدد الصغير نسبياً للاجئين العراقيين، رأى بعض اللبنانيين أن هؤلاء يشكلون عبئاً كبيراً، فجرى التضييق عليهم، وعُدّ وجودهم على الأراضي اللبنانية غير شرعي، واعتقلت الأجهزة الأمنية اللبنانية المئات منهم من خلال تطبيق قانون تنظيم دخول وخروج وإقامة الأجانب الصادر عام 1962 باعتبار دخولهم غير شرعي، ولم يتم اعتبارهم لاجئين. وقد وثّق عدد من الجمعيات آنذاك انتهاكات بحق العراقيين، ونُشر تقرير وُجّهت من خلاله رسالة إلى الرؤساء الثلاثة لوضع حد لتلك الانتهاكات (نُشر في 29 تشرين الثاني 2010 على موقع الكرامة).

تحت القوس

التوازن المطلوب

■ د. كامل مهنا

تكثر المطالبة في لبنان بعودة النازحين السوريين إلى ديارهم، من جهة، والانصياع لرغبة الغرب في تأجيل هذه العودة، من جهة أخرى. وكلا الطرفين لديه حججه أو أهدافه السياسية، من دون النظر إلى الناحية الإنسانية لشريحة واسعة من السوريين الذين ضاقت بهم السبل، فوجدوا لبنان ملاذاً قريباً متاحاً لهم، ونزحوا إليه على مراحل، حتى بلغ عددهم مليونين و80 ألف نازح، بحسب ما أعلن المدير العام للأمن العام، اللواء عباس إبراهيم، الأسبوع الماضي، مع بدء انطلاق مرحلة جديدة من رحلات العودة.

لا أظن أن عاقلاً لا يقتنع بتراجع قدرة اللبنانيين على تحمل أعباء إيواء هذا العدد من النازحين، في ظل ما يعانونه من حالة كارثية، ومحنة حقيقية تعصف بكافة جوانب الحياة، وتهدد بانفجار اجتماعي عنيف، بسبب استشراء الفقر والبطالة، وانعدام الخدمات الحكومية الضرورية، والانهيار الاقتصادي الذي أفقر الدولة، وأضعف قدرتها على دعم الرغيف والمواد الغذائية والمحروقات وسواها، وأفقر الطبقة الوسطى، وجعل نسبة الفقر المتعدد الأبعاد في لبنان تصل إلى 82% من السكان (بحسب الإسكوا). لذا كثيراً ما دعونا وندعو المنظمات الإنسانية في العالم إلى التضامن معنا، والمساهمة في التخفيف من وطأة ما يتعرض له لبنان من إفقار، وهدم للبنى الاجتماعية والقيم الأخلاقية.

> واجبنا البحث عن حلول لا تنفجر في وجه اولئك المغلوب على امرهم بك علينا الوقوف ضد ثقافة مخاصمة الغريب

كما لا يمكننا القفز فوق الحالة الإنسانية البائسة التي يعيشها النازح السوري في مخيمات النزوح، في ظل غياب مقومات الحياة الأساسية، والنظر بعين واحدة إلى الأزمة، ضاربين عرض الحائط ما يعانيه السوري الذي تهدم بيته وقُتلَ الحرب أفراداً من عائلته، ويعيش حالة قلق دائم على عائلته ومصيره. إنما واجبنا النظر إلى الموضوع من ناحية إنسانية، والبحث عن حلول لا تنفجر في وجوه أولئك المغلوب على أمرهم، بل علينا الوقوف ضد الثقافة السلبية التي يعتمدها البعض تحت عنوان مخاصمة «الغريب»، وهي نظرة تعبّر بوضوح عن العنصرية. وتكفي مراقبة الكم الهائل من ترددات هذه النظرة في وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، وفي سلوك اللبنانيين في حياتهم اليومية. إضافة إلى أن مبالغة البعض في إظهار نوع من الفوبيا من انتشار العدد الكبير من نازحي سوريا في المناطق اللبنانية.

يترافق هذا الموقف، على المستوى الدولي، مع ممارسات سيئة في الغرب تجاه اللاجئين، ورفض واضح لتطبيق اتفاقية جنيف الرابعة، وإقفال الحدود، وتوسع دور الأحزاب اليمينية العنصرية المتطرفة، وطرد اللاجئين عند حدود الدول الغربية. غير آبهين بموت العديد منهم غرقاً في البحار والمحيطات والعواصف الجليدية. في وقت يستقبلون بكل رحابة اللاجئين القادمين من أوكرانيا، ذوي العيون الزرق والبشرة البيضاء.

لسنا ضد استقبال الأوكرانيين والاهتمام بهم وبسواهم من بعض المناطق المتوترة في الغرب، لكننا ضد ازدواجية المعايير في التعاطي بتمييز صارخ بين مهجّر من الغرب وآخر من الشرق. لأن في ذلك عين السلوك العنصري الذي تقاومه في كل المؤتمرات الدولية التي نحضرها.

إن مشكلة النازحين واللاجئين التي تخضّ العالم اليوم، بلغت حدوداً خطرة، كونها تزداد اتساعاً، ويتضخم عدد ضحاياها سنة بعد سنة، ما دام العالم يعيش انفجارات لا تهدأ، وحروباً لا تخمد نارها. إذ تخطى عدد الأشخاص الفارين من الحروب والعنف والاضطهاد وانتهاكات حقوق الإنسان مئة مليون شخص، وتلك أعلى نسبة يبلغها العالم، خصوصاً بعد تدفق اللاجئين جرّاء الحرب الروسية - الأوكرانية، ونتيجة استمرار الصراعات والحروب التي تقتلع السكان من أوطانهم وترميهم في أصقاع العالم.

مع ذلك، ما زالت الأزمة السورية أكبر أزمة لجوء في العالم، بواقع 8 ملايين لاجئ سوري خارج بلادهم ينتشرون في أكثر من 127 دولة، إضافة إلى 6,7 مليون نازح داخل حدود البلاد. وما زالت المنطقة العربية تشهد حروباً متنقلة، من العراق إلى ليبيا واليمن وفلسطين والسودان ولبنان، وسوى ذلك من بؤر الصراع التي «يهديها» الغرب لبلادنا، ويحرّكها، ويسلحها ويخطط لها، وعندما يلجأ إليه الهاربون من النيران التي أضرمها يستقبل منهم القليل ويطرد الجزء الأكبر بقسوة وعنف، غير مكترث بحياتهم كبشر، ولا بحقوقهم وكرامتهم الإنسانية.

في العمق

المساعد القضائي «بدّو مين يساعدو»

أدى اعتكاف القضاة منذ حوالى ثلاثة أشهر الى تكدّس الملفات وارتفاع عددها. لاحقاً، لن يتسنى للقضاة تجهيزها بمفردهم. وتعيين موعد لكل جلسات المحاكمة وتسجيلها في الدفاتر وتنظيم أوراق الدعوى وإبلاغ فرقائها وإرسال الاحكام الى الجهة المختصة وتنظيم ملخص للحكم لإرساله للتنفيذ. السؤال: كيف للقاضي وحده ان يتولى كل هذه الالتزامات التي تشكل اهمية كبيرة في إطار المحاكمة والعمل القضائي؟ إذ انّ هذه المهمات تعود للمساعد القضائي وليس للقاضي. معاً يشكلان جسمًا قضائيًا واحدًا لا يمكن تجزئته والتخلي عن احدهم دون الاخر. لا تستثني الازمة الاقتصادية المساعدين القضائيين. فمثلهم مثل سائر الموظفين في القطاع العام تآكلت أجورهم مع ارتفاع سعر صرف الدولار. بات راتب المساعد القضائي لا يكفي لتلبية ابسط حاجاته وحاجات عائلته او حتى للوصول إلى المحاكم بعد ارتفاع كلفة المواصلات. معاناتهم من معاناة القضاة

■ احمد مدلج

قد يكون الكلام حول تراجع القضاة عن قرار اعتكافهم غير دقيق وهو الاعتكاف الذي تسبّب بشلل كامل في قصور العدل والذي أدى ربما إلى تعليق الأعمال القضائية كافة. تقول مراجع قضائية إنه تم الاتفاق على قبول مطالب القضاة كخطوة يظن البعض أنها ستؤدي إلى عودة المياه إلى مجاريها داخل قصور عدل جافة. جافة من المياه، مظلمة لعدم وجود التيار الكهربائي، خالية من الطوابع والأقلام والأوراق ومحابر الطباعة (راجع انفوغراف القوس في العدد رقم 40: قصور العدل في لبنان). ولكن لو افترضنا أنه تمت الموافقة على مطالب القضاة واستقبالهم مجدداً داخل قوس المحكمة التي تخلو من أي مشكلة سواء كانت تتعلق بالصيانة أو النظافة أو نقص في الموارد والمستلزمات. رغم كل تلك الظروف التي يفترض أن تخوّل القاضي الحضور إلى المحاكم للبت والنظر في النزاعات والملفات أمامه، ماذا لو قرر المساعد القضائي الاعتكاف وعدم الحضور إلى وظيفته؟ من دون حضور المساعد القضائي يرجح أن يتوقف العمل من جديد في مرافق العدلية.

من هو المساعد القضائي؟

حدد قانون القضاء العدلي نظام المساعدين القضائيين. وهم رئيس القلم ورئيس الكتبة والكتبة والمباشر والمستكتب في أقلام الدوائر القضائية، ويتم تحديد عددهم وفئاتهم ورواتبهم ضمن مراسيم تتخذ في مجلس الوزراء بناء على اقتراح وزير العدل (المادة 114 من قانون القضاء العدلي).

ويتم اختيارهم بنتيجة مباراة يحدد شروطها وزير العدل (المادة 118 من قانون القضاء العدلي). كما يحدد قانون القضاء العدلي الشروط اللازمة للدخول إلى المباراة، وهي الشهادة المتوسطة للمستكتب والمباشر، شهادة البكالوريا للكاتب ورئيس الكتبة، الإجازة في الحقوق اللبنانية لرئيس القلم. ويعيّن المرشحون الناجحون في المباراة بمرسوم يتخذ بناء على اقتراح وزير العدل (المادة 119).

أما دور المساعد القضائي فهو استلام الدعاوى وتسجيلها وترقيمها ووضعها في ملفات مخصصة لها (المادة 389 و393 من قانون أصول المحاكمات المدنية). كما يساعد الكاتب القاضي في جلسات المحاكمة والتحقيق والمعاينة مع إلزامية تحرير المحضر والتوقيع عليه إلى جانب القاضي تحت طائلة بطلان المحضر والجلسة (المادة 390 من قانون أصول المحاكمات المدنية).

«يساعد الكاتب القاضي في جلسات المحاكمة والتحقيق والمعاينة مع إلزامية تحرير المحضر والتوقيع عليه إلى جانب القاضي تحت طائلة بطلان المحضر والجلسة»

(هيثم الموسوي)

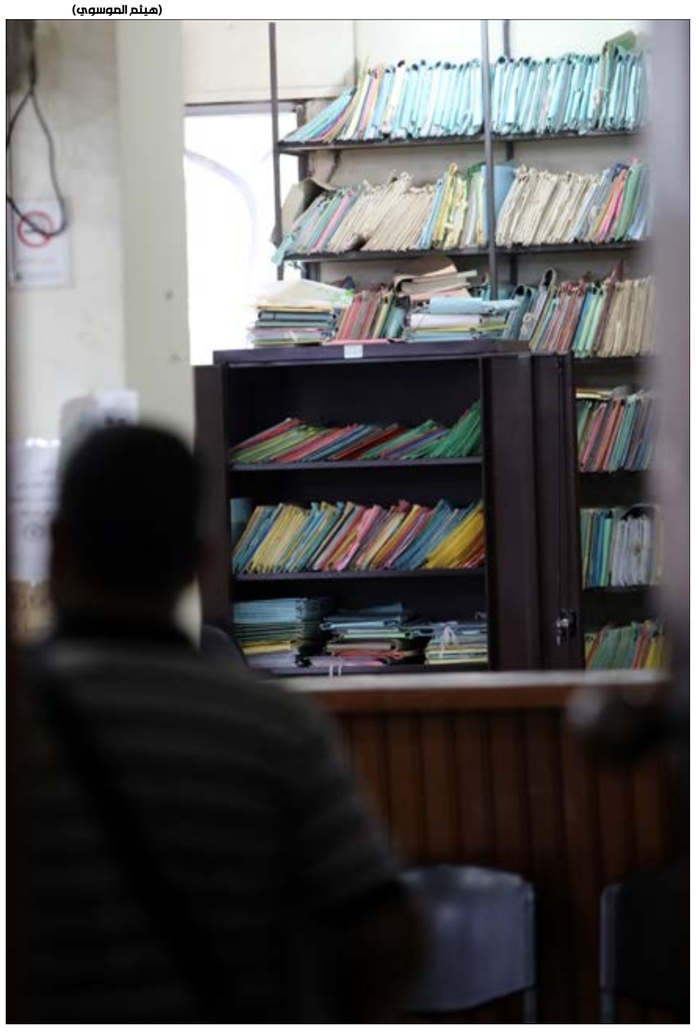

وينظم رئيس القلم جداول شهرية بأعمال المحكمة كافة (المادة 392 من قانون أصول المحاكمات المدنية) وجداول شهرية لحضور القضاة والموظفين من أجل بدل النقل، إضافة إلى جدول سنوي يرسل إلى وزارة العدل والتفتيش القضائي ومجلس القضاء الأعلى. كما يعرض على القاضي الملف ويقوم الكاتب بتسجيل الأحكام والقرارات (المادة 392 من قانون أصول المحاكمات المدنية). يرافق المساعد القضائي القاضي في جلسات المحاكمة وعند صدور قرار القاضي أو الحكم وينظم الفقرات الحكمية اللازمة لإبلاغها للفرقاء، وعند انبرام الحكم ينظم خلاصة له ويرسله للتنفيذ (المادة 394 و398 و399 من قانون أصول المحاكمات المدنية). ومن مهمات المساعد القضائي تقديم طلب إخلاء السبيل للقاضي. فطلب إخلاء السبيل مثله مثل الطلبات والمذكرات التي يتم توريدها في القلم وتضم إلى ملفاته وتعرض على القاضي. يبلغ المدعى عليه بطلب إخلاء السبيل لإبداء رأيه لمهلة مدتها 24 ساعة من قبل القلم. يتم بعدها عرض الملف مع الطلب على القاضي الذي يقرر إحالته الى النيابة العامة لإبداء الرأي في الطلب. كما يقوم القلم بإرسال مذكرة للمدعي لإبلاغه بقرار اخلاء سبيل المدعى عليه وللمدعي مهلة 24 ساعة لاستئناف القرار (المادة 115 و116 من قانون أصول المحاكمات الجزائية).

إنّ أعمال ما قبل المحاكمة وخلالها وما بعدها كثيرة، مما يرجح عدم قدرة القضاة على إنجازها بمفردهم. من هنا يأتي دور المساعد القضائي الذي يوجوده يضمن انعقاد المحاكمة وحسن سيرها وتنفيذ حكمها.

ظروف صعبة ولكن

عند اعتكاف المساعدين القضائيين، فإن أعمال المحاكم يصيبها الشلل بشكل كامل لأن القاضي لا يستطيع عقد جلسة من دون الكاتب، ولا يستطيع إصدار حكم من دون توقيع الكاتب. ففي ظل اعتكاف القضاة، يقوم المساعد القضائي بالأعمال المختلفة التي لا تتطلّب توقيع القاضي أو حضوره. أو في بعض الأحيان يتولى الأعمال التي تحتاج توقيع القاضي مثل خلاصات الأحكام الصادرة سابقاً، فيقوم بتنظيم تلك الأعمال وتحضيرها إلى حين حضور القاضي لتوقيعها. كما يتولى استلام كافة الطلبات والمذكرات المتعلقة بالدعاوى وتنظيم الخلاصات والبيانات العدلية وفقرات الأحكام الغيابية وتبليغات الجلسات وتبادل اللوائح واستلام الاعتراضات واستئنافات الأحكام الصادرة سابقاً وإعطاء إفادات عن الدعاوى وعن تنفيذ الأحكام لمن يطلبها وتأسيس الدعاوى.

بالنسبة لأحد المساعدين القضائيين في قصر عدل بيروت، فإن معاناة المساعد القضائي هي نفسها معاناة موظفي القطاع العام. فهذه الظروف غالباً ما تؤدي إلى إقدام العديد منهم على قبول الرشوة أو عدم تجاوبهم مع المحامين، كما ازداد تقديم الاكراميات والرشاوى من قبل المحامين والمواطنين لأن «أحوالنا بالحضيض. لكن هيدا أكيد مش مبرّر، بس ما بقدر احكم على الكل. الرشوة بتصير أمام كل الدعاوى المدنية والجزائية بحسب الحالة. مدنية إذا كان موضوع الدعوى مالي أو تجاري يلي بكون أفرقائها البنوك وأصحاب أموال والعقارات. جزائية إذا كان موضوع الدعوى تجارة مخدرات وترويج».

يضيف مساعد قضائي آخر في قصر عدل صيدا أن مهامه تقتصر اليوم على طلبات إخلاء السبيل لكي تتمكن المحاكم بالبت فيها نظراً الى الظروف الصعبة التي يعاني منها الموقوفون. فالمسؤولية تقع على الجميع لإنقاذ الجسم القضائي لإعادة ثقة المواطنين والأهم مراعاة المدعين والمدعى عليهم وحقوقهم.

«لا مجال لخداع انفسنا بإمكان التوصل إلى قضاء مثالي في محيط سياسي واجتماعي موبوء بالاصطفافات الاجتماعية والسياسية الحادة حيث الغلبة للقوي أو المستقوي»

الرشوة ما قبل الأزمة

للمساعد القضائي أهمية كبيرة بما يشكله كصلة وصل بين أفرقاء الدعوى والمحامين من جهة والقضاة من جهة أخرى. ابتداءً من تعيين موعد الجلسات حتى انتهائها. سلطة المساعد القضائي المعطاة له بموجب القانون تساهم في حسن سير المحاكمة وإحقاق الحق. لكن هذه السلطة ربما تشكل أيضاً خطراً على مبدأ العدالة. تعود الرشوة إلى ما قبل الأوضاع الاقتصادية التي نشهدها اليوم. فإقدام المساعد القضائي على قبول الرشوة ليست ظاهرة جديدة. بادئ ذي بدء لم يستثنِ قانون العقوبات اللبناني قبول الهدية والاكرامية من جريمة الرشوة. يعاقب قانون العقوبات كل موظف قبِلَ لنفسه او لغيره هدية او وعداً أو أي منفعة أخرى ليعمل عملاً منافياً لوظيفته (المادة 352 من قانون العقوبات اللبناني). كما يعاقب كل موظف قبِلَ بأجر غير واجب عن عمل قد سبق اجراؤه من أعمال وظيفته او مهمته (المادة 356 من قانون العقوبات اللبناني). غالباً ما كان المساعد القضائي يقدم على قبول رشوة بحسب أحد المحامين الذي رفض ذكر اسمه مقابل تصوير ملف أو إحدى الأوراق التابعة للملف أو لتغيير موعد الجلسة وتعيين موعد في أقرب وقت ممكن. وأوضح أن هناك ما هو أخطر من ذلك، كإخفاء ملف بأكمله أو تعمد إضاعته وإخفاء تبليغ أحد فرقاء الدعوى وتأجيل موعد الجلسة مما قد يؤثر على مصير الدعوى. «الرشوة كانت من أساسيات التعامل مع موظفي قصور العدل» يضيف المحامي.

الظروف الصعبة التي يعيشها المساعد اليوم لا يمكن عدّها كدافع لقبول الرشوة. طبعاً قبولها لا يقتصر على سائر المساعدين القضائيين بل على جميع الموظفين العامين بالإضافة إلى موظفي القطاع الخاص. فالفساد لا يتعلق بفئة محددة دون أخرى. ربما الرواتب الهزيلة هي ذريعة المساعد القضائي لقبول الرشوة. وللحد من تلك الظاهرة قد يكون من المفيد إما زيادة رواتب الموظفين أو إنشاء صندوق للمعاملات المستعجلة الخاصة للمساعد القضائي. أي بمعنى آخر «قوننة» الرشوة. فعند تقديم طلب لإجراءات مستعجلة وللتسريع بإجراءات الملف وتحديد موعد أقرب لجلسة المحاكمة من قبل المحامي أو أفرقاء الدعوى يتم دفع رسم لصندوق المساعدين القضائيين لتوزيع ما جمع من أموال سنوياً كمدخول إضافي للموظفين.

ذكرى

8 سنوات على رحيل القاضي فيليب خير الله

راهب العدلية

قبل أيّام، مرّت الذكرى السنوية الثامنة لرحيل علَم من اعلام القضاء في لبنان، القاضي فيليب خير الله (1928 - 2014). قبل عام من رحيله، أثر خير الله تقديم شهادة حياة أمام الملأ، في كتاب سمّاه «نحكم باسم الشعب اللبناني». خطّ فيه نضاله الحثيث لتعزيز السلطة القضائية، زاهداً بإغراءات المناصب، شغوفاً بإحقاق الحق، مقدّماً اقتراحات ووصايا لم تكن مادّة للكتاب فحسب، بل عناوين لمدرسة قضائية وإنسانية عريقة.

■ بشرى زهوة

«في القضاء الرسمي، نحكم باسم الشعب اللبناني على ما يفرضه الدستور والقانون. فمنذ البدء تحسّست متانة الرابط بيني، كقاضٍ، وبين الشعب الذي أستمدّ سلطتي منه وأحكم باسمه. لذلك حرصت على أن أكسب ثقة الناس بي، فاستوحي منهم ما يستسيغونه لدى القاضي قاتبعه، وما لا يستسيغونه أبتعد عنه. وهذا ما التزمت به طوال سيرتي القضائية في أي موقع حللت فيه».

من هنا، وفي مقدمة الكتاب، يشير القاضي فيليب خير الله إلى سبب اختيار اسم كتابه أو سيرته الذاتية «نحكم باسم الشعب اللبناني: شهادة حياة» (دار صادر، 2013). الكتاب من الحجم الوسط ويقع في 508 صفحات. ويتألف من عشرة فصول، مقسّمة إلى ثلاثة أبواب: أوّلها نشأة خير الله وتدوينه لظروف عاشها في ثلاثينيات القرن العشرين إلى حين تبوّئه رئاسة مجلس القضاء الأعلى والمجلس العدلي. ثانيها عمله في القضاء والمحاكمات السياسية التي ترأس فيها المجلس العدلي، وأهم محطات رئاسته. وثالثها باب الملاحق التي تحوي الصور والوثائق، حيث يعرض فيها: كلماته التوجيهيّة وكلماته في مناسبات مختلفة، بعض ما قيل ونُشر عنه، صور عائلية، قضائية، وصور مختلفة من مناسبات كان قد حضرها، وأخيرًا الوثائق والمستندات القديمة التي تعود إلى عائلته. كُتب بأسلوب سلس وواضح، ينقل من خلال اللغة المستخدمة صورة خير الله، القاضي الكلاسيكي المحافظ والمتحفّظ، والشديد الحرص على سمعة القضاء، والساعي إلى إحقاق الحق في أحكامه رغم كل الضغوط التي عايشها.

لعلّ أبرز ما سيرد في هذه المراجعة ما يتعلّق بالباب الثاني، إذ يعرض نبذة عن تاريخ القضاء اللبناني في فترة التسعينيات، أي فترة ترؤس خير الله للمجلس العدلي ومجلس القضاء الأعلى (1992 – 1997). كذلك إلقاؤه الضوء على عدة إشكاليات طبعت التاريخ الحديث للقضاء اللبناني، ومنها محاكمات قائد حزب «القوات اللبنانية» سمير جعجع، والأحكام التي أصدرها بحقّ المتهمين في عدة اغتيالات. ولم يغفل في مذكراته هذه عن ذكر التدخلات السياسية التي طالت القضاء واستقلاليته، مستفيضًا في إشكالية تعيين قضاة من بين المحامين من دون إجراء مباراة.

«لا مجال لخداع انفسنا بإمكان التوصل إلى قضاء مثالي في محيط سياسي واجتماعي موبوء بالاصطفافات الاجتماعية والسياسية الحادة، حيث الغلبة للقوي أو المستقوي في غياب أي محاسبة أو مساءلة على المستوى السياسي أو الإداري العام»، ولا سيما «أن هناك بقعًا في لبنان ممنوع على القضاء والأجهزة الأمنية الدخول إليها أو تعقّب أحد فيها. كما أنّ هناك أشخاصاً ممنوع البحث عنهم أو التعرض لهم أو القبض عليهم حتى لو كان ذلك ممكنًا، لأنهم ينتمون إلى ما يسمى قوى الأمر الواقع، أو إلى من هم أقوى من الدولة».

لذا يبقى السعي لقيام قضاء مستقل في حدود مقبولة، ويشجّع على ذلك ما تحقّق ويتحقق ولو بجهد كبير وبشقّ النفس. كما «تبقى المراهنة هنا على القضاة أنفسهم وعلى تمسكهم باستقلالهم وعلى يقظة ضمائرهم وعلى ما يوليهم موقعهم كقضاة صالحين من مكانة في وطنهم وبين مواطنيهم».

مقاومة الضغط الإعلامي

يذكر خير الله أنّه وجد نفسه أمام تحدّيَين منذ بدء محاكمات جعجع: الأول «يتمثّل بالنية الظاهرة لدى القواتيين بمحاولة عرقلة المحاكمات» (ص.233)، إذ كانوا يعملون على إثارة الإشكالات بشتّى الطرق. والثاني: المحافظة على مهابة القضاء والمجلس العدلي.

وتظهر خشية خير الله على سمعة القضاء في سرده لتفاصيل المحاكمات، وذكره للضغوط السياسية والإعلامية التي رافقت الجلسات والأحكام، ما دفع الكثيرين إلى التشكيك في نزاهة العدالة. وانطلاقًا من هذا، يعترف خير الله بأهمية الدور الذي قام به الإعلام في متابعة المحاكمات وفي الضغط على القضاء وتغيير مساره.

وحول هذا، يذكر كيف كانت مراجع القوات تضغط إعلاميًا للبدء بدعوى تفجير كنيسة سيدة النجاة قبل دعوى اغتيال داني شمعون وعائلته، ذلك «أن ملف الكنيسة لا ينطوي على عناصر جدّية لإدانة سمير جعجع، وكانوا يعتقدون بأنه إذا سقط الاتهام في قضية الكنيسة فسيؤدي إلى سقوط الاتهام في الجرائم الأخرى. إذ لكلّ جريمة ملفّها وظروفها وعناصر الإدانة أو التبرئة فيها» (ص.230) وبناءً على هذا، قرر خير الله، من جهته، السير في الدعويَين في الوقت ذاته، تجنبًا لأيّ سوء فهم أو سوء تقدير من قبل الرأي العام. بحثًا عن القضاء المستقلّ حرص خير الله أو «راهب العدلية» كما كان يطلق عليه زملاؤه القضاة ومن عرفه، على تعزيز نزاهة القضاء واستقلاليته. وفي هذا الإطار شدّد خلال فترة تولّيه رئاسة المجلس على تقييم عمل القضاة في مناصبهم، وعلى أهلية كل قاضٍ متدرّج، من مختلف النواحي، بناءً على ملاحظات رئيس معهد الدروس القضائية ومديره، والقضاة الذين تدرّب معهم خلال تدرّجه «واعتبرنا أن هذه المهمة غاية في الجدية ولا يصح أن تبقى، كما كانت... أنّ من دخل دخل ويصعب إخراجه» (ص.271) ومن هذا المنطلق، وفي تاريخ 1995/8/17، وعلى ضوء ملاحظات من رئيس المعهد ومديره، تمّ صرف اثنين من المتخرّجين.

أكد خير الله أن المسؤولين احترموا قرارات مجلس القضاء الأعلى في ما خص التعيينات والتشكيلات طوال فترة ولايته، لكن هذا لم يمنعه من الاعتراف بتدخّلات أهل السياسة في أعمال القضاء. «هذا لا يعني أن السلطة الإجرائية لم تمارس ضغوطًا على السلطة القضائية في حقبات أخرى، ونعرف ويعرف المتابعون أمثلة عن مثل هذه الضغوط لأغراض سياسية ومنها ما لا يرجع إلى زمن بعيد. لكن السلطة الإجرائية التي تتعدى على استقلال السلطة القضائية في محاولة لتوجيه أحكامها لمصالح سياسية خاصة، إنما تسيء إلى نفسها وإلى السلطة القضائية المفروض أن ترعاها وتحصّنها لتأمين الثقة بها وبأحكامها، وبالتالي الثقة بأن لبنان هو دولة القانون والمؤسسات». (ص. 272)

كذلك أكد خير الله أنّ صلاحيات مجلس القضاء الأعلى، بحد ذاتها، يمكن أن تؤمن استقلالية السلطة القضائية. لكن ذلك يبقى مرهونًا بإرادة السلطة الإجرائية، وبالرغبة لديها في رعاية السلطة القضائية واحترامها وتأمين الوسائل التي تتيح لها ممارسة مهامها باستقلالية تامّة.

أقرّ خير الله بأنه «لا مجال لخداع أنفسنا بإمكان التوصّل إلى قضاء مثالي وكأنه يشكل جزيرة فضلى في محيط سياسي واجتماعي موبوء بالاصطفافات الاجتماعية والسياسية الحادة، حيث الغلبة للقوي أو المستقوي وفي غياب أي محاسبة أو مساءلة على المستوى السياسي أو الإداري العام»، ولا سيما «أن هناك بقعًا في لبنان ممنوع على القضاء والأجهزة الأمنية الدخول إليها أو تعقّب أحد فيها. كما أنّ هناك أشخاصاً ممنوع البحث عنهم أو التعرض لهم أو القبض عليهم حتى لو كان ذلك ممكنًا، لأنهم ينتمون إلى ما يسمى قوى الأمر الواقع، أو إلى من هم أقوى من الدولة».

لذا يبقى السعي لقيام قضاء مستقل في حدود مقبولة، ويشجّع على ذلك ما تحقّق ويتحقق ولو بجهد كبير وبشقّ النفس. كما «تبقى المراهنة هنا على القضاة أنفسهم وعلى تمسكهم باستقلالهم وعلى يقظة ضمائرهم وعلى ما يوليهم موقعهم كقضاة صالحين من مكانة في وطنهم وبين مواطنيهم».

توصيات إلى القضاة

- الانصراف الكلّي للعمل القضائي والتكرّس له والجهوزية العلمية الدائمة.
- التجرّد والشفافية والتواضع والحضور.
- الابتعاد عن مظاهر الترف والثراء وحب الظهور؛ فتصرفات القاضي هي التي ترسم للناس صورته.
- تحاشي المآدب والحفلات الاجتماعية التي لا يكون فيها القضاة إلّا أدوات دعائية لطالبي شهرة أو زعامة أو وسيلة استغلال.
- الابتعاد عن المجالس والهيئات الطائفية والفئوية.
- ثقة الناس هي رأسمال القاضي، هو يكسبها وهو يخسرها بتصرفاته.
- كلمات القاضي ونظراته، وحتى ابتساماته، في مجلسه، محسوبة عليه.

الجريمة المعلوماتيّة

التحقيق الجنائي الإلكتروني لمكافحة التحرّش بالأطفال

بحث وتحرّ... سيبراني

يزيد إنتاج المواد الإباحية المتعلقة بالاطفال بشكل كبير ويتم توزيعها «حسب الطلب»، فيتم تداول صور ومقاطع فيديو توثّق العنف المرتبط باستغلال الاطفال وجرائم الاعتداء الجنسي. علماً أن «الرؤوس الكبيرة» من المجرمين في هذه القضايا، هم صانعو تلك المواد الإباحية والمنتجون والمتعهدون والموزّعون. إلا اننا في ما يأتي نتناول الافراد المستهلكين لتلك المواد، لانهم يشكلون تهديداً خطيراً لسلامة الاطفال النفسية والجسدية، حاضراً ومستقبلاً، إذ إن استغلال الاطفال في المواد الإباحية يلعب دوراً مركزياً في سلوك المتحرّشين بالاطفال، ويساعد في إغواء ضحاياهم، وقد يؤدي إلى جرائم اخرى مثل «السياحة الجنسية»، ولا سيما في لبنان حيث تتوفر البيئة الجنائية لابتزاز الضحايا مع تدهور الاوضاع الاقتصادية وغياب الرقابة والمساءلة. يلعب التحليل السلوكي الرقمي دوراً مهماً خلال التحقيقات في الجرائم المتعلقة بالمواد الإباحية للاطفال، من خلال التوصل الى استنتاجات تقنية دقيقة لتحديد ميول المشتبه به كونه مستهلكاً للمواد الإباحية للاطفال

■ جنان الخطيب، ياسر الموسوي

يعيش سامي مع زوجته وطفليه البالغَين الثالثة والسابعة من العمر. عندما وصل فني كمبيوتر إلى منزله لتركيب اتصال إنترنت عالي السرعة، كان سامي بمفرده مع ابنته الصغرى. لدى فتح الفني متصفّح الويب الخاص بسامي، لاحظ وجود روابط لمواقع إباحية للأطفال في قائمة «المفضلة» على شريط المهام، كما شاهد صوراً إباحية على الصفحة الرئيسية للمتصفّح. ولاحظ وجود شرائط فيديو وكاميرا ويب موصولة بجهاز تسجيل فيديو موجّهة إلى الألعاب وإلى الطفل. عاد الفني في صباح اليوم التالي لإكمال عمله، وأشار إلى أنه تم «تنظيف» كل شيء: تم وضع ألعاب الطفل في صندوق، ولم يعد بالإمكان رؤية أشرطة الفيديو، وتم توجيه كاميرا الويب إلى كرسي مستخدم الكمبيوتر.

يأتي توسع الإنترنت والتكنولوجيا الرقمية المتقدمة بالتوازي مع انفجار سوق المواد الإباحية للأطفال. الصور الإباحية للأطفال متاحة بسهولة من خلال كل تقنيات الإنترنت تقريباً، بما فيها مواقع الشبكات الاجتماعية، ومواقع مشاركة الملفات، ومواقع مشاركة الصور، وأجهزة الألعاب، وحتى تطبيقات الهاتف المحمول.

كما يمكن لمرتكبي جرائم المواد الإباحية الخاصة بالأطفال الاتصال عبر منتديات وشبكات الإنترنت لمشاركة اهتماماتهم ورغباتهم وتجاربهم في الإساءة للأطفال، إضافة إلى بيع الصور ومشاركتها والإتجار بها.

عزّزت هذه المجتمعات عبر الإنترنت التواصل والتعاون بين مرتكبي الجرائم الإباحية للأطفال، وعزّزت علاقة أكبر قائمة على مصلحة جنسية مشتركة للأطفال. ويؤدي ذلك إلى تآكل العار الذي يصاحب هذا السلوك عادةً، فضلاً عن إزالة حساسية المتورطين من الضرر الجسدي والنفسي الذي يلحق بالضحايا من الأطفال. لهذا السبب، تجذب المجتمعات عبر الإنترنت وتشجع أفراداً جدداً للانضمام إليهم في الاستغلال الجنسي للأطفال.

التحقيقات الجنائية الرقمية

تلعب الأدلة الرقمية دوراً مهماً في التحقيقات المتعلقة بالمواد الإباحية للأطفال، ويمكن أن يلعب التحليل السلوكي أو «التنميط» للأدلة الرقمية دوراً حيوياً في هذه التحقيقات. فمن خلال تحليل سجل تصفّح الإنترنت من جهاز كمبيوتر المشتبه به، يمكن تصنيف عناوين الـ URL بين محايد، إباحي للبالغين، إباحي للأطفال، مواقع مواعدة للبالغين، إباحي مثلي الجنس وغيرها، ليصار بعدها الى تحليل الملفات إحصائياً لتحديد اتجاهات تصفح الإنترنت، كتحليل ملف المحفوظات عن طريق زيارة الموقع، وعدد «مرات الدخول» وملفات تعريف الصور وغيرها. كما يميل الخبراء خلال التحقيقات إلى التركيز على الصور أو مقاطع الفيديو غير المشروعة التي تم إرسالها أو تسلّمها أو حيازتها من خلال الأجهزة الرقمية. خلال التحقيقات، يستخدم المحققون الرقميون أدوات وبرمجيات لجمع وفهرسة وتحليل مفضل للأدلة الرقمية مثل EnCase Forensic، X-Ways Forensic، Paraben، Linux DD، وما إلى ذلك.

يتعرض ضحايا الاعتداء الجنسي في مرحلة الطفولة لخطر متزايد للاعتقال بسبب البغاء/ الدعارة كبالغين

كيف يتم جمع الادلة الإباحية المتعلقة بالاطفال؟

أثناء التحقيق في اتهامات بحيازة مواد إباحية للأطفال، يقوم المحقق بـ:

■ البحث عن شبكات مشاركة الملفات عبر الإنترنت

يقوم المحققون بتسجيل الدخول إلى الشبكات بموجب بيانات اعتماد مستخدم حالي تحت اسم وشخصية مزيفة، ويقومون بالبحث في الشبكة عن الملفات المشتركة التي تحتوي على مواد إباحية للأطفال. بمجرد تحديد المحققين من قام بتحميل أو تنزيل المواد غير القانونية، يتتبعون عناوين IP الخاصة بالمستخدمين، وهو عنوان إلكتروني مرتبط تقريباً بموقع مادي من خلال مزوّد الإنترنت.

■ استخدام الأشخاص عبر الإنترنت

تتمثل إحدى الطرق التي يبحث بها المحققون عن منشئي وموزعي ومشاهدي المواد الإباحية للأطفال في إنشاء شخصيات كاذبة عبر الإنترنت، والمشاركة في غرف الدردشة ولوحات المناقشة والإعلانات المبوّبة وغير ذلك من الأمور المتعلقة باستغلال الأطفال في المواد الإباحية. هؤلاء المحققون متطوّرون للغاية في معرفة كيفية ترميز المواد الإباحية للأطفال على الإنترنت، كالكلمات الرئيسية والعبارات التي يجب البحث عنها، والتي قد تبدو بريئة بدرجة كافية، لكنها تشير إلى أن المواد الإباحية للأطفال متاحة، أو أن شخصاً ما يبحث عنها. عندما يحدد محقق أن اسم مستخدم يشير إلى مواد إباحية للأطفال، فسوف يتتبع عنوان IP لاسم المستخدم هذا.

■ استدعاء المعلومات الشخصية للمستخدمين

بمجرد أن يكون لدى الوكالة عنوان IP الخاص بالمستخدم، تستدعي مزوّد الإنترنت للحصول على المعلومات الشخصية المرفقة بعنوان IP.

■ الحصول على أوامر التفتيش والضبط

من خلال أمر تفتيش، يُسمح للمحققين بالبحث في المعلومات المخزّنة على الأجهزة الإلكترونية، من خلال مصادرة الأجهزة مثل الكمبيوتر أو الهاتف أو الجهاز اللوحي، مصادرة بطاقة الذاكرة من الكاميرا والأقراص المضغوطة وأجهزة التخزين، الوصول إلى الحسابات عبر الإنترنت أو ملفات تعريف الوسائط الاجتماعية أو غرف الدردشة أو منصات الإنترنت الأخرى، وتتبّع أي أنشطة أو رسائل عبر الإنترنت على مواقع الإنترنت.

■ التحليلات الجنائية الرقمية

بعد أن يصادر المحققون الممتلكات الشخصية، سيكون لديهم خبراء إلكترونيون يحللون المحتوى الموجود على الأجهزة. يمكن أن يشمل ذلك الملفات الحالية والسجلات وملفات تعريف الارتباط والملفات المحذوفة.

النية الجرمية

يتم استدعاء الخبراء الرقميين لمساعدة النيابة العامة في العثور على أدلة ضد المدعى عليه لإثبات ما إذا كان المتهم يمتلك موادّ إباحية متعلقة بالأطفال أو يروّج لها أو يوزعها. مع ذلك، من المحتمل أيضاً أن يستخدم الدفاع خبيراً في الأدلة الجنائية الرقمية للتحقق مرة أخرى من عمل التحقيق والمساعدة في إثبات أن المدعى عليه بريء.

هناك بعض الخطوات التي يُفترض أن يتخذها الخبير الرقمي خلال البحث في القضايا الجنائية المتعلقة باستغلال الأطفال في المواد الإباحية. من البيانات المتاحة، يمكن للخبير البحث عن جميع المحتويات ذات الصلة بقضية المواد الإباحية للأطفال. من خلال مراجعة نوع الدليل يتمكن الخبير من تحليل ما إذا كانت هناك نية، أو إذا كان هناك نقص في النية في تلقي الصور أو مقاطع الفيديو غير المشروعة. على سبيل المثال، إذا تم العثور على الصور أو مقاطع الفيديو غير المشروعة مُخفاة داخل صورة أخرى أو مجموعة ملفات لم يتم فتحها مطلقاً، يمكن أن يساعد ذلك في إثبات أنه فيروس كمبيوتر أو إرسال شخص آخر المحتوى بشكل ضار إلى المدعى عليه وهو بريء.

التهرب من الجريمة

أصبحت الأساليب التي يستخدمها العديد من المجرمين للتهرب من كشف إنفاذ القانون أكثر تعقيداً. يواصل متعهدو المواد الإباحية للأطفال استخدام تقنيات تشفير مختلفة وشبكات مجهولة على «الإنترنت المظلم»، في محاولة لإخفاء مجموعاتهم المتراكمة من الصور غير المشروعة لإساءة معاملة الأطفال. حتى إن العديد من

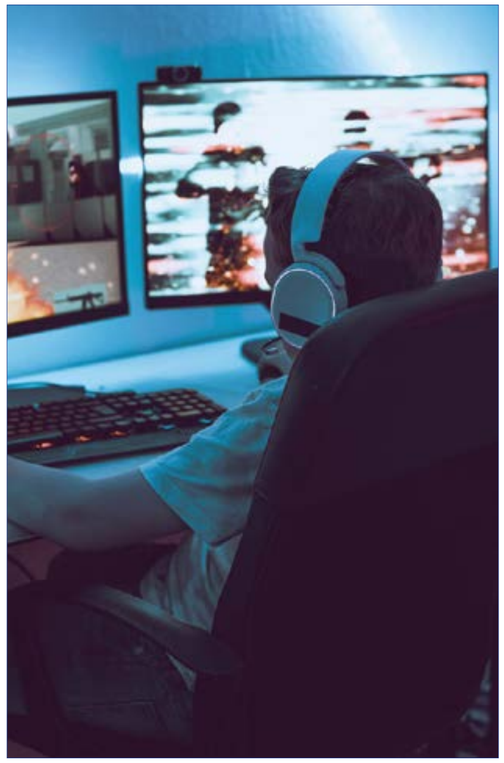

الأفلام الإباحية في القانون

■ صادق علوية

يُعدّ التصوير الإباحي وترويج الأفلام الإباحية إحدى صور الاستغلال الجنسي المجرّم قانوناً، وهو منصوص عنه في قانون العقوبات في المواد 531 و 532 و533 تحت عنوان التعرض للآداب والأخلاق العامة، حيث يُعاقب على التعرض للآداب العامة عبر وسائل النشر بالحبس من شهر إلى سنة وبالغرامة، كما يُعاقب على الإتجار بالأشياء المخلّة بالحياء، بالعقوبات نفسها من أقدم على صنع أو تصدير أو توريد اقتناء كتابات أو رسوم أو صور يدوية أو شمسية أو أفلام أو إشارات أو غير ذلك من الأشياء المخلّة بالحياء، بقصد الإتجار بها أو توزيعها أو أعلن أو أعلم عن طريقة الحصول عليها.

إلا أن الجديد في المنظومة التشريعية اللبنانية صدور قانون تجريم الإتجار بالبشر تحت عنوان «معاقبة جريمة الإتجار بالأشخاص»، القانون الرقم 2011/164 الذي نصّ على تعديل قانون العقوبات ولا سيّما المادة 586 منه عبر تعداد الاستغلال الجنسي من الأفعال المعاقب عليها قانوناً، ولو كان الشخص الذي يجري تصويره موافقاً. فالقانون لا يأخذ في الحسبان موافقة المجني عليه أو أحد أصوله أو وصيّه القانوني أو أي شخص آخر يمارس عليه سلطة شرعية أو فعلية على الاستغلال، وتصل عقوبتها إلى الاعتقال خمس سنوات، وبالغرامة من مئة ضعف إلى مئتي ضعف الحد الأدنى الرسمي للأجور، كحد أدنى ويمكن أن تصل إلى عقوبة الحبس لمدة عشر سنوات.

واللافت أن القانون يعتبر أن عبارة ضحية الإتجار تعني أيّ شخص طبيعي ممن كان موضوع إتجار بالأشخاص أو ممن تعتبر السلطات المختصّة على نحو معقول بأنه ضحية إتجار بالأشخاص، بصرف النظر عما إذا كان مرتكب الجرم قد عُرفت هُويته أو قُبض عليه أو حُوكم أو أُدين. كما يُعفى من العقاب المجني عليه الذي يثبت أنه أُرغم على ارتكاب أفعال معاقب عليها في القانون.

تجدر الإشارة إلى أن لبنان انضم إلى بروتوكول منع وقمع ومعاقبة الإتجار بالأشخاص وبخاصة النساء والأطفال المكمل لاتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية بموجب القانون 2005/682.

قانون معاقبة جريمة الإتجار بالأشخاص ◄

الفيديو غايم والجنس

في دراسة جديدة، أجراها باحثان في علم النفس في جامعة نيو ساوث ويلز في أستراليا، حول تأثيرات ممارسة ألعاب الفيديو العنيفة، لم يكسر ما توصل له الباحثان فقط الصورة النمطية القائلة بأن الرجال فقط يستمتعون بالألعاب العنيفة، بل كشف أيضاً أن الدافع للعب ألعاب الفيديو العنيفة يرتبط ارتباطاً وثيقاً برغبة الناس في ممارسة الجنس. كما وجدا أن النساء كنّ أكثر تحفيزاً للعب ألعاب الفيديو العنيفة لأن القيام بذلك جعلهنّ يشعرن بمزيد من الجاذبية والإثارة.

حبّ المغامرة

يقوم الأطفال أثناء تصفّح الإنترنت بتكوين صداقات والتعرف إلى أشخاص جدد من خلال الشبكات الاجتماعية مثل Facebook وغرف الدردشة الخاصّة والتي تشكّل عامل إثارة بالنسبة إليهم، وذلك بسبب سمة التخفي والسرية التي تتميز بها، مدفوعين بحبّ المغامرة والاستكشاف التي تُعتبر جزءاً من عملية النمو التي يواجهها الوالدان في الجوانب كافة المتعلقة بسلامة الطفل بما فيها الإنترنت، لذا فإنهم لا يتوانون عن التحدث مع أشخاص غرباء قد يكونون منحرفين، وقد يؤدي الاتصال المباشر بين الطفل والغريب على الشبكة إلى الكشف عن معلومات قد تُعرّضه أو تعرّض أسرته إلى خطر شخصي وأحياناً يتم إغراء هؤلاء الأطفال للالتقاء بهم خارج الفضاء الافتراضي.

يمكن للقاءات من هذا النوع أن تهدّد سلامة الطفل، فالمتحرّشون بالأطفال يستخدمون بشكل خاص غرف الدردشة والمنتديات وبرامج المراسلة الفورية لكسب ثقة الطفل، وانتزاع معلومات شخصية عنه بطرق ماكرة، ولترتيب لقاء معه وجهاً لوجه بهدف الاستغلال الجنسي مثلاً.

175,000

طفل يستخدمون الإنترنت لأوّل مرة كل يوم (بحسب تقرير منظّمة الامم المتّحدة للطفولة "اليونيسف" في عام 2018)

المنظمات الإجرامية المتطورة على الإنترنت كتبت أدلة أمنية للتأكد من أن أعضاءها يتبعون بروتوكولات الأمان المفضّلة وتقنيات التشفير في محاولة للتهرب من تطبيق القانون وتسهيل الاعتداء الجنسي على الأطفال.

إيذاء جنسي دائم

يفشل مصطلح «المواد الإباحية للأطفال» أو Child Pornography في وصف الرعب الحقيقي الذي يواجهه عدد لا يُحصى من الأطفال. عندما يتم نشر هذه الصور على الإنترنت، يستمر إيذاء الأطفال إلى الأبد. فالضحايا الأطفال الذين يتم تصويرهم في هذه المواد الإباحية غالباً ما يعانون من «إعادة إيذائهم» من خلال معرفة أن صور الاعتداء الجنسي عليهم موجودة على الإنترنت في متناول الجميع وفي أي وقت. يؤدي هذا غالباً إلى ضرر نفسي دائم للطفل، بما في ذلك اضطرابات في النمو الجنسي، والصورة الذاتية، وتطوير علاقات الثقة مع الآخرين في المستقبل.

من ناحية أخرى، يزيد الاعتداء الجنسي في مرحلة الطفولة المبكرة بشكل كبير من خطر تعرض الفرد للسلوك الإجرامي والجانح في وقت لاحق. ويتعرض ضحايا الاعتداء الجنسي في مرحلة الطفولة لخطر متزايد للاعتقال بسبب البغاء/ الدعارة كبالغين.

الرضا الزائف

في حين أن بعض صور الاعتداء الجنسي على الأطفال تصوّر الأطفال في حالة انزعاج وضيق، فإن صوراً أخرى قد تظهرهم راضين. ومع ذلك، فإن مجرد ظهور الطفل بالرضا عن النفس لا يعني عدم حدوث اعتداء جنسي. في معظم حالات استغلال الأطفال في المواد الإباحية، لا تكون الإساءة لمرة واحدة فقط، بل هو إيذاء مستمر يتطور على مدى شهور أو سنوات. من الشائع أن يقوم منتجو المواد الإباحية عن الأطفال بتدريس الضحايا، أو إقامة علاقة مع طفل وإضفاء الطابع الجنسي على الاتصال تدريجياً بمرور الوقت. تعزّز عملية الاستمالة شعوراً زائفاً بالثقة والسلطة على الطفل من أجل إزالة الحساسية أو كسر مقاومة الطفل للاعتداء الجنسي. لذلك، حتى لو بدا الطفل راضياً في صورة معينة، من المهم معرفة أن الإساءة ربما تكون قد بدأت قبل سنوات من تلك الصورة.

توضيح المحرّر

النيابات العامة والمخالفات المصرفية لا صلاحية

توضيحاً لما ورد في المقابلة الخاصة مع المدعي العام لدى محكمة التمييز القاضي غسان عويدات في العدد السابق، نشير الى ان المادة 20 من قانون اصول المحاكمات الجزائية تتناول اصول الملاحقة في الجرائم المصرفية. إذ تنص على انه لا تجري الملاحقة في الجرائم المصرفية الناجمة عن مخالفة قانون النقد والتسليف الا بناء على طلب خطّي من حاكم مصرف لبنان.

فقد وضعت المادة 20 من قانون اصول المحاكمات الجزائية اصولاً لتحريك الدعوى العامة من قبل النيابة العامة التمييزية او المالية او الاستئنافية. ما يعني أنه لا يحق للنائب العام ان يحرّك عفوا الجرائم الناشئة عن او المتعلقة بقانون النقد والتسليف، اذ نصت الفقرة الاولى من هذه المادة صراحة على انه لا تجري الملاحقة في الجرائم المصرفية الناجمة عن مخالفة قانون النقد والتسليف الا بناء على طلب خطّي من حاكم مصرف لبنان. وهذا الامر ايضا منصوص عنه في الباب الرابع من قانون النقد والتسليف في باب العقوبات المواد (192-210) حيث جاءت المادة 206 لتنص على انه: تلاحق مخالفات هذا القانون امام المحاكم الجزائية وفقاً للاصول العاجلة وتقام الدعوى من قبل النيابة العامة بناء لطلب المصرف المركزي.

وبالتالي، في غياب طلب المصرف المركزي، اي طلب حاكمه، تتعذّر إقامة الدعوى العامة بوجه المصارف في الجرائم المصرفية الناجمة عن مخالفة قانون النقد والتسليف.

قانون النقد والتسليف وانشاء المصرف المركزي: المادة 206

قانون اصول المحاكمات الجزائية - رقم 328

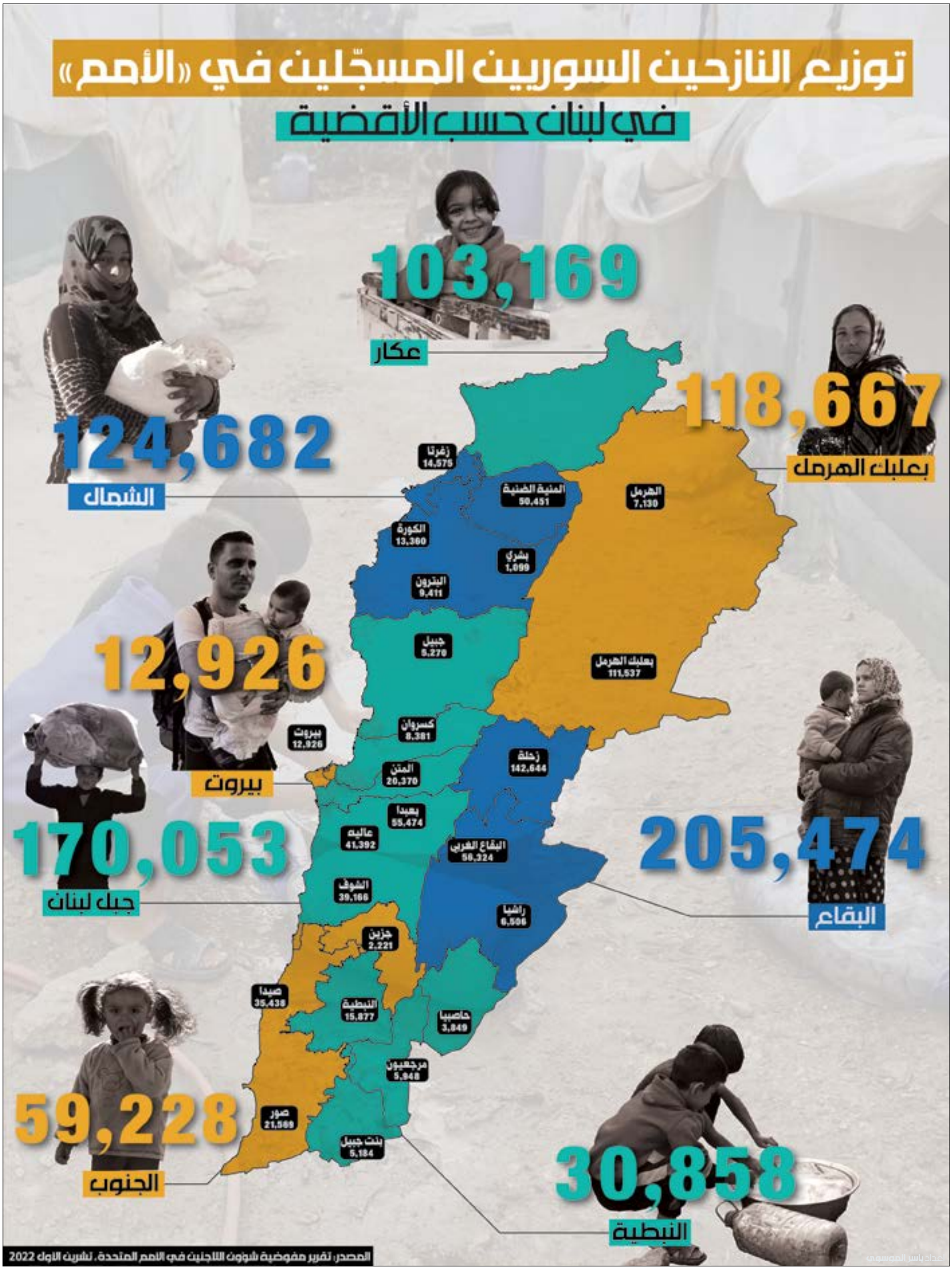

القوس

■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**

alqaous alqaous22 alqaous al_qaous
01/34 99 54
www.alqaous.com info@alqaous.com